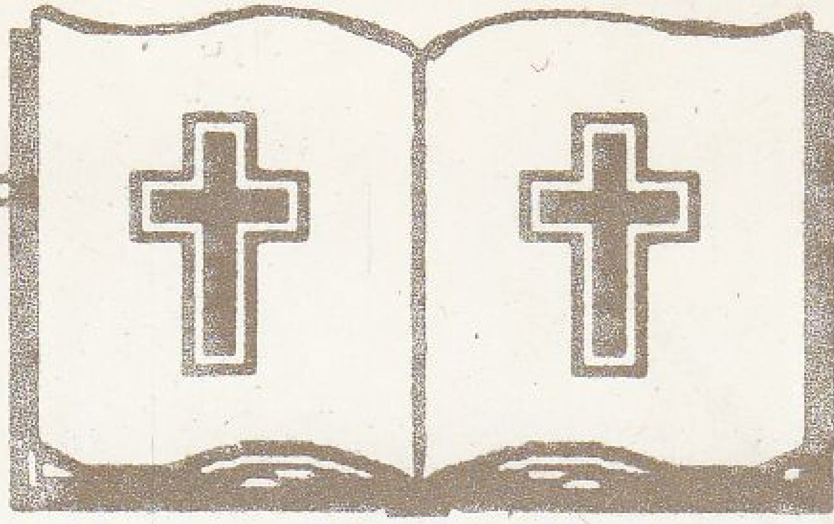


أقوال الآباء وكتاباتهم
« علم الباترولوجى »

آبـــاء
مدرسة الاسكندرية
الأولـون

القمص
تادرس يعقوب ملطى

أقوال الآباء وكتاباتهم
« علم الباترولوچى »

الكتاب السادس

آبـــاء
مدرسة الاسكندرية
الأولـون

القمص تادرس يعقوب ملطى

مذكرات مختصرة ألقيت على طلبة

الكلية الاكليريكية واللاهوتية بالاسكندرية

عام ١٩٨٠



اسم الكتـــاب : آباء مدرسة الاسكندرية الأولون

إعــــــداد : القمص تادرس يعقوب

النــاشـــــر : مكتبة كنيسة مارجرجس - إسبورتنج

جمع كمبيوتر: الكرنك للكمبيوتر - ت ٠٣/٤٨٧٢٧١١

الطبــاعــة: مطبعة الكرنك ت: ٠٣/٤٨٦٢٩٨٠

رقــم الايــداع: ٨٩٥٥ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى: ٤ - ٠٩٠٤ - ٠٣ - ٩٧٧



قداسة البابا شنودة الثالث

مدرسة الإسكندرية

الحاجة إلى مدرسة الاسكندرية

١ – قبل ظهور المسيحية بزمن طويل اشتهرت الأسكندرية بمدارسها ، ولعل أعظم هذه المدارس هى « المتحف أو الموزيم Museum » التى أسسها بطليموس وصارت أشهر مدرسة فى الشرق . بجانب هذه المدرسة وجدت مدرسة السيرابيوم Serapeum ، وأيضاً مدرسة سيباستيون Sebastion . وكان لهذه المدارس الثلاث مكتباتها الضخمة (١) ؛ ضمت مكتبة المتحف وحدها ما بين مائتين ألفًا ونصف مليون مخطوطاً وكتاباً فى أيام بطليموس الأول . بجانب هذه المدارس انتشرت أيضًا مدارس يهودية تنتشر الثقافة اليهودية فى بقاع البلاد (٢) .

نستطيع القول بأن الاسكندرية كمدينة عالمية قد اختيرت بيتًا للعلم (٣) ؛ كانت مركزاً فريداً للحياة الفكرية المتألقة (٤) ، ازدهرت فيها ثقافات متنوعة من مصرية وهيلينية (يونانية)ويهودية ، مع أفكار شرقية ثيؤصوفية (باطنية) . لهذا وصف Latourette هكذا : « صارت مدينة عالمية ، مركزاً للتجارة والثقافة اليونانية . هنا وجدت إحدى كبرى المكتبات فى العالم . هنا تلاقت الفلسفات اليونانية مع الشرقية ، وهنا نشأت آخر أشكال الفلسفات « اليونانية – رومانية Greco-Roman » غير المسيحية ، أى الأفلاطونية الحديثة . هنا عاش فيلون اليهودى وفسر إيمانه الوراثى بطريقة يونانية . وفى المتحف « الموزيم » وجدت ما يعادل الجامعة ، لها شهرتها فى العالم اليونانى – رومانى كله » (٥) .

على أى الأحوال ، لم يكن أمام الكنيسة فى جو كهذا إلا إنشاء مركز

---

(1) C.Bigg : Christian Platonists of Alexandria, Oxford 1913, P. 26.

(٢) حسب فيلون كان اليهود فى مصر لا يقلون عن مليون نسمة .

(3) H.M. Gwaktin : Early Church History, London 1909. Vol. 2, P. 155.

(4) J. Quasten : Patrology, Vol.2, P.1.

(5) K.S. Latourette : A History of Christianity, London 1953, P. 146.

للتعليم المسيحي ، يسندها في مواجهة المعركة التي شنتها هذه المدارس القوية(١) والثقافات المتنوعة التي سادت المدينة . وكما يقول Farrar : « لم تكن هناك مدينة في الامبراطورية فيها أسند إلى الباحثين العظماء معلمي المسيحية عملاً أخطر مما أسند للدين في مدينة الاسكندرية . فقد كانت مركزاً لأعظم نشاط عقلي حي . هناك وجدت مضاربات بين الناس من كل دين وجنس ، في تفاعل مع بعضهم البعض ، أشبه بحبات العنب في عنقود الكرمة ، ففي مدينة مثل هذه – الأسكندرية – بمتحفها ومكتباتها ومحاضراتها ومدارسها الفلسفية ومجامعها (اليهودية) الفخمة وملحديها العلنيين وأفكارها الشرقية الباطنية العميقة ، لا يحمل فيها الانجيل قوة إن لم يكن قادراً على خلق معلمين قادرين على مجابهة فلاسفة وثنيين ويهود أفلاطونيين وشرقيين اختاروا خليطاً من الفلسفات ، يجابهونهم بذات أسسهم . فإن مثل هؤلاء المفكرين يرفضون الإنصات لمن هم غير قادرين على فهم أفكارهم والاهتمام بما ينشغلون به وتفنيد حججهم الأساسية ، بهذا يلتقون بهم بروح مسيحي لطيف » (٢) .



٢– كانت هناك حاجة ماسة لقيام مدرسة مسيحية قوية تجابه «الغنوسية(٣) Gnosticism» على وجه الخصوص ، فقد عرف العالم في ذلك الحين أشكالاً متنوعة من الغنوسيات هي في حقيقتها ملتقى هائل لعناصر يهودية ومسيحية ويونانية وشرقية ... كانت تشكل خطراً على الإيمان المسيحي ، هذه الغنوسيات كثيرة ومتنوعة ، فوجدت مذاهب غنوسية وثنية تماماً ، وأخرى لها سمة يهودية ، وثالثة حملت اسم المسيحية لكنها في جوهرها تحمل فكراً يهودياً، كما وجدت مذاهب غنوسية هاجمت العهد القديم مثل مرقيون . وجد

---

(1) J. Lebreton : Histoty of the Primitive Church, Vol.3, London 1946, P. 731.

(2) F.W. Farrar : Lives of the Fathers, London 1907. Vol. 1, P. 350-351.

(٣) كلمة « غنوسية مشتقة من اليونانية "gnosis" وتعني « معرفة » .

غنوسيون نساك مثل أتباع باسيليدس وغنوسيون إباحيون مثل النيقولاويون ، وغنوسيون آمنوا بأمور جنونية لا معنى لها مثل مذهب عبدة الحياة Ophites ، وغنوسيون على مستوى ثقافى رفيع مثل مذهب فالنتينوس ... هذه الغنوسيات وغيرها حملت مميزات وسمات متباينة لكنها اشتركت فى إيجاد ثنائية بين الله والمادة ، إذ حقرت من المادة كعنصر شر وجعلتها من صنع إله ليس خير، لكن ما هو أهم أنها أصرت على إحلال الغنوسية أو المعرفة محل الإيمان كسبيل للخلاص .

شكلت الغنوسية خطراً لا يستهان به فى القرن الثانى الميلادى (١)- على وجه الخصوص - وذلك لأن المدارس الفلسفية والديانات الباطينية كانت قد زودت الناس بحاجاتهم الروحية ، كما أن المذاهب الثيؤصوفية « الباطينية» بما يحيط بها من سحر الحكمة الشرقية الزائفة لم تكن قد فقدت جاذبيتها تماماً (٢). لهذا وجدت حاجة ملحة لقيام مدرسة قوية تواجه هذا التيار . وكما يقول A.A.King : « كانت الغنوسية فى مصر قوية ، والصراع ضدها يمثل مسئولية ضخمة تلتزم بها أول جامعة مسيحية « الديسقاليون » أو « المدرسة التعليمية (٣)Catechtical School » .

لم تقف مهمة هذه المدرسة عند تفنيذ المبادئ الخاطئة والأفكار المضللة للغنوسيين ، لكنها حملت رسالة تقديم « غنوسية » أو « معرفة » على مستوى إنجيلى مسيحى بغير إنحراف . فى هذا يقول Schaff : « لم يدن الاسكندريون الغنوسية فى اندفاع ، لكنهم تعرفوا على الرغبة فى معرفة « غنوسية » دينية أعمق ، فدخلوا إلى جذورها ، وبحثوا فى مقابلة هذه الرغبة باشباع كامل لها من الإنجيل ذاته ... لقد بلغوا القمة قى كلمات اكليمنضس : « لا إيمان بغير معرفة ، ولا معرفة بغير إيمان » أو « إن لم تؤمن لن تفهم » فالإيمان والمعرفة

---

(١) سبق أن تعرضت للمذاهب الغنوسية فى كتاب « القديسة مريم فى المفهوم الأرثوذكسى » طبعة ١٩٧٩ .

(٢) القمص باخوم المحرقى (حالياً الأنبا غريغوريوس) : الفلسفة المسيحية ، ١٩٦٧ .

(3) A.A. King : The Rites of Eastern Christendom , Rome 1947, P. 341 .

«الغنوسية» ، هما كيان واحد ، هما حق الله الخلاصى ، المعلن فى الكتب المقدسة ، ومسلم بأمانة بواسطة الكنيسة ، وإن اختلفا فى الشكل فقط » (١) .

بمعنى آخر ، عوض الغنوسيات التى حملت اسم المسيحية شكلاً ، قدمت المدرسة « غنوسية أرثوذكسية ، إنجيلية جديدة » ، استطاع المعلمون الاسكندريون ، خاصة اكليمنضس مدير المدرسة فى القرن الثانى ، أن يعطى لكلمة « غنوسية » معنى فنى خاص(٢) ، بل لقب المسيحى الحقيقى الروحى «غنوسياً» ، له عمل مرتبط بالإيمان وحفظ الوصايا ألا وهو « المعرفة الروحية » خلال الكشف الإلهى ... لكنها ليست منعزلة عن الإيمان .

٣- لم يقف الأمر عند مجابهة الفلسفات المتنوعة وتفنيد الأفكار الغنوسية على وجه الخصوص لمحاربة هذه التيارات بذات أسلحتها أو فى عقر دارها ، وإنما كانت الضرورة تقتضى وجود مدرسة قادرة على إشباع اهتمامات المسيحيين أنفسهم فى الاسكندرية . فإنهم حتى بعد قبولهم الإيمان المسيحى لم يتوقفوا عن الدراسات الفلسفية والعلمية ، بل كان بعضهم مواظباً عليها فى المدرسة الوثنية أو الأفلاطونية الحديثة . وقد وصف Bigg حال المسيحيين الأول فى الاسكندرية هكذا : « جماعة ضخمة وغنية ، تعيش فى حضن مدينة جامعة عظيمة ، لا تقدر أن تمتنع عن الاهتمامات السامية لهذا الموضع (أى الدراسات الفلسفية) . كان غالبية شبابهم الموهوب يستمع للمحاضرات التى يلقيها الأساتذة الوثنيون ، فارتكض بعضهم إلى الهلينية مثل أمونيوس(٣) ، انسحب البعض إلى الغنوسية مثل امبروسيوس (٤) ، وعبر البعض هذه المحنة

---

(1) Schaff : History of Christian Church, 1970, Vol.2, P. 780.

(2) P.E. Hallett : A Catholic Dictionary, London, 1951, P. 368.

(٣) ربما قصد أمونيوس السقاس مؤسس الأفلاطونية الحديثة ، والذى تتلمذ على يديه العلامة أوريجين فترة من الزمان .

(٤) تحول على يدى أوريجين عن مذهب فالنتينوس الغنوسى ، وقد أمد أوريجين بأكثر من سبعة سكرتيرين وعدد كبير من النساخ وبعض الفتيات اللواتى يجدن الخط ...

بسلام مثل هيراقليس[1] (ياروكلاس) ، ويقى كهنة مسيحيون يرتدون ثوب الفلسفة أو رداء الأساتذة ... » [2].

نستطيع أن ندرك مدى ولع الأقباط بالفلسفة فى ذلك الحين ، وأثرهم أيضًا على الأساتذة الوثنيين مما جاء فى خطاب لهادريان حفظ بواسطة Vopiscus : « الذين يعبدون سيرابيوس هم مسيحيون ، والذين يلقبون أساقفة المسيح هم نذيروا سيرابيوس » [3] . حدث هذا الخلط فى أذهان البعض لأن بعض عظماء المسيحيين كانوا يترددون على المدرسة الوثنية لدراسة الفلسفة ، كما أن بعض علماء الفلسفة قبلوا الإيمان ودخلوا الحياة الكنسية .

نشأة المدرسة

شهد القديس چيروم [4] أن القديس مرقس الرسول قام بتأسيس مدرسة الاسكندرية المسيحية ، فقد أوحى له بالروح القدس أن يقيمها للتعليم بالمسيحية ، كطريق لتثبيت الدين الجديد فى هذه المدرسة على أساس راسخ[5] ، سواء بالنسبة للذين من أصل أممى أو من أصل يهودى . بهذا كما يقول الكسندر روبرت : « وجد أول كرسى للتعليم المسيحى ... وصارت الاسكندرية عقل المسيحية ... فى الوقت الذى كان فيه الغرب مجرد متقبل يبسط يديه وساعديه للشرق طالباً استنارة أعظم [6] .

وصف Groves هذه المدرسة ، قائلاً : « كانت مدرسة اسكندرية التعليمية ذات الشهرة العالمية مركزًا للدراسات المسيحية دون منافس فى العالم المسيحى فى ذلك الحين » [7] . صارت هذه المدرسة أقدم مركز للعلوم القدسية فى تاريخ

---

(١) أحد مديرى المدرسة ، وقد صار بطريركاً للاسكندرية .

(2) Bigg, p. 68, 69.

(3) F.W. Farrar, P. 26.

(4) De Viris Illus. 36.

(5) Coptic Orth. Patriarchate : ST. Mark, cairo 1968, P. 61.

(6) A.N. Frs., Vol. 2, Introd. note to Clem. of Alex., P. 165.

(7) F.P. Groves : The Planting of Christianity in Affrica, London 1948, P. 37.

المسيحية (١) ، إذ نشأ فيها أول نظام للاهوت المسيحي ، كما انطلقت منها طريقة التفسير الرمزي للكتاب المقدس .

سماتها ومنهجها

إن كان ليس لدينا بالتفصيل صورة عن سمات المدرسة وبرامجها ومنهجها ومواد الدراسة فيها ، لكننا نستطيع أن نتكشف الخطوط العريضة خلال حياة آبائها وتراثهم الكتابي . هذه الخطوط التي قيل عنها : « إنه من المشكوك فيه أن نجد نظامًا للتعليم المسيحي أفضل مما كان قائمًا في الاسكندرية » (٢) .

١ – بدأت مدرسة الاسكندرية كمدرسة للموعوظين(٣) Catechumens تضم طالبي العماد من أمم ويهود لتعليم الإيمان المسيحي ، تقدم لهم دراسات تؤهلهم لنوال سر المعمودية . فتحت المدرسة أبوابها أمام الجميع ، يلتحق بها أناس من ديانات مختلفة وثقافات متباينة وذوو مراكز إجتماعية مختلفة وأعمار متفاوتة ... ، « كان التعليم بها جامعيًا وموحدًا ، لا يميز بين الطبقات أو الظروف ، بين العبيد أو السادة » (٤) .

بحق يلزمنا أن نقف بإعجاب بآبائنا الأولين الذين استطاعوا بسموهم الروحي وعلو فكرهم أن يفتحوا مدرسة في القرن الأول الميلادي تضم الجنسين معًا (٥) : رجال ونساء ، في وقت كان فيه العالم المتحضر كله يقوم

---

(1) E. Gilson : History of Christian Philosophy in the Middle Ages, N.Y. 1955.

(2) C. Bigg. P. 71.

(٣) كلمة Catechumens مأخوذة عن اليونانية Katichoumenos ، تعني « تحت التعليم » ، والفعل يعني « يتعلم شفويًا » . استخدمت كنسيًا بمعنى طالبي العماد .

(4) Rev. Markary El-Souriany : Ancient and contemporary Christian Education in the Coptic Church, Princeton, 1955, P. 78.

(5) C. Bigg, P. 69.

على التمييز بينهما ... ضمت المدرسة سادة وعبيد معًا ، في وقت كان العبد رخيصاً يباع كالسلعة ويشترى !

هذه الصورة فى ذاتها كانت كرازة عملية بالإيمان المسيحى الحى الذى يوحد الكل فى المسيح يسوع ربنا ... لكنها أيضًا تحمل الأساتذة عبئًا ليس بقليل ... إذ يلتزمون بتقديم مناهج تتناسب مع فكر كل واحد منهم .

٢- أمام هذا الانفتاح لم يكن ممكنًا أن تقتصر المدرسة فى دراستها على اللاهوت وحده ... بل كان برنامجها منذ القرن الثانى - ما لم يكن منذ بدء إنطلاقها - يقوم على أساس موسوعى شامل encyclopedic . هذا منهج تقليدى خاص بالاسكندرية وجد فى مدارسها الوثنية واليهودية أيضًا . وكما يقول Carl S. Meyer : « كانت هذه المدرسة مركزًا للتعليم الفلسفى والعلمى كما للتعليم اللاهوتى ، فإنه بالنسبة للاسكندريين كل المعرفة إنما تساهم فى إدراك الحق الذى يبلغ ذروته فى اللاهوت المسيحى » (١) . وقد وصف W.J. Gauche هذه المدرسة فى برامجها القوية قائلاً : « فى الاسكندرية ... يبدو أن التعليم فى سموه قد بلغ اتجاها وشكلاً يقارب جداً نظام جامعاتنا الحديث أكثر مما كان عليه فى مكان آخر فى العالم اليونانى الرومانى » (٢) .

٣- أخذت مدرسة الاسكندرية بنظام التدرج ، فغالبًا ما تبدأ الدراسة بسلسلة من العلوم غير الدينية (العلمانية Secular) ، من خلالها يكسب المعلم غير المؤمنين ويقيم الأفكار الفلسفية والعلمية ، ساحباً القلوب نحو المعلم الوحيد يسوع المسيح . تأتى بعد ذلك الأخلاقيات والسلوك الدينى ليس كفاية فى حياة المسيحى إنما ليكون متشبهاً بالله ، وأخيراً يدرس اللاهوت المسيحى فى شكل تعليقات وشرح الكتاب المقدس .

---

(1) Carl S. Meyer : The Church from pentecost to the Present, Chicago 1970, P. 32.

(2) W.J. Gauche : Didymus the blind, an adducator at the fourth century, Washington 1954, P. 36.

يظهر هذا المنهج في مراحله الثلاث من الكتب الثلاثة الرئيسية التي وضعها القديس اكليمنضس الاسكندرى : الأول قدم منهجاً لغير المسيحيين خلاله يتعرف طالبو العماد على أساسيات المسيحية دون الدخول في حرب مع الفلسفة ... ، والكتاب الثاني يمثل منهجاً أخلاقياً غايته التشبه بالله ، والثالث يمثل منهجاً متقدماً خاص بالمعرفة « الغنوسية » للحق الإلهي ...

٤- امتازت هذه المدرسة بعدم الفصل بين الدراسة والحياة الإيمانية التقوية . فكانت العبادة تمارس جنباً إلى جنب مع الدراسة(١) . يمارس المعلمون وتلاميذهم الصلاة والصوم وحياة النسك مع النقاوة بغية الدخول في طريق الكمال المسيحي ، وكان الأساتذة في حياتهم مثلاً يحتذى به . لقد عرف غالبية أساتذتها بحبهم لحياة البتولية والزهد في الزمنيات(٢) .

٥- عرفت المدرسة بإهتمامها بالبحث العلمي ، فلم يكن الأساتذة مجرد محاضرين يلقنون الطلبة ما يريدون ... لكنهم بالأكثر كانوا يهتمون بتقديم المشورة في البحث والتنقيب مع المناقشة المستمرة . يمكننا أن نتلمس ذلك من شهادة القديس غريغوريوس أسقف نيصص عن أساتذة العلامة أوريجين بأنه حسب من حق الملتحقين بالمدرسة أن يدرسوا الفلسفة بحكمة واجتهاد ، ولا يحتقروا ما كتبه الفلاسفة القدامى ... كان أشبه بمرشد يعين تلاميذه على التعرف على المدارس الفلسفية المتنوعة بأنفسهم ويختاروا ما فيها من حق ويرفضوا ما فيها من بطلان ...

٦- قامت المدرسة أيضاً على العلاقات الشخصية بين الأساتذة وتلاميذهم ... بمعنى آخر كانت المدرسة أشبه بمجال للتلمذة في أسمى صورها ، وليس مجرد مكان يلقى فيه الأساتذة محاضرات على الطلبة ... بهذا كانت المدرسة جزءاً لا يتجزأ من الحياة الكنسية ... التي في صميمها هي « حياة تلمذة» .

---

(1) J. Lebreton, P. 732.

(2) Coptic. Pat., P. 63.

كانت المدرسة تمثل جزءاً من المبنى الكنسى (١) ، لكن إذ تعرضت الاسكندرية لموجات متتالية من الاضطهادات كان التلاميذ يجتمعون مع أستاذهم فى بيته أو فى أى موضع آخر ... هكذا ارتبط الطلبة بأستاذهم أكثر من ارتباطهم بالمبنى ... كان الأستاذ هو المدرسة .

ظهرت هذه العلاقة الشخصية الوطيدة فى حياة القديس اكليمنضس الأسكندرى ، الذى قال عنه G. Bardy ، أنه رفع قلوب طلبته إلى الأعالى التى أعلنها لهم بصبره وابتسامته الدائمة (٢) . كما ظهرت أيضاً فى حياة خلفه وتلميذه العلامة أوريجانوس الذى تخطت علاقته بطلبته حدود الدراسة ، فكان يلتقى بهم فى السجن ويرافقهم فى ساحات القضاء وساحات الاستشهاد . كان يقبلهم قبلة السلام بحرارة شديدة فى مشهد من الجميع ، ويبقى ملازماً لهم حتى يسلموا أرواحهم فى يدى الآب (٣) .

هذه العلاقات دفعت المدرسة بقوة ، فانتقل إلى الطلبة روح أساتذتهم وغيرتهم الدراسية وحياتهم التقوية . وكما قال القديس غريغوريوس أسقف نيصص عن أستاذه أوريجانوس : « كان شرارة منيرة ، ألقيت فى أعماق نفوسنا الداخلية ، فاشتعل الحب فينا ، وصار لهيباً ؛ بذلك صرنا نحب الكلمة القدوس (اللوغوس) ، الذى أحب العلوم إلى نفوسنا ، يجتذبنا إلى جماله غير المنطوق به بغير مقاومة » .

مدرسة اسكندرية والفلسفة

نظرة مدرسة الاسكندرية للفلسفة تحتل نصيباً ليس بقليل فى هذه المذكرات ، وذلك خلال عرضنا لحياة آباء المدرسة وكتاباتهم وأفكارهم ، فقد حمل هؤلاء الآباء نظرة خاصة اختلفوا فيها مع آباء كثيرين . فإنهم لم يحملوا اتجاهاً معادياً لها ، ولا اتخذوا منها موقفاً عنيفاً ، إنما رأوا فيها بصيصاً من

(1) F.P. Graves : A Student's History of Education, N.Y. 1915, P. 43.

(2) G. Bardy : Clement d'Alexandrie, P. 12 .

(3) J. Danielou : Origene, 1975, P. 27.

الحق ، وإن شابه بعض الضلالات . لقد رأت المدرسة أن الكنيسة قادرة على الدخول إلى قلوب الفلاسفة خلال هذا البصيص لتبلغ بهم إلى كمال الحق المعلن فى الانجيل المقدس . لهذا يقول المؤرخ شاف Schaff : « هدف اللاهوت الاسكندرى إلى مصالحة المسيحية مع الفلسفة ... مقيماً هذه الوحدة على أساس الكتاب المقدس وتعاليم الكنيسة (1)» . كما يقول شارلس بيج Bigg : « إن أول محاولة فى صورة منهجية للتوافق بين تقليد الإيمان واستنباطات الفكر البشرى الحر لم تتم فى بيتها (أورشليم) ولا فى أثينا ، وإنما تمت فى مصر(2) . يقول J. Daniélou : « إنها الاسكندرية هى التى أقامت الهيلينية المسيحية والتى صارت معجزة التاريخ الإنسانى » (3) . كما قال Einar Molland : « الاستحقاق الذى لا ينتهى لاكليمنضس وأوريجانوس أنهما خلقا الفلسفة المسيحية » (4) . هذه الفلسفة حملت سمة إنجيلية ، كما يقول Wool : «ركزت مدرسة الاسكندرية على الفلسفة المسيحية ، لكنها فلسفة نبعت عن صفحات الكتب المقدسة » (5) .

مدرسة الاسكندرية والتفسير الرمزى

إن كانت مدرسة الاسكندرية قد أرادت مصالحة المسيحية مع الفلسفة ، إنما لكى ينعم الفلاسفة بكلمة الحق الإنجيلى ... يدخلون إلى الكتاب المقدس ويتعرفون على أسراره . لهذا كان عمل المدرسة الرئيسى هو شرح كلمة الله بطريقة روحية ، وإعلان ما تحمله من أعماق داخلية وراء الرموز . وكما يقول Dom D. Rees : « كانت مدرسة الاسكندرية التعليمية (ديدسقاليون

---

(1) Schaff , Vol.2, P. 779.

(2) Bigg, P. 25.

(3) J.G. Mc Lelland : God the Anonymous (the Philadelphia Patristie Foundation Ltd.) 1976, P. 1.

(4) Ibid.

(5) S.P. Wool : Clement of Alexandria : Christ the Educator (Frs. of the Church, Vol. 23), 1954, XI.

Didascalion) بلا شك أشهر معهد عقلى فى العالم المسيحى الأول ، وكان اهتمامها الأول منصباً على دراسة الكتاب المقدس ، وقد ارتبط اسمها بالتفسير الكتابى ... كان شغل هذه المدرسة التفسيرية الأول هو اكتشاف المعنى الروحى فى كل موضع وراء السطور فى الكتاب » (١) .

لقد استخدم الفلاسفة اليونان التفسير الرمزى لمدة طويلة فى تفسير أساطيرهم كما يظهر فى هومر Homer وهيسويد Hesoid . ويعتبر أول يهودى يمثل التفسير الرمزى هو ارسطوبولس الاسكندرى ، فى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد ، دفعته ثقافته الهيلينية إلى تطبيق ذلك المنهج فى شرح الشعر اليونانى كما فى شرح العهد القديم ؛ لكن هذا المنهج قد ارتبط بفيلون الاسكندرى اليهودى ، الذى استخدمه فى تفسير العهد القديم تفسيراً رمزياً . رأى فيلون أن المعنى الحرفى مجرد ظل بالنسبة للجسد ، أما المعنى الرمزى العميق فيمثل الحقيقة الحقة .

تبنى المفكرون المسيحيون بالاسكندرية هذا المنهج التفسيرى ، حاسبين أن التفسير الحرفى فى حالات كثيرة لا يليق بالله . وقد وجدوا فى الرسول بولس (غلا ٤ : ٢٤ ، ١ كو ٩ : ٩) سنداً لهم ، بل رأوا السيد المسيح نفسه يستخدم ذات المنهج حين يقول : « وكما رفع موسى الحية فى البرية هكذا ينبغى أن يرفع ابن الإنسان » يو ٣ : ١٤ .

استخدم القديس اكليمنضس الاسكندرى هذا النوع من التفسير ، لكن تلميذه أوريجين هو الذى شكل نظامه ووضع قواعد وقام بنشره فى الشرق والغرب ، حتى نسب إليه . لقد بلغ أوريجين بالمدرسة إلى القمة فى هذا الشأن ، فتأثرت بدوافعه وأفكاره ، وإن كانت قد تحررت بعد ذلك من مبالغته فى التفسير الرمزى . ويلاحظ أن آباء المدرسة كانوا أكثر دقة وإفرازاً من فيلون ، كما اختلفوا معه أيضاً فى الهدف . فقد طبق فيلون التفسير الرمزى على العهد القديم لاكتشاف معانٍ فلسفية وإخلاقيات خلال الرموز ، أما آباء

(1) Nelson : A New Catholic Commentary on the Holy Scripture, 1969, P. 15.

المدرسة فوجدوا فى العهد القديم بما احتواه من شخصيات وأحداث ونواميس وطقوس انعكاسات للعمل الخلاصى والحياة السماوية (١).

على أى الأحوال ، كان لهذا المنهج أهميته إذ فتح باباً للاهوت المسيحى يربط ما بين الفلسفة والوحى ، كما عالج الكثير من المشاكل الخاصة بتفسير العهد القديم ، لكننا فى نفس الوقت لا نقدر أن نتجاهل أضرار المبالغة فى استخدامه ، لهذا وجد هذا المنهج معارضة ، كما نادى آباء المدرسة فيما بعد بالاعتدال فى استخدامه .

دور المدرسة فى حياة الكنيسة

كان لمدرسة الاسكندرية باتجاهاتها السابق الحديث عنها أثرها الفعال على الحياة الكنسية فى كل جوانبها ، بل كانت المدرسة جزءاً لا يتجزأ من الحياة الكنسية . كشفت المدرسة عن إتساع الفكر المسيحى بوجه عام ، وأروت ظمأ المسيحيين فى المعرفة ، وقدمت ضوءاً جديداً على أهمية العلم والتعليم بوجه عام ، كما خلقت قادة فى الفكر وفى العمل الكنسى الرعوى على المستوى المحلى والمسكونى .

١- اهتمام المدرسة بالفلسفة اليونانية نزع عنها أى نظرة ضيقة نحو المسيحية كتراث اقليمى يرتبط بجماعة محلية أو ثقافة خاصة . وبهذا ربحت الكنيسة نفوس كثيرة للسيد المسيح من عينات مختلفة ، على كافة المستويات الفلسفية والفكرية . لهذا عندما تحدث Farrar عن اللاهوت المسيحى فى مدرسة الاسكندرية قال : « الكرازة بالمسيحية أشبه بالطريقة التى تحدث بها الله قديماً مع الآباء ، تحمل سمة التعدد والتنوع . لقد قدمت للعالم حكمة غنية متنوعة ، إذ وقفت الكنيسة أمام العالم كإبنة الملك التى ذكرها المرتل أنها ملتحفة بثياب مزركشة . تستطيع أن تكون بسيطة مع غير المتعلمين ، وكيهودية مع اليهود، وكيونانية مع اليونانيين ، وبمعنى صالح ولطيف إنها كل شىء مع كل أحد . هكذا تحدث القديس بولس بطريقة معينة مع فلاحى

(١) للمؤلف : مقدمات فى علم الباترولوجى ، ١٩٧٤ ، ص ٧٠ .

لسترة ، وبطريقة ثانية مع الأبيقوريين وأتباع أرسطو بأثينا، وبطريقة ثالثة فى سنهدريم أورشليم. قليلون هم الذين وهبوا هذا التنوع السامى ، لكن ما لا يقدر إنسان بمفرده أن يفعله قام به معلمون مسيحيون متنوعون ... لقد لمسوا أوتاراً كثيرة لقلوب الكثيرين » (١).

وصف « شاف » قدرة المدرسة على الكرازة بين الفئات المتباينة خلال اتساع نظرتها قائلاً : « كانت من جهة حصناً للكنيسة ضد الأشرار ... ومن جهة أخرى كانت جسراً للعبور من العالم إلى الكنيسة . كان الموعوظون شعباً وخطباء » (٢).

٢- هذا الاتجاه جعل من أساتذة المدرسة رجالاً مسكونيين ، ليس فقط كسبوا كثيرين من ثقافات متنوعة ، لكن انفتاح فكرهم وجه أنظار الكنيسة الجامعة - فى الشرق والغرب - إليهم . وكما يتحدث Carl S. Meyer عن عميديها القديس اكليمنضس والعلامة أوريجين قائلاً : « كانا من أوائل الرجال الجامعيين (المسكونيين) وأعظمهم فى الكنيسة الأولى » (٣).. وفى القرون التالية حمل رجالها أمثال القديسين أثناسيوس الرسولى وكيرلس الكبير مسئوليات كنيسة على مستوى مسكونى .

كان من نتيجة ذلك ليس فقط صار لرجالها الصبغة المسكونية إنما تتلمذ على أيدى أساتذتها رجالاً من بقاع كثيرة ، صاروا قادة فكر مسيحى . وحمل بعضهم أعمالاً رعوية فى بلاد كثيرة ، نذكر على سبيل المثال القديس غريغوريوس أسقف نيصص الذى يفخر دوماً بمعلمه القبطى العلامة أوريجانوس .

هذا وقد تلقت الكنيسة - فى الشرق والغرب - الكثير من أعمال المدرسة بكل إجلال ... ترجمت باللغات المختلفة كاللاتينية والسريانية منذ القرون

---

(1) Farrar, Vol.1, P. 352 .

(2) Schaff, Vol.2, P. 256.

(3) Carl S. Meyer, P. 32 .

الأولى ، فقد ترجم روفينوس إلى اللاتينية الكثير من كتب أوريجانوس ، وكتاب « المعارف» لاكليمنضس الاسكندرى . وجمع القديسان باسيليوس القيصرى وغريغوريوس النزينزى بعض مقتطفات من كتاب « المبادئ » لأوريجين فى مؤلف لهما أسمياه « الفيلوكاليا » ... ولا نبالغ إن قلنا ان كتابات آباء الاسكندرية لازالت تحمل آثاراً على الكنيسة فى كل المسكونة لهذا يهتم العالم بترجمتها إلى اللغات الحديثة الحية .

٣- استطاعت المدرسة أن تروى ظمأ المسيحيين بالاسكندرية نحوالمعرفة الدينية ، وتحثهم على الدراسة والبحث . بهذا ساهمت المدرسة فى إنشاء أول نظام للدراسات اللاهوتية فى العالم، كانت بحق «مهد اللاهوت المسيحى» (١).. منها خرج رجال قادرون على الرد على أمثال كلسس مثل أوريجين ، والدفاع ضد الأريوسية مثل القديس أثناسيوس ، وضد نسطور مثل القديس كيرلس الكبير ...

٤- قيام هذه المدرسة « أعطى للطلبة إمكانية الحصول على التعليم الذى تقدمه المدرسة الوثنية العظمى ، لكن بواسطة معلمين مسيحيين » (٢).

٥- أخيراً ، كانت المدرسة سنداً لكنيسة الاسكندرية ، غالباً ما يختار أحد عمدائها أوتلاميذها بابا للاسكندرية ... وكما يقول نيافة الأنبا غريغوريوس : «امتد أثر المدرسة اللاهوتية إلى هنا وهناك ، فاشتهر طلبتها بتقواهم واتساع مداركهم وتفكيرهم . وكانت النتيجة أن باباوات الاسكندرية كانوا يختارون من بين رؤساء المدرسة وأساتذتها ، كذلك الأساقفة والكهنة . كان رئيس المدرسة يعتبر الرجل التالى بعد البابا ، سواء من الناحية العلمية أو الاجتماعية ، وإن كان ليس من الجانب الكنسى أو الطقسى . فنحن نعلم أن القديس مرقس عين يسطس أول عميد للمدرسة ،وقد صار البطريرك السادس ، وهكذا مركيانوس البطريرك التاسع ، وهيراقليس (ياروكلاس) الذى صار رئيساً للمدرسة بعد

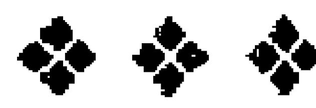
---

(1) Farrar, Vol.1, P. 352 .

(2) Bigg, P.67.

أوريجانوس والبابا الثالث عشر ، وخلفه ديونسيوس كرئيس للمدرسة وكبابا ، وأيضًا بطرس خاتم الشهداء كان رئيسًا للمدرسة وقد صار بابا الاسكندرية السابع عشر ، ثم خلفه ارشلاوس . هؤلاء جميعًا كانوا رؤساء للمدرسة قبل سيامتهم باباوات . لكن هناك باباوات كانوا من أساتذة المدرسة أو على الأقل من طلبتها ، منهم ألكسندروس البابا التاسع عشر ، وأثناسيوس الرسولى البابا العشرون ، وتيموثاوس البابا الثانى والعشرون ، وكيرلس عمود الدين البابا الرابع والعشرون .

بالحقيقة هذا هو سر القوة المخفية وراء كنيسة الاسكندرية فى القرون الخمسة الأولى . هذا هو سر شهرة باباواتها وبطاركتها ، إذ كانوا يحسبون كحراس للإيمان الأرثوذكسى ، وبسبب اتساع أفقهم كانوا شغوفين بالمعرفة ، فحسبوا « معلمى المسكونة » ، كانت لهم الكلمة الأخيرة الفاصلة » (١) .



وإننى أرجو فى الرب أن أقدم عرضًا سريعًا لبعض مديرى المدرسة الأولين من جهة تاريخ حياتهم وكتاباتهم وأفكارهم الأساسية ، وقد سبق أن أفردت كتاباً خاصاً عن البابا بطرس خاتم الشهداء أحد عمداء المدرسة ، كما أرجو أن تتاح لى الفرصة للكتابة عن بقية آباء المدرسة فيما بعد .



(1) Coptic Patr., P. 69-70 .

١

ما قبل أثيناغوراس

يسطس وأومانيوس ومركيانوس

تجاهل غالبية المؤرخين الغربيين رؤساء المدرسة الأولون : يسطس وأومانيوس ومركيانوس ، ناسبين بدء رئاسة المدرسة لأثيناغوراس الفيلسوف ، ولعل ذلك يرجع إلى عوامل كثيرة منها :

١- انشغال هؤلاء الآباء الثلاثة بالعمل الرعوى والكرازى خاصة بين غير المسيحيين قد ابتلع كل طاقتهم ، فلم تكن لهم فرصة للكتابة ، الأمر الذى لم يعطهم اسمًا بين الكتاب المسيحيين الأوائل ، أو لعله كانت لهم كتابات قليلة مفقودة .

٢- استطاع العلامة أثيناغوراس الفيلسوف أن يدفع بالمدرسة إلى تطور عظيم لكفاءته وقدرته الفلسفية ، مما جعل نجمه يتألق على سابقيه ، فنسب إليه بدء انطلاق المدرسة ، خاصة وأن كتاباته تداولت على مستوى مسكونى منذ القرون الأولى ، ولو أنه حتى أثيناغوراس هضم حقه ولم يذكر اسمه كواضع لهذه الكتابات كما سنرى . ورأى كثير من المؤرخين أن بنتينوس هو أول رئيس للمدرسة .

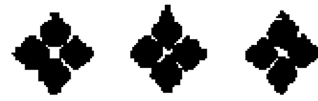


١- يسطس

ذكر القديس چيروم (١) أن مار مرقس الرسول هو مؤسس مدرسة اسكندرية المسيحية ، وجاء فى المصادر والمراجع القبطية أن الرسول فى أواخر حياته أقام يسطس عميداً للمدرسة ، هذا الذى عاصر الأربعة البطاركة الذين خلفوا مار مرقس حتى رسم هو بطريركاً للاسكندرية عام ١٢١ م .

ويمكننا أن نأخذ صورة لحال المدرسة فى أيامه مما ورد عن البابا انيانوس البطريرك الثانى ، الذى سامه القديس مار مرقس الرسول ، أنه قد اهتم بالمدرسة فكان جميع الملتحقين بها زاهدين فى الدنيا ، لا يكترثون بشىء من حطامها ، بل ينشغلون بالله وحده . ومن ثمة كان جميعهم متحدين بمحبة خالصة ، وفائزين بسلام الروح السماوى ، ليس بينهم فقير أو غنى ، إذ كان الأغنياء منهم يعطون أموالهم للفقراء ، ليفكر كل واحد منهم كيف يكون غنياً بالله . ولم يكونوا يتناولون مأكلاً سوى مرة واحدة كل يوم بعد الغروب ... كان ذلك للرجال والنساء على حدٍ سواء (٢).

من هذا يمكننا القول بأن أهم سمتين للمدرسة فى ذلك الحين هما : امتزاج الدراسة بالحياة الروحية العملية من صلاة وصوم وعطاء وانفتاح المدرسة لتضم بين صفوفها الجنسين معاً بلا تمييز .



٢- أومانيوس

أحد رجال الاسكندرية الأتقياء ، خلف يسطس فى رئاسة المدرسة ، كما خلفه فى البطريركية .

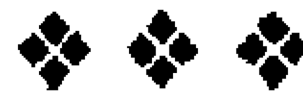
---

(1) De Viris Illustribus, P. 36.

(٢) الشماس (القس فيما بعد) منسى القمص : تاريخ الكنيسة القبطية ، ١٩٢٤ ،ص ٢١ .

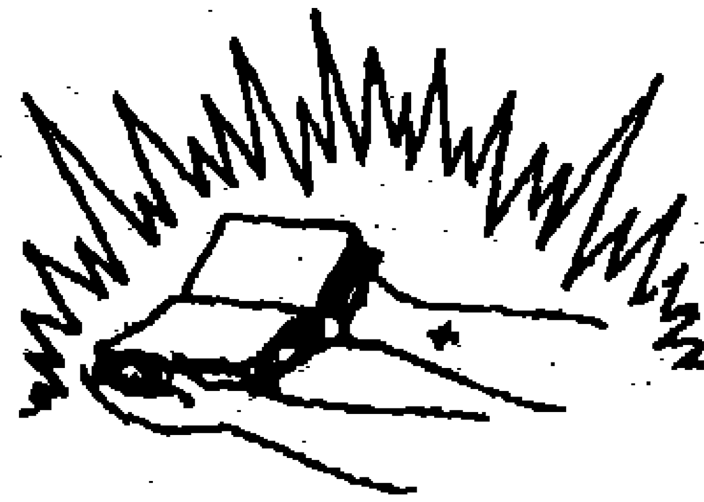
لا نعرف عن أقواله أو كتاباته شيئًا ، لكنه عرف بالعفة وعاش بتولاً ؛ اشتهر بسيامة عدد كبير من القسوس للخدمة فى الكرازة المرقسية ، أرسلهم إلى كل جهات القطر المصرى والنوبة والخمس مدن الغربية لنشر الإيمان المسيحى(١) .

فى عهده اشتد اضطهاد أدريان على المسيحيين فنال كثير من الأقباط إكليل الاستشهاد ، من بينهم القديسة صوفيا من منف ، التى نقل الامبراطور قسطنطين جسدها إلى القسطنطينية ، وشيد الكنيسة التى باسمها « أجيا صوفيا» .



٣- مركيانوس

ولد بالاسكندرية وعين مديراً للمدرسة ، كما سيم بطريركًا عام ١٤٤م ، وقد ثابر فى وقت اشتد فيه الاضطهاد من القيصر أنطونيوس . رقد فى الرب فى ٦ طوبه عام ١٥٤م .



(١) سليم سليمان : مختصر تاريخ الأمة القبطية ، ١٩١٤ ، ص ٣٥٦ .

٢

أثيناغوراس الفيلسوف

المدافعون

حديثنا عن الفيلسوف أثيناغوراس كرئيس مدرسة الاسكندرية يستلزم أن نأخذ فكرة سريعة عن « المدافعين The Apologists » بكونه واحداً منهم .

لقد وجد الدفاع – في معناه الواسع – قديماً قدم المسيحية ذاتها ، إذ بذل الكارزون بالانجيل كل جهدهم في البرهنة على حق الانجيل والاجابة على الاعتراضات الموجهة ضده(١) . كان حديث الشماس الأول اسطفانوس أمام مجمع السنهدريم (أع ٦ ، ٧) حديثًا دفاعياً ، وهكذا أيضًا خطاب الرسول بولس أمام فستوس (أع٢٤) ، وجاءت أعمال الشهداء أمثلة حية في الدفاع عن الإيمان المسيحي بكل مجاهرة أثناء محاكماتهم .

بقدر ما اتسمت المسيحية – منذ بدء انطلاقها – بالروح المسكوني ، فلم ترتبط بثقافة معينة أو أمة خاصة ... وجدت نفوس عطشى للإيمان من أصل يهودي وروماني ويوناني ومصري وسرياني .. الخ . هذا الأمر شكل خطراً يهدد كيان الدولة الرومانية التي وإن أظهرت تسامحاً في ترك الدول التابعة لها أن تمارس عبادتها المحلية ونشاطها الثقافي المحلي ، لكنها أرادت أن تسود بعبادتها الرومانية وثقافتها لكي تضمن ولاء الدول لها ، لهذا اتهم المسيحيون بالخيانة للامبراطور ... خاصة وأنهم كانوا يرفضون السجود لتمثال الامبراطور والتعبد له . ومن جانب آخر ، هاجمت الجماهير على المسيحيين إذ رأوا فيهم احتقاراً لمشاعرهم الشعبية بسبب احجامهم عن المشاركة في الاحتفالات الدينية العامة . هذا وقد كرس بعض الكتاب والفلاسفة من يهود وأمميين جهدهم للهجوم على المسيحية والمسيحيين ، يتهمونهم بالكفر والالحاد، ويفترون على انجيلهم ، وينسبون إليهم اتهامات أخلاقية ، بجانب الخيانة للامبراطور واحتقار الجماهير . ولعل أهم هؤلاء الكتاب هم لوسيان الساموساطي Lucian of Samosata والفيلسوف فرنتو من Cirto معلم الامبراطور مرقس أوريليوس والأفلاطوني كلسس .

---

(1) Lebreton, P. 443 .

وكما تقدم كثير من المسيحيين من كل الفئات والأعمار والثقافات للاستشهاد بفرح ، انبرى أيضاً بعض الكتاب المسيحيين يدافعون عن الإيمان المسيحى والمسيحيين ، هؤلاء دعوا « المدافعين » ظهروا على وجه الخصوص فى القرنين الثانى والثالث ، وضعوا أمامهم ثلاث أهداف(١) :

١- الرد على الاتهامات العامة ، خاصة الاتهام بأن الكنيسة تمثل نكبة على الدولة . فقد أكد هؤلاء المدافعين أن الإيمان المسيحى يمثل قوة تسند سلام الدولة وتعمل على رفاهيتها ، لا لصالح الامبراطور والدولة فحسب بل والحضارة أيضاً .

٢- كشفوا عن لا أخلاقيات الوثنية وضلال أساطيرها ، كما أعلنوا عن الإيمان المسيحى بكونه وحده القادر أن يقدم فهماً صحيحاً بخصوص الله والعالم والإنسان . لقد دافعوا عن العقائد الرئيسية مثل وحدانية الله ، لاهوت السيد المسيح ، قيامة الموتى .. الخ . كما حملت كتاباتهم روحاً كرازياً ، فاهتمت بجذب القارئ ليقبل الحق ويتفهمه . دعته ، بلغة ذلك العصر أى خلال الفلسفة ، لقبول الإيمان الجديد ، وكشفت له عن جمال الحياة المسيحية وعفتها .

٣- تحدثوا عن الفلسفات بكونها اعتمدت على العقل البشرى وحده ، فحملت جانباً من الحق ، لكن ليس كل الحق ، كما امتزج هذا الجزء من الحق بأخطاء كثيرة . أما الإيمان المسيحى فقدم الحق خلال اللوغوس « كلمة الله » الذى نزل على الأرض معلناً الحق الإلهى للبشر . لهذا فلا وجه للمقارنة بين المسيحية والفلسفة اليونانية ، فالأولى إلهية والثانية بشرية .

وفيما يلى صورة مختصرة جداً عن أهم المدافعين المسيحيين الأولين :

١-القديس كوادراتس ST. Quadratus : يعتبر أقدم المدافعين المسيحيين ، كتب دفاعه عن الإيمان المسيحى فى آسيا الصغرى ، موجهاً إياه للامبراطور

---

(1) Quasten : Patrology, Vol.1, P. 186, 187.

هادريان (١) . فى هذا الدفاع هاجم آلهة اليونان ومصر الوثنية ، كما ذم الأخلاق اليونانية الوثنية . يرى J.R. Harris أن الدفاع قدم للامبراطور أنطونيوس بيوس (١٣٨-١٣٦م) فى بداية حكمه .

عرفه القديس چيروم (٢) كأسقف لأثينا ، عاش فى أيام حكم مرقس أوريليوس ، وهو أمر مرفوض تماماً (٣).

٢- أرستيديس Aristides : من رجال القرن الثانى ، فيلسوف مسيحى ومدافع من أثينا . قرر يوسابيوس (٤) أنه كالمدافع السابق له ، قدم دفاعه لهادريان ، ولو أن البعض يرى أنه قدمه لأنطونيوس بيوس .

فى دفاعه أوضح أن المسيحيين لهم ادراك لطبيعة الله بطريقة أكمل مما للبرابرة واليونان واليهود ، وأنهم وحدهم يحبونه حسب وصاياه . دافع فيه عن وجود الله وأبديته ، كما شمل التماساً وجهه إلى جميع الذين ليس لهم معرفة الله أن يقتربوا إلى الإيمان المسيحى ليكونوا مستعدين للظهور أمام قضاء الله(٥).

٣- أرسطون Ariston of pella : يبدو أنه أول مسيحى دافع عن المسيحية ضد اليهود كتابة . وقد جاء دفاعة (حوالى عام ١٤٠م) فى شكل حوار بين جاسون المسيحى من أصل يهودى وبابيسكوس Papiscus يهودى اسكندرى ، ولا نعرف إن كانت هاتان الشخصيتان حقيقيتين أم رمزيتين .

٤- الشهيد يوستين ST. Justin the Martyr (حوالى ١٠٠م - ١٦٤) .
ولد فى فلافيا نابوليس بفلسطين من أبوين وثنيين . التحق بمدارس فلسفية لعلها تقدر أن تشبعه حتى انتهى بحثه بالإيمان المسيحى .

---

(1) Oxford Dict. of the Christian Church, P. 1149, 84. Eusebius : H.E. 4 : 3 : 1,2 .

(2) ST. Jerome : De Viris Illustribus 19; Epis. 70:4.

(3) Quasten : Patrology, Vol.1, P. 191.

(4) Euseb. : H.E. 4 : 3 : 3 .

(5) F.L. Cross : The Early Christian Frs, London 1960, P. 47.

فتح مدرسة فى روما تتلمذ فيها تاتيان وربما أيضاً ميلتيادس .

كتب دفاعين وحوار مع اليهودى تريفو ، وفى كتاباته لم يفرق القديس بين اللاهوت والفلسفة بطريقة دقيقة (١).

٥- تاتيان السريانى Tatian the Syrian : ولد عام ١٣٠م من أبوين وثنيين ، وتعلم البلاغة والفلسفة ، وقبل الإيمان المسيحى فى روما ما بين ١٥٠ و ١٦٥م ، وتتلمذ على يدىّ القديس يوستين ، لكنه اختلف عنه فى آرائه .

عرف بالتطرف فى آرائه ، فقد علّم بالرفض التام لكل فلسفة يونانية ، وأظهر امتعاضه حتى للحضارة اليونانية من فن وعلم ولغة ، لكنه لم يقدر أن يتخلص من الفكر اليونانى تمامًا . وإذ عاد إلى الشرق سقط فى بدعة فالنتينوس الغنوسى ، ثم عاد وانتمى إلى طائفة الانكراتيين Encratites الذين يمتنعون عن شرب الخمر حتى استعاضوا عنه بالماء ، فى سر الافخارستيا ويحرمون أكل اللحوم وينظرون إلى الزواج زنا ، ويحرمون على النساء استخدام الحلى .

كتب « مقالاً لليونانيين » ، فى هذا المقال لم يهدف للدفاع عن المسيحية بقدر ما كان يدعو لمدرسته .

٦- ميلتيادس (٢) Miltiades : خطيب ولد فى آسيا الصغرى ، معاصر لتاتيان ، وربما كان تلميذاً للقديس يوستين . وضع عدة أعمال دفاعية : واحد ضد اليونانيين ، والآخر ضد اليهود ، وثالث « للسلاطين الحاكمة » مدافعاً عن الفلسفة التى اتبعها ، كما كتب أيضاً ضد الغنوسية والمونتانية .

٧- القديس أبوليناريس (٣) ST. Claudius Apollinaries : أسقف هيرابوليس بفريجيا . من رجال القرن الثانى . مدحه معاصروه كثيراً بسبب

---

(١) د. وهيب عطا الله (نيافة الأنبا غريغوريوس) : الفلسفة المسيحية ، ص ٦ .

(2) Euseb : H.E. 5: 17 :5 .

(3) Ibid, 4 : 27.

سمو معرفته وفضائله (١) . كتب سلسلة من الكتب الدفاعية .

٨- ثيوفيلس أسقف أنطاكية (٢) : اجتذبته القراءة في الكتاب المقدس إلى الإيمان المسيحي . كتب دفاعه حوالي عام ١٨٠م في ثلاث كتب وجهها إلى صديقه الوثني أوتوليكس Autolucum ، حيث أظهر الفكر المسيحي لله وسمو التعليم بالخليقة ، مندداً بالأساطير الدينية الأمبلبية . يؤخذ عليه عدم دقته في عرض آراء الفلاسفة اليونانيين .

٩- ميليتو Melito أسقف ساردس : أحد أقطاب الكنيسة في القرن الثاني(٣) ، غزير في علمه . وجه دفاعه للامبراطور مرقس أوريليوس ما بين عامي ١٧٠ ، ١٧١ م.

١٠- الرسالة إلى ديوغنيتس Diognetus : هي دفاع عن المسيحية في شكل رسالة موجهة إلى أحد الوثنيين ، ذي شأن ، يسمى ديوغنيتس . لا يعرف على وجه التحديد من هو الكاتب ، ولا من الذي أرسلت إليه . وهي تحمل اتجاهات أرستيديس ، كما استخدم الكاتب عبارات وردت في القديسين ايريناؤس وهيبوليتس الروماني .

١١- مينوكيوس فيلكس Minucius Felix : أفريقي ، من رجال القرن الثاني أو الثالث . كتب باللاتينية دفاعًا عن المسيحية في شكل حوار بين أوكتافيوس المسيحي وكاسليوس الوثني ، انتهى بقبول الأخير الإيمان . في هذا العمل يفند الكاتب الاتهامات الموجهة ضد المسيحيين ، مهاجمًا الأساطير الوثنية ، لكنه قليل الحديث عن التعاليم المسيحية .

ولفيلكس عبرته المشهورة : « ليست بلاغة أعظم من الحياة » ، معلناً أن الحياة المسيحية هي أعظم شهادة للحق وفوق كل بلاغة.

---

(1) Rev. B. Schmid : Manual of patrology, 1903, P.99.

(2) Euseb. : H.E. 4 : 50.

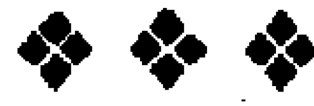
(3) Ibid 5 : 24 : 5 Shmid, P. 100.

يرى بعض المؤرخين أن فيلكس جاء بعد ترتليان واعتمد عليه .

١٢- ترتليان : أحد آباء الكنيسة الافريقية ، نشأ فى قرطاجنة ، حيث تعلم الأدب والبلاغة ومارس المحاماة . قبل الإيمان المسيحى قبل عام ١٩٧م ، لكنه سقط فى البدعة المونتانية (١) . أخذ موقفاً معادياً للفلسفة ، إذ يقول فى دفاعه : «أى شركة بين الفيلسوف والمسيحى ؟! بين تلميذ اليونان حليف الباطل وتلميذ السماء عدو الباطل وحليف الحق ؟!» (دفاع ٤٦) .

١٣- هرمياس Hermias : لا نعرف شيئاً عن حياته . وضع مقالاً قصيراً يسمى Irrisis أو « سخرية بالفلاسفة الوثنيين » ، فيه ينقض آراءهم فى النفس وفى العناصر الأساسية للعالم . تعتبر كتاباته ضعيفة .

١٤- أقوال سكتوس : قام روفينوس بترجمة ١٤٥ قولاً له إلى اللاتينية ؛ قدمه كفيلسوف فيثاغورى صار أسقفًا لروما وشهيداً (٢٥٧-٢٥٨م) ، لكن القديس چيروم نفى ذلك بشدة . وقد مالت أقواله بالأكثر إلى الجانب الأخلاقى التى تحكم الحياة ، وهى تذكرنا بفلسفة الحياة عند القديس اكليمنضس الاسكندرى (٢) .



بعد عرضنا فى اختصار لحياة بعض المدافعين المسيحيين الأول نتحدث عن الفيلسوف أثيناغوراس كرئيس لمدرسة الاسكندرية وأحد المدافعين الأول .



(١) ادعى مونتانيوس أنه البارقليط الموعود به فى الانجيل .

(2) Quasten ; Patrology, Vol.1, P. 171.

أثيناغوراس الفيلسوف

تجاهل المؤرخين له

كان أثيناغوراس شخصية فلسفية كبيرة ، ومع ذلك أغفله المؤرخون الأول أمثال يوسابيوس وچيروم . وحتى كتاب « الدفاع » الذى وضعه كإلتماس للامبراطورين مرقس أوريليوس أنطونيوس وابنه شريكه فى الحكم كومودوس انتشر خلواً من اسمه ، ونسب خطأ للقديس يوستين قبل القرن الرابع (١) . لكن الشهيد ميثوديوس أسقف أولمبياس (٢) إذ اقتطف فقرات منه فى كتابه : « عن القيامة » نسب الكتاب إلى العلامة أثيناغوراس(٣) . عاد القديس أبيفانيوس(٤) وفوتيوس(٥) فاقتبسا النص ذاته . وقدم فيلبس الصيدوى(٦) Philip of Side معلومات هامة عن أثيناغوراس ، ولو أن معلوماته بصفة عامة لا يمكن الاعتماد عليها (٧). استقى معلوماته عن أثيناغوراس بلا شك عن أستاذه العلامة رودن Rhodon ، آخر مدير لمدرسة الاسكندرية فى حكم الامبراطور ثيؤدوسيوس الكبير .

حياته

لا نعرف الكثير عن حياته ، لكنه كان فيلسوفًا يرأس إحدى كراسى الأكاديمية ، الموزيم Museum ، بالاسكندرية ،ويعتبر من أساطين الديانة الوثنية . كان مولعًا بالبحث فى أمر الديانة المسيحية كغيره من الفلاسفة

---

(١) د. وهيب عطا الله : أثيناغوراس الفيلسوف المسيحى ، ١٩٦١ ، ص ١ .

(٢) استشهد عام ٣١١ م .

(3) J.H. Crehan : Athenagoras (Ancient Christian Writers, Vol. 23) , London 1956, P.7, 120.

(4) ST. Epiphanius ; Ad Haer 64: 21 PG 41 : 1101.

(5) Photius : Bibl. God. 234. PG 63 : 1109.

(٦) من رجال القرن الخامس ، شماس للقديس يوحنا ذهبى الفم .

(7) Socrates : H.E. 7 : 27 PG; 800, 801.

الأفلاطونيين طمعاً فى كشف أخطائها وإظهار فسادها (١) . وإذا أراد أن يضرب بسهام نقده بكل قوته عكف على دراسة الكتاب المقدس ، لكن الروح القدس أمسك به بقوة وعوض أن يخرج مجلداته ضد الإيمان المسيحى إذا به ينجذب للإيمان حوالى عام ١٧٦م . وإذ قبل المعمودية والتصق بالمسيحيين أدرك سمو الحياة الانجيلية فكتب دفاعه عن المسيحية والمسيحيين .

لشخصية أثيناغوراس أهمية خاصة ، فهو أول فيلسوف أهلته غيرته الشديدة واجتهاده فى الدراسة أن يصير عميداً لمدرسة اسكندرية اللاهوتية دون أن يخلع عنه زى الفلاسفة (٢) the philosopher pallium . ويعتبر أول مسيحى معروف حمل مع إيمانه حذواً نحو الفلسفة .

كتاباته

وضع العلامة أثيناغوراس عملين هامين هما : التماسه أو شفاعته (ابريسفيا) عن المسيحيين ، عن القيامة من الموتى .

تلمس فى كتاباته العقل الفلسفى الذى هذبته الثقافة اليونانية مع ملكة رائعة فى الكتابة (٣) . قال عنه Donaldson ، أنه اقتبس شعراً (يونانياً) لكن الهدف كان واضحاً نصب عينيه ، لم يستعرض قط إمكانياته ، ولا يشتت ذهن قارئه (٤) .

أولاً : إلتماسه (دفاعه) عن المسيحيين

١ – جاء هذا العمل الرائع فى مادته وشكله ثمر عمل روح الله فى حياته وهو يدرس الكتاب المقدس بقصد الهجوم عليه . أما عنوان العمل فهو : «شفاعة عن المسيحيين» ، يحوى ٣٧ فصلاً . يبدو أنه قام برحلة لتقديم هذا

---

(1) Bucher : Story of Church of Egypt, London 1897, P.43, 44 .

(2) William Schoedel ; Athenagoras , Oxford, 1975, P. IX.

(3) Schmid : Manual of Patrology, P. 97.

(4) Schaff, Vol. 2, P. 732.

الالتماس للامبراطورين الفيلسوفين مرقس أوريليوس أنطونيوس (١٦١-١٨٠م) وابنه شريكه فى الحكم كومودوس Commodus.

٢- كان أثيناغوراس معاصراً للمدافع تاتيان تلميذ يوستين ، لكنه اختلف فى دفاعه عن الاثنين من جهة :

ا - نظرته إلى الفلسفة اليونانية والثقافة الهيلينية أكثر حنواً من تاتيان(١) ، كما لم يحمل مشاعر يوستين النابضة بالكراهية للفلسفة ، بل استخدم عبارات تكشف عن حكمة اليونانيين ، ولو أنه فى النهاية برهن على وجود تضارب فيما بينها ، لأن الفلاسفة يستنبطون حججهم بالبحث بذواتهم ، أما الأنبياء إذ يدفعهم روح الله يستطيعون أن يقدموا شهادة جماعية غير متضاربة للحق الإلهى (دفاع ٧ : ١) .

لقد تحدث عن المسيحية وكأنها على قدم المساواة مع الفلسفة . من هذه النقطة طالب الدولة بالسماحة من المسيحيين . لكن فى رأيه أن المسيحية ليست عقلانية ، كما أراد يوستين من قارئيه أن يعتقدوا ، إنما هى إعلان إلهى فريد فى نوعه . حماس النشوة النبوية لم يكن برهاناً بشرياً إنما هو اعلان للحق المطلق(٢) (دفاع ٩) .

ب - كان أقدر من يوستين فى اللغة والأسلوب وترتيب المادة ، بل كان أكثر المدافعين المسيحيين بلاغة بلا جدال(٣) . قال عنه Mansel Spencer أنه أفضل المدافعين ، بليغ ومتحرر من زخرف اللغة ، قوى فى أسلوبه ... معروف بوضوح الفكر وقدرته على الإفحام(٤) ، كما وصف أنه أقدر المدافعين على الاستمالة (٥).

جـ- امتاز عن يوستين باعتداله وتعقله ، فلم يكتب بطريقة وعظية ، بل

(1) Quasten : Patrology, Vol 1,P. 229.

(2) Hanz Lietzmann : A History of the Early Church, London 1974, Vol.2, P.186, 187.

(3) Quasten : Patrology, Vol.1, P. 279.

(4) Schaff, Vol.2 , P. 732.

(5) J. Stevenson. A New Eusebius, London 1974, P. 398.

كان يهدف بوضوح إلى تقديم حكم فى قضية المسيحيين بطريقة هادئة غير عاطفية (١). كتب باسم الفلسفة وباسم العدالة التى اشتهر بها الامبراطوران ، مدللاً على بطلان الاتهامات الموجهة ضد المسيحية من الوشاة ، ربما قصد بهم السوفسطائيين أمثال كريسكنس Crescens ، وفرونتون Fronton ، وكلسس(٢) Celsus ، دون أن يتهم الامبراطورين بالظلم ، إذ يعلم أن غلاظة القول إنما تزيد الحقد .

تظهر رقته فى الأسلوب واعتداله فى قوله أن العالم كله -مدناً وأفراداً- يتمتعون بحسن معاملتكم . المسيحيون وحدهم مضطهدون بسبب إشاعات وأقاويل ... ، إذا استطاع أحد ، حقاً ، أن يثبت علينا جريمة ، صغيرة كانت أو كبيرة ، فإننا لا نطلب أن نعفى من العقوبة ، بل نحن على استعداد أن نحتمل أشد عقاب أو أقصاه ، (دفاع ٢) .

٣- فى هذا الاحتجاج فند أثيناغوراس الاتهامات الثلاثة التى وجهت ضد المسيحيين فى ذلك الحين ألا وهى : الإلحاد ، أكل لحوم البشر ، ممارسة المعاشرات الأودبية . أما علة اتهاماتهم فغالباً ما ترجع إلى الأسباب التالية :

ا - رفض المسيحيين الاشتراك فى الطقوس الشعبية التقليدية الخاصة بأعياد الآلهة . لهذا اتهموا بكراهيتهم للآلهة والإلحاد ، كما اتهموا باحتقارهم الشعوب الأخرى وعدم ولائهم للامبراطور .

ب- أساء الوثنيون فهم ، سر الافخارستيا ، ، فظنوا فيهم آكلى لحوم البشر.

جـ- الاجتماعات المغلقة الخاصة بممارسة الليتورچيات السرائرية مع وجود علاقات وطيدة بين المسحيين وبعضهم البعض ، واشتراك الجنسين معاً حتى فى الدراسة فى مدرسة الاسكندرية ، هذا كله أدى إلى تشكك الوثنيين فى أمر هذه الاجتماعات ، لهذا اتهموهم بالمعاشرات الأودبية حتى يحطموا هذه الاجتماعات المغلقة ويعرفوا أسرارها .

---

(1) Philip Carrington : Early Christian Church, Vol. 2, P. 239.

(٢) الأنبا غريغوريوس : أثيناغوراس الفيلسوف ، ص ٨ .

٤- من جهة الاتهام بالإلحاد أكد أثيناغوراس أن المسيحيين وإن كانوا لا يؤمنون بتعدد الآلهة لكنهم يؤمنون بالله الواحد . هذه الوحدانية ليست غريبة عن الفكر اليونانى ، بل وجدت لدى بعض شعرائهم وفلاسفتهم ، ومع ذلك لم يتهموا بالإلحاد (فصل ٦) ، مع أن براهينهم التى قدموها ضعيفة ، أما المسيحيون فقد تقبلوا إعلاناً إلهياً وتعليماً خلال الأنبياء بواسطة الروح القدس . بجانب هذا وجدت البراهين العقلية جنباً إلى جنب مع إيمانهم ، فالمسيحى يقبل الله بطريقة أكثر نقاوة وكمالاً مما لكل الفلاسفة .

المسيحيون لا يعبدون آلهة كثيرة ، ولا يقدمون ذبائح دموية ، ولا يعبدون العالم ، بل خالقه (فصل ٨ ، ٩ ، ١٦) . يؤمنون بالله السرمدى الروح الذى هو : « الآب والابن والروح القدس » (فصل ١٠) .

٥- أما عن الاتهام بأنهم أكلة لحوم البشر فيقول أنه لو كان هذا حق التزم الأمر ارتكاب جرائم قتل ؛ لكن المسيحيون يفزعون من رؤية من يحكم عليهم بالاعدام ، كأنهم يشتركون فى جريمة القتل مع منفذ الاعدام (فصل ٣٥) . يقول أيضاً كيف يفعلون هذا وهم لا يطيقون مشاهدة ألعاب المصارعة من السباع والحيوانات الضارية التى يتلذذ الوثنيون بمشاهدتها ؟! ويدلل على كذب هذا الاتهام من أن المسيحيين يعتبرون النسوة اللائى يستعملن العقاقير لإسقاط جنين قتلاً يسألن عنه أمام الله . أخيراً فإن المسيحيين وهم يؤمنون بقيامة الأجساد كيف يجعلون من أنفسهم ضريحاً لأجساد لا بد أن تقوم ؟!

٦- أوضح الفيلسوف أن أخلاق المسيحيين العالية تدرأ عن الاتهام الظالم من جهة المعاشرات الأودبية ، إذ يعتقدون أن الله ينظر أفكارهم وحركات قلوبهم ونظراتهم . إن هذا الاتهام يصدق على الوثنيين الذين نظموا قصصاً من هذا النوع عن آلهتهم ، فقالوا أن زيوس أنجب أولاداً من أمه ريا وابنته كوريا واتخذ أخته زوجة (فصل ٣٢) .

أكد أيضاً كذب الاتهام من الاحترام المتبادل بين المسيحيين وبعضهم البعض ، ونظرتهم المقدسة للزواج ، رفضهم الطلاق ، وحبهم للحياة البتولية .

٧- أوضح أيضاً إخلاص المسيحيين للحكام ، فهم يصلون من أجل خير المملكة وثباتها ودوام انتقال التاج الامبراطورى فى النسل الملكى .

٨- فى دفاعه تخطى الدفاع إلى الكرازة ، فوجد الفرصة سانحة لإعلان الحق أمام الامبراطورين وكل من يقرأ الاحتجاج ... يعلن الحق مؤيداً ذلك بدلائل مقتبسة من أقوال الشعراء والفلاسفة مع قليل من نصوص الكتاب المقدس ؛ فهو يحدثهم بلغة العصر التى يفهمونها .

٩- فى دفاعه اهتم بإبراز سمو الحياة المسيحية . استخدم العلامة أوريجين ذات البرهان فيما بعد بقوة فى دفاعه ضد كلسس . فإن المسيحية وحدها تستطيع أن ترفع القطيع الصغير إلى الفضيلة العالية ، الأمر الذى يعجز الفلاسفة عن البلوغ إليها (١) .

ثانيا : عن قيامة الموتى

يحوى هذا المقال ٢٥ فصلاً ، ويعتبر أول محاولة يقوم بها كاتب مسيحى ليؤكد عقيدة القيامة ببراهين فلسفية وليس بدلائل من الوحى وحده ... ويعتبر من أفضل ما كتب فى هذا الشأن فى الكتابات المسيحية الأولى(٢) . وبالرغم مما يشوبه من بعض العيوب ، لكنه يكشف عن عمق فى الإدراك ومهارة فى التفكير(٣) .

أما سبب كتابة هذا المقال فهو نظرة رجال عصره إلى قيامة الأجساد فى شىء من الشك ، حتى كانت هذه العقيدة حجر عثرة أمام الناس فى اعتناقهم الإيمان المسيحى . هذا ما نلمسه فى ردود الفعل تجاه تصريحات الرسول بولس عن القيامة فى محكمة أريوس باغوس بأثينا . كان بعضهم يهزأون ، والآخرون يقولون سنسمع منك عن هذا مرة أخرى (أع ١٧ : ٣٢) . هذا وقد عرف المضطهدون أن سر قوة المسيحيين واحتمالهم العذابات بفرح هو

---

(1) Leberton, P. 482 .

(2) Altaner ; Patrology , P. 130.

(3) Schmid , P. 97.

رجاءهم فى القيامة ، لذلك كانوا يبذلون كل الجهد أن يبددوا ذخائر الشهداء لا ليحرموا المؤمنين من اقتنائها فحسب ، إنما كانوا يظنون أنهم بهذا يبددون رجاء المسيحيين فى قيامة الأجساد(١) .

ينقسم هذا المقال إلى جزئين رئيسيين : الأول (فصل ١ - ١٠) يمثل الجانب السلبى ، ألا وهو الرد على اعتراضات الفلاسفة ضد قيامة الأجساد . والثانى (فصل ١١ - ٢٥) يمثل الجانب الإيجابى ، ألا وهو تقديم البراهين على حقيقة القيامة . هذا ويمكن القول بأن الجزء الأول يعرض موضوع « الله والقيامة » ، أما الثانى فيعرض « الإنسان والقيامة » .

١- فى الجزء الأول أوضح أن اعتراضات الفلاسفة على القيامة تقوم إما بسبب نقص معرفة الله أو قدرته أو مشيئته فى القيامة . فمن جهة المعرفة فإن الله الذى يخلق الأجساد يعرف أن يقيمها . ومن جهة القدرة فإنه إذ يقدر أن يخلق من العدم ألا يقدر أن يعيد تكوينها حتى إن تحللت أو تناثرت أو اندمجت عناصرها فى الأرض أو فى النبات أو الحيوان أو فى الانسان . أما من جهة المشيئة ، فإن الله لا يشاء القيامة إما خوفًا من أن يلحق بالقائم من الأموات ظلمًا أو لأن فى القيامة ما يشين الله . والحق أن القائم من الأموات لا يلحقه ظلم ولا تشين القيامة الله فى شيء ..

٢- يعطى فى الجزء الثانى دلائل على القيامة خلال علاقتها بالإنسان :

ا - القيامة ضرورية للإنسان الذى خلقه الله كائنًا عاقلاً ليعيش إلى الأبد (١١-١٣) .

ب - يتكون الإنسان من الجسد والنفس ، هذه الوحدة يحطمها الموت لتعيدها القيامة من جديد فيحيا إلى الأبد (١٤ - ١٧) .

جـ- ينبغى أن يشترك الجسد مع النفس فى المكافأة فى العالم الآتى كما اشتركا معاً فى التصرفات هنا (١٨-٢٣) .

د- خلق الإنسان من أجل السعادة الأبدية التى لا تتحقق بوجوده هنا على الأرض ، وإنما فى الحياة الأخرى (٢٤ ، ٢٥).

---

(1) Leberton, P. 483 .

أفكاره ولاهوتياته

١ - الله

يعتبر أول مفكر مسيحي حاول أن يبرهن على وحدانية الله بطريقة فلسفية علمية(١) ، مستشهداً بأدلة من الفلاسفة عن وحدانية الله التى شهد عنها الأنبياء (دفاع ٥-٩) .

تحدث عن الله كخالق العالم (دفاع ١٩) ، يديره فى إبداع (دفاع ١٦ ، ٢٥) . هو روح بسيط غير مركب ، سرمدى، كامل فى كل شيء ، قادر على كل شيء (دفاع ٢٧) .

فى حديثه عن الله الواحد تحدث عن الثالوث القدوس كجوهر واحد ، الآب هو العقل والابن هو اللوغوس (الكلمة غير المخلوق) ، واحد مع الآب منذ الأزل ، والروح القدس . تحدث بإدراك كامل ودقيق لوحدانية الله ، وحدة الثالوث وتمايزه (٢) . وقد حذر أثيناغوراس من فهم « الآب والإبن » بطريقة فلسفية ، كما أكد أن « الإبن » لا يعنى خروجه عن الآب فى وقت ما ، وإنما هو كائن معه أزلياً (دفاع ١٠ : ٢) .

يقول أيضاً أن عمل المسيحيين الأساسى هو : « أن يروا ما هى وحدة الإبن فى علاقته بالآب ، وما هى شركة الآب مع الإبن ، وما هو الروح ، وما هى وحدانية هؤلاء والتمايز بين المتحدين : الروح والإبن والآب » (دفاع ١٢ ، ١٠) .

أما عن الروح القدس فيقول : « نحن نؤكد أن الروح القدس نفسه الفاعل

---

(1) Quasten : Patrology, Vol.1, P. 232 .
Oxford Dict. of the Christian Church, P. 103 .

(2) J.F. Bethune- Baker: An Introduction to the Early History of Christian Doctrine , London 1920,P. 128-9.

فى الأنبياء ، إنما هو فيض من الله ، يصدر عنه ، ويرتد إليه كشعاع من الشمس ، (دفاع ١) .

٢- الملائكة

إيماننا بالملائكة كخلائق سماوية خادمة لله وتهتم بالخليقة – فى نظر أثيناغوراس – جزء لا يتجزأ من الإيمان العام ، فبعد دفاعه عن الاتهام بالإلحاد أضاف : « على أن تعليمنا فيما يختص بالطبيعة الإلهية لا يقف عند هذا الحد ، فنحن نسلم أيضاً بجمهور من الملائكة والخدام » (دفاع ١٠ : ٣) . وكأن إيماننا بالله ليس كائناً منعزلاً عن الخليقة السماوية والأرضية ! السمائيون – عند أكليمنضس – هم كائنات سامية أقامها الله لحفظ الكون ، تعلن عن تدبير الله ورعايته ، أعطاها الله – خلال كلمته – أن تعتنى بالعناصر والسموات والأرض وما عليها حسن تدبيرها جميعاً (دفاع ١٠) .

جاء هذا التعليم عن التقليد اليهودى ، وقد أخذ به القديسان ايريناؤس وغريغوريوس أسقف نيصص ، ودعاه « تقليداً » (١).

٣- الإنسان

اختلف أثيناغوراس عن أفلاطون ، فالأول يرى الإنسان نفساً وجسداً وحدة واحدة ، ما يصدر عنه يشترك فيه النفس والجسد معاً ، أما الثانى فيرى الإنسان مجرد نفس تستخدم الجسد (٢).

يرى أثيناغوراس فى أعضاء الجسد آلات خلالها تتم الأفعال ، وبها تظهر الأفكار والأقوال ؛ لكنها تشترك مع النفس فى المسئولية . لهذا لا تقوم العبادة الكاملة بغير شركة الجسد مع النفس ، ولا تكون الدينونة عادلة ان لم تقع على الاثنين (دفاع ٢٧ ، قيامة الموتى) .

---

(1) J. Daniélou : Les Anges et leur mission, Chevetogne, 1953, P. 62-7.

(2) J. Daniélou : The Theology of Jewish Christianity, London 1964, P. 47.

٤- حقوق الجنين

فى الوقت الذى كان فيه القانون لا يعامل الجنين ككائن له حقوقه ، إذا بأثيناغوراس يكشف عن تعليم الكنيسة فى ذلك الحين ، ان الجنين كائن له حق الحياة ، فإذا استخدمت عقاقير لإجهاضه يكون ذلك جريمة قتل .

٥- الشـر

يرى أثيناغوراس أن بعض الملائكة سقطوا فى الشـر بمحض اختيارهم ، وذلك بتعديهم السلطان المعطى لهم ، وذلك بسقوطهم فى الشهوات مع بنات الناس وأستعبادهم للذة البهيمية .

إن تأملت نفس الإنسان الحق ، وتطلعت نحو الآب صار الإنسان روحانياً . أمـا علة شره فهو انصرافه عن هدفه الأصلى من وجوده (قيامة ٢٤) ، وارتباكـه فى الماديات (دفـاع ٢٧) . بهـذا تفـقـد النفس سـموها وتمتلكهـا الشياطين فتلقى فيها أفكاراً مضللة .

٦- الحرية الإنسانية

إذ يضع المسيحيون – مثل أثيناغوراس – الخالق كمركز لفلسفتهم يلزمهم تأكيد أهمية الإنسان وحرية إرادته[١] (دفاع ٢٤ ، ٢٥) .

هذه الحرية تجعلنا أمام مسئولية ،فندان عن كل تصرف يصدر عنا . فإن سقط الإنسان فى الشر يدان ، فيلقى فى نار أبدية لأن نفسه لا تفنى ، وإن أرضى الله يعيش الإنسان فى حياة أبدية سماوية .

٧- الوحى الإلهى

يعتبر أثيناغوراس شاهد ممتاز للتعليم بالوحى[٢] : « سلك الشعراء فى هذا الموضوع كما فى غيره سبيل الحدس والتخمين ، وقد اندفع كل منهم بنفسه ، محـاولين أن يجدوا الحق وأن يدركوه ، مدعين أنهم على اتصال بإلهام من

(1) W.R. Schoedel- Athenagoras, P. XXII.

(2) Quasten, Vol.1, P. 233.

قبل الله ، لكنهم لم يكونوا أهلاً بالتمام لإدراك الحق ، إذ حسبوه من اللائق أن يتعلموا عن الله لا من الله نفسه بل كل يتعلم من ذاته . لهذا انتهى كل منهم إلى رأى فيما يختص بالله والمادة وشكلها والعالم . أما من جهتنا نحن فلنا الأنبياء شهوداً على صحة ما نرتئيه وما نعتقد به . الأنبياء هم أناس تكلموا عن الله وما يتعلق به مسوقين بروح الله . وأنتم أنفسكم ... تسلمون معنا بأنه من المحال بالنسبة لنا أن نكف عن أن نؤمن بالروح الذى من الله ، وهو الذى يحرك أفواه الأنبياء كما لو أنها آلات موسيقية ، وأن نحذر الآراء البشرية البحتة ، (١)(دفاع ٧) .

« أصوات الأنبياء كتبت ما نحن بصدده ، ويخيل إلىّ أنكم أنتم أيضًا بما لكم من حماس عظيم للمعرفة ... لا يمكن أن تجهلوا ما كتبه موسى وأشعياء وأرميا وسائر الأنبياء . هؤلاء الذين نطقوا بما أوحى إليهم ، فى غيبة عن الحس سمت بهم فوق عمليات العقل الطبيعية ، وذلك بفعل قوة الروح القدس الذى استخدمهم ونفث فيهم كأنه لاعب ناى ينفخ فى نايه » (دفاع ٩) .

اقتبس أثيناغوراس هذه النظرية إلى حد ما عن فيلون الذى شبه النفس بقيثارة يضرب الرب على أوتارها حتى يقدر صاحبها أن يمارس الحياة الفاضلة (٢) . وانتقلت الفكرة من أثيناغوراس إلى ثاوفيلس أسقف أنطاكية (٣)، والقديس اكليمنضس الاسكندرى (٤)...

ويلاحظ فى النص الأول (دفاع ٧) يتحدث عن الأنبياء قائلاً : « لنا أنبياء » ، وهو بهذا يعكس مشاعر الكنيسة فى القرن الثانى نحو الأنبياء انهم ليسوا كيهود غرباء عنها ، بل أنبياؤها الذين تنبأوا وشهدوا عن السيد المسيح وكنيسته بكونها إسرائيل الجديد .

---

(١) راجع ترجمة نيافة الأنبا غريغوريوس : الدفاع أو الاحتجاج أو المحاماة للفيلسوف المسيحى أثيناغوراس ، ص ١١ .

(2) Philo : Quod Deus sit immut, 24.

(3) Ad. Autolucom, 8 : 4 .

(4) Stromata 6: 18 : 168.

ولا ينسى الفيلسوف المسيحى أن يدعو الامبراطورين الاثنين للاهتمام بقراءة الكتاب المقدس ، الموحى به من الروح القدس « الذى يعلن الحق فى كماله » .

٨- البتولية

مدح أثيناغوراس البتولية كإحدى ثمار الحياة المسيحية العظمى ، موضحاً الهدف الإيجابى لها : « تجدون بيننا كثيرين من رجال ونساء ، كبروا ولم يتزوجوا ، مترجين الحياة بشركة أعمق مع الله » (دفاع ٣٣) .

٩- الفلسفة

كان أثيناغوراس فيلسوفاً ينتسب إلى الأفلاطونية الحديثة ، لكنه لم يخضع لها تماماً ، خاصة بعد تحوله للإيمان المسيحى ، إنما كان يتخير أفضل ما فى المذاهب الفلسفية جميعها ، حتى قيل عنه أنه أول القائلين بمذهب التخير وتأليف المذاهب Electism . هذا المذهب – فى جوهره – ينادى بأن كل مذهب يحمل نصيباً من الحقيقة هو خير ما فى المذاهب ، لهذا يليق بالإنسان أن يطلب الحقيقة كاملة باختياره هذه الأجزاء وتوحيدها معاً . غير أن أثيناغوراس – كما رأينا – نادى بعجز الفلاسفة عن الوصول إلى الحق كاملاً ، لذا وجدت ضرورة ملحة لهبوط الوحى على الأنبياء (دفاع ٧) .

هل كان أثيناغوراس مانويا ؟

يرى Tillemont أن أثيناغوراس كان مانوياً ... وقد اعتمد فى ذلك على أمرين :

١– لأنه شبه النبى بالناى الذى يلعب الروح القدس عليه (دفاع ٩) ، كما فعل مانى . لكن هذا التشبيه كان شائعاً بين اليونانيين (١) ، استخدمه أيضاً العلامة ترتليان فى رده على مرقيون ، وكذلك القديس يوستين .

(1) Schaff: Vol.2, P. 732 .

٢- تحريمه الزواج الثانى (دفاع ٣٣) ، وهو فى هذا وإن التقى مع أتباع مانى لكنه اختلف معهم فى نواح كثيرة من جهة نظرتهم للزواج :

ا - أثيناغوراس يتطلع إلى الزواج فى قدسية ، غايته إنجاب البنين (دفاع ٣٣) ، به تتم مقاصد الله السامية ، أما مانى فيرى فى الزواج رجساً يمتنع عنه المختارون ، فيه إشباع لشهوات بهيمية ، ولا يبيح لمن يتزوج أن ينجب .

ب- يعتبر أثيناغوراس البتولية حالة أكثر اتحاداً مع الله وكمالاً ، لكنها اختيارية . لا تفرض على أبناء النور كما قال مانى .

أما سر رفضه الزواج الثانى بعد موت الطرف الثانى فمن أجل نظرته لأبدية الزواج ... أنه سر لا يقدر الموت أن يحله !

اهم اخطائه اللاهوتية(١) :

تلقب الكنيسة أثيناغوراس فيلسوفًا وليس قديساً ، ربما لسقوطه فى بعض الأخطاء اللاهوتية نذكر منها :

١- دعى الشيطان أمير المادة ، أقامه الله عليها ليسوسها .

٢- حسب النفس ناقصة وغير كاملة ما لم تتحد بالجسد .

٣- نادى بعدم معاقبة الأطفال على ما يفعلوه .

٤- نسب سقوط الشياطين إلى علاقات شهوانية مع بنات الناس ، وأنهم أنسلوا منهن جبابرة .



(١) نيافة الأنبا غريغوريوس : أثيناغوراس الفيلسوف المسيحي ، ١٩٦١ ، ص ٣٦ ، ٣٧.

٣

القديس بنتينوس

تولى بنتينوس القديس والفيلسوف رئاسة مدرسة الاسكندرية حوالى عام ١٨١م ، ونال شهرة فائقة حتى اعتبره المؤرخ يوسابيوس أول رئيس للمدرسة ... قال عنه : « وفى ذلك الوقت كانت مدرسة اسكندرية للمؤمنين يرأسها رجل ذو شهرة عالية كدارس ، يسمى بنتينوس . فقد وجدت عادة راسخة ان توجد بينهم أكاديمية فى العلوم القدسية . ولا تزال هذه الأكاديمية قائمة إلى يومنا هذا . وبحسب فهمى الذين يديرونها أناس على مستوى عال، لاهوتيون ذو قدرات خاصة ، لكننا نعرف أن بنتينوس هو أحد هؤلاء المعلمين الذى كان أكثر معلمى عصره قدرة وسمواً » (١).

إذ استرجع القديس اكليمنضس فى كتابه « المتفرقات » تذكر الأشخاص الطوباويين الذين يستحقون أن يكونوا موضع ذكرى ، وكان من حسن حظه أن يلتقى بهم ويستمع إليهم ، وإذ جاء إلى معلمه بنتينوس تحدث عنه كأعظم وأكمل معلم ، وجد فيه وحده تعزيته . وقد وصف لقائه معه هكذا: « التقيت بالأخير مصادفة ، لكنه كان الأول من حيث الاستحقاق . وجدته أخيراً فى مصر مختبئاً . إنه بحق النحلة الصقلية ، يقتطف من كل الزهور من مروج الأنبياء والرسل ، ويودع فى نفوس سامعيه ذخيرة معرفة غير فاسدة (٢) .

بنتينوس والفلسفة

كان بنتينوس رواقياً مشهوراً. والرواقيون أخلاقيون من الدرجة الأولى يحسبون الخير الأعظم فى الفضيلة ، يؤمنون بناموس الطبيعة أو ناموس الضمير أو الواجب . يرون فى الله الطاقة المتغلغلة فى كل شىء . بها خلق العالم الطبيعى ويبقى محفوظاً (٣) .

اعتنق بنتينوس المسيحية على يدى أثيناغوراس ، وفى عام ١٨١م خلفه كرئيس للمدرسة اللاهوتية التعليمية ، وإليه ينسب إدخال الفلسفة والعلوم إلى المدرسة لكسب الهراطقة والوثنيين المثقفين .

كان بنتينوس دائم القراءة فى الفلسفة ، ومع هذا لم يحتج عليه أهل

(1) Euseb : H.E. 5: 10 : 1 .

(2) Strom. 1 : 11 -1 -3 .

(3) Oxford Dictionary of the Christian Church, P. 312 .

عصره ولا اتهموه بالإنحراف عن الإيمان ، بل شهد له أوريجانوس قائلاً : أنه في دراسته للفلسفة إنما يمتثل ببنتينوس الذى ربح الكثيرمن المثقفين خلال معرفته للفلسفة . هذا الاتجاه أدخله بنتينوس ، وتطور على يدىّ تلميذه اكليمنضس وأعيد تنظيمه بواسطة أوريجانوس .

بنتينوس كمبشر

لم تكن مدرسة الاسكندرية مجرد معهد علمي ديني ، لكنها كانت جزءاً من الكنيسة لها عملها الكرازى بجانب عملها التعبدى والعلمى . كان رجالها كنسيين روحيين على مستوى عال ، كرسوا حياتهم للدراسة ونشر الفكر الإنجيلى الكنسى ، مقدمين حياتهم مثلاً حيًا فى النسك كما فى الدفاع عن العقيدة والتبشير ، على المستويين المحلى والمسكونى . فمن ناحية كان بنتينوس في نظر شعب الاسكندرية ليس مجرد دارس أو معلم وإنما « المعين لكثيرين، يهتم بخلاص كل أحد ، حتى لقبه شعب المدينة « بنتيونسنا » . ومن الجانب الآخر حين دعاه البابا ديمتريوس للكرازة فى الهند لبى الدعوة تاركاً المدرسة إلى حين فى يد اكليمنضس .

روى المؤرخون قصة ذهابه للهند هكذا : أن تجاراً من الهند استمعوا إليه . فأعجبوا به واعتنقوا المسيحية بغيرة شديدة ، فالتقوا بالبابا الأسكندرى وطلبوا منه أن يسمح لهم بإرسال بنتينوس إلى الهند للكرازة بين أهلهم . كما قيل أن الهند بعثت برسالة إلى البابا وفد من أجل هذا الغرض فقبل البابا طلبهم (١)...

وعند رجوعه من الهند قيل انه كرز فى أثيوبيا وبلاد العرب واليمن (٢) . ويروى القديس چيروم ويوسابيوس (٣) أن بنتينوس أحضر معه نسخة من انجيل متى بخط يد الانجيلى ، كان قد أحضرها القديس برثلماوس معه إلى الهند .

ومما يجدر ذكره أن القديس أناستاسيوس السينائي - من رجال القرن السابع - يتحدث عن بنتينوس ككاهن الاسكندرية . ربما سيم قبل ذهابه إلى الهند ، حتى يقوم بتعميد الموعوظين ومسحهم بالميرون وتقديم ذبيحة

(١) د. وهيب عطا الله : بنتينوس ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٣ .

(٢) الأنبا اسيذورس : الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ، جـ ١ ، ١٩٦٤ ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

(3) Euseb., H.E, 5 : 10 : 2.

الافخارستيا ... فالكرازة تحتاج إلى العمل الكهنوتى (١) .

بنتينوس والأبجدية القبطية

. أدخل بنتينوس الأبجدية القبطية ، مستخدمًا الحروف اليونانية ، مضيفًا إليها سبعة حروف من اللهجة الديموطيقية القديمة . وبهذا أمكن ترجمة الكتاب المقدس إلى القبطية تحت إشرافه ، يعاونه فى هذا العمل العظيم تلميذاه اكليمنضس وأوريجين . ويعطى الباحثون اهتمامًا عظيمًا لهذه الترجمة على قدم المساواة مع الأصل اليونانى نفسه (٢) . كما ترجم القديس بنتينوس الكثير من الأدب المسيحى إلى هذه اللغة بكونها آخر شكل من تطور اللغة المصرية القديمة ، وبدأ الكتّاب يستخدمونها عوض اليونانية .

مولده

يرى المؤرخون الأقباط أن بنتينوس ولد بالاسكندرية (٣) ، من أصل مصرى. ويرى المؤرخ فيلبس الصيدوى أنه كان أثينيًا ، ولكن هذا مجرد حدس ، بسبب اهتمام القديس بالفلسفة اليونانية . ويرى بعض الدارسين أنه من صقلية لأن تلميذه اكليمنضس لقبه « النحلة الصقلية » لكن هذا الرأى لا يمكن الأخذ به لأن النحل الصقلى كان له شهرته العالمية فى ذلك الوقت ، فكانت هذه التسمية مجرد إشارة إلى عذوبة تعليمه وما يحمله من قوت (٤) .

أما زمن ولادته ، فعلى ما يبدو ، أنه ولد فى أوائل القرن الثانى الميلادى، وإن كان يصعب تحديد سنة الميلاد بدقة .

كتاباته

شرح بنتينوس كل أسفار الكتاب المقدس من التكوين حتى الرؤيا ، شفويًا وكتابة ، حتى دعاه معاصروه « شارح كلمة الله » ، وللأسف لم يصلنا من كتاباته إلا بعض فقرات وردت خلال كتابات تلميذه اكليمنضس .

---

(١) د. وهيب عطا الله : بنتينوس ، ص ٥ .

(2) Coptic Patriarchate : St Mark, P. 67 .

(3) Murad Kamel : Coptic Egypt, 37.

قوسة : أمجاد العصر القبطى ص ٦٨ ، منسى يوحنا ص ٢٨ .

(4) John Ferguson : Clement of Alexandria N.Y. 1974, P. 14.

٤

القديس اكليمنضس الإسكندري

حيـاته

يعتبر القديس اكليمنضس أب الفلسفة المسيحية الاسكندرانية(١) ، وصفه المؤرخ يوسابيوس أنه « كان متمرناً فى الكتب المقدسة (٢)، ودعاه القديس كيرلس أنه « كان شغوفًا فى التعلم » ، « خبيراً فى التاريخ اليونانى »(٣) . قال عنه القديس چيروم :« مجلداته المعروفة مملوءة علمًا وفصاحة ، يستخدم الكتب المقدسة والأدب الدنيوى(٤) » ، « فى رأيى أنه أكثر الجميع علماً » (٥). كما وصفه المؤرخ سقراط : « كان مملوءاً من كل حكمة (٦)» .

ومع هذا فقد أهملت شخصية هذا القديس وذلك لسببين :

١- الخلط بينه وبين القديس اكليمنضس الرومانى .

٢- ارتباط شخصيته بأوريجانوس الذى نظر إليه كهرطوقى وأبيدت أكثر كتاباته خاصة النسخ التى كتبت باللغة الأصلية اليونانية . هذا مع غموض نظام القديس اكليمنضس .

مسيحيته

ولد تيطس فلافيوس اكليمنضس(٧) Titus Flavius Clemens حوالى عام ١٥٠م من أبوين وثنيين . اسمه الرومانى حمل بعض المؤرخين إلى القول بأن

---

(1) Schaff. Vol. 2, P. 782.

(2) Eus. H.E. 5 : 11 .

(3) In Jul 7 : 231 : 6 : 205.

(4) De Vir. Illus . 38.

(5) Epist. 70 : 4.

(6) Socrates H.E. 2 : 35.

(7) Eus. H. E. 6 : 13.

له صلة بالعائلة الامبراطورية (١)، وأنه من سلالة عبد أعتقه فاسيانوس أو ابنه(٢) ...

أما عن مولده ، فوجد تقليدان فى أيام أبيفانيوس (٣) (القرن الرابع) أحدهما يرجع مولده للاسكندرية والآخر لأثينا . اعتمد التقليد الأول على طول بقائه فى الاسكندرية ، بينما يتفق التقليد الثانى بالأكثر مع ما ورد فى كتابه : المتفرقات Stromata ١ : ١١ ، .

لا نعرف شيئًا عن تاريخ تحوله إلى المسيحية ولا الظروف المحيطة أو الدوافع التى أدت إلى ذلك ، لكن المعروف عنه أنه قد اتسم بفكر متدين ، فكان دائم البحث عن الله الذى يشبعه روحيًا وفكريًا وأخلاقيًا ، وقد وجد فى المسيحية تحقيقاً لهدفه . حتى بعد اعتناقه المسيحية قام برحلات باهظة يبحث عن المعلم الحقيقى الذى يتتلمذ عليه ، فذهب إلى جنوب إيطاليا وسوريا وفلسطين ، وأخيراً استقر فى الاسكندرية حيث جذبته محاضرات القديس بنتينوس ، الفيلسوف الذى قبل المسيحية ، ، عاش فيها أكثر من عشرين عاماً(٤)(ربما من عام ١٧٥ إلى ٢٠٢م) فصارت وطنه الثانى .

رئيس المدرسة

تتلمذ على يدىّ القديس بنتينوس (٥) ، وصار مساعداً له . سيّم كاهناً فى الاسكندرية (٦)، وقام بعمله الوعظى بكل نجاح ، وإذ سافر أستاذه بنتينوس إلى الهند حوالى عام ١٩٠م تسلم رئاسة المدرسة إلى حين عودته . وإذ تنيح

---

(1) Cheethan ; A History of the Christian Church during the first six centuries , London 1905. Butcher : Story of Church of Egypt, V.1, P. 49.

(2) C. Bigg ; Christian Platonists of Alex, Oxford 1886, P. 45.

(3) Adv. Haer 32 : 6.

(4) F.F. Osborn : The Philosophy of Clement of Alexandria, Cambridge 1957, P. 3.

(5) Eus. H.E. 5 : 11 : 2; 6 ; 13 : 2.

(6) Eus. H.E.6 : 11: 6. Jerome : De Vir. Illus . 38. ST. Clem. Alex. Paed. 1: 37.

القديس بنتينوس تسلم القديس اكليمنضس الرئاسة من جديد . وقد تتلمذ على يديه العلامة أوريجانوس والقديس ألكسندروس أسقف أورشليم .

هروبه من الاسكندرية

فى أيام الاضطهاد القاسى الذى أثاره سبتيموس سويروس حوالى عام ٢٠٢م اضطر القديس اكليمنضس إلى مغادرة الاسكندرية والالتجاء ربما إلى فلسطين وسوريا .

لماذا هرب من الاضطهاد ؟ انه فى هذا اشترك مع كثير من الآباء الأولين الذين تحت ظروف معينة فضلوا الهروب من الاستشهاد ربما من واقع الشعور بالمسئولية نحو مخدوميهم وتكملة رسالتهم . من هؤلاء القديسين : ديونسيوس الأسكندرى ، وأثناسيوس الرسولى ، وكبريانوس .

لقد كتب القديس بطرس خاتم الشهداء بشىء من الاستفاضة عن ضرورة الهروب من أمام المضطهدين (١)، مدللاً على ذلك بأقوال انجيلية . ومع ذلك حينما رأى أن استشهاده ينقذ حياة شعبه من الاضطهاد ، تقدم خفية إلى الاستشهاد بكل فرح ، بالرغم من تجمهر الشعب حول السجن يصر على إنقاذ راعيه . وكأن الراعى إن وجد من واجبه الرعوى أن يهرب من الاستشهاد لا يتقدم إلى الاستشهاد بإنفعال عاطفى قد يضر أولاده ، وإن رأى من واجبه الرعوى أن يسلم حياته للموت لا يتأخر عن ذلك .

على أى الأحوال كان هروب القديس اكليمنضس من الاسكندرية نافع للكنيسة ، كما يظهر ذلك من الرسالة التى بعث بها القديس ألكسندروس أسقف أورشليم إلى كنيسة أنطاكية حوالى عام ٢١١م ، إذ جاء فيها (٢): « هذه الرسالة أبعث بها إليكم يا إخوتى الأعزاء ، على يد اكليمنضس الكاهن الطوباوى ، الرجل الفاضل المبارك ، الذى سمعتم عنه وستعرفونه أيضاً ، والذى بحضوره

---

(١) المؤلف : البابا بطرس الأول ، اسكندرية ١٩٧٨ ، ص ٤١-٤٣ .

(2) Eusebius : H.E 6 : 11 : 6.

إلى هنا – بفضل عناية الله وتدبيره قد ثبت كنيسة الرب وأنماها ، . وفى حوالى عام ٢١٥ م تنيح .

نظرة الغرب إليه

كان الغربيون يعتبرون اكليمنضس الاسكندرى من قديسي الكنيسة ، يحتفلون بعيده فى الرابع من شهر ديسمبر[١] . وفى القرن السادس عشر حذف اسمه من تراجم الشهداء Martyrology بواسطة اكليمنضس الثامن (١٥٩٢–١٦٠٠م) ، حسب تصحيحات بارونيوس Baronius . وفى عام ١٧٤٨م كتب البابا بندكت الرابع عشر رسالة إلى يوحنا الخامس ملك البرتغال يبرر فيها سر هذا الحذف بحماس ، مستنداً إلى وجود بعض التعاليم الفاسدة فى كتاباته . لكنه لم يشر أحد المؤرخين الأول أمثال يوسابيوس وچيروم إلى هذه الأخطاء . لهذا فالأرجح أن هذه الأخطاء دخيلة على كتبه ، فمن دأب الهراطقة أن يفسدوا كتابات الآباء المشهورين لتأييد مذهبهم ونشره (٢) .



(1) Murray's Dict. of Christian Biography. Farrar , vol. 1, P. 363.

(٢) الأنبا غريغوريوس : اكليمنضس الاسكندرى ، ص ٦ .

كتــاباته

سمات كتاباته

يقول Quasten: « إن كنا نعرف القليل جداً عن حياة اكليمنضس ، لكن كتاباته تقدم لنا صورة واضحة عن شخصيته » (١). أما سمات كتاباته فتبرز في النقاط التالية :

١- مزج الدراسة بالإيمان : إن كان القديس اكليمنضس قد أحب الدراسة، لكنه بقى «كاتباً مسيحياً » ، يمتاز باتساع أفقه مع اتقاد ذهنه ، يجتذبنا بغيرته الشديدة مع إخلاصه في الدراسة (٢).

كـتـاباته تكشف عن يد مـخطط مـاهر ، لأول مـرة في تاريخ الأدب المسيحي تلتقى التعاليم المسيحية مع الكتابات المعاصرة له ، ويقف الاثنان معاً جنباً إلى جنب . لهذا السبب يجب أن يدعى بحق « رائد الثقافة المسيحية » (٣) أعماله الكتابية تؤكد أنه رجل الثقافة الشاملة ، من فلسفة وشعر وآثار وأساطير وأدب ومنطق وموسيقى ، له معرفة كاملة أيضاً بالكتابات المسيحية الأولى : أسفار الكتاب المقدس والكتابات ما بعد الرسل بجانب كتابات الهراطقة .

نستطيع أن نقول مع J. Patrick أنه « أول معلم منهجي للتعليم المسيحي ، والبطل الكنسي للثقافة المتحررة في الكنيسة » (٤).

٢- مزج الدراسة بالعمل الرعوي : إن كان القديس اكليمنضس قد أحب البحث والدراسة بقلب متسع وفكر متفتح فلم يقتصر على الدراسة الدينية بل اهتم بالدراسات المعاصرة ، فإنه أيضاً لم يهدف للدراسة في ذاتها لعمل كلاسيكي جامد ، لكنه مزج الدراسة بالعمل التبشيري ... فكانت دراساته تزيد

---

(1) Quasten , Vol. 2, P. 6.

(2) Leberton , P. 733.

(3) Quasten, Vol.2, P.6.

(4) J Patrick · Clement of Alexandria , London 1914, P. 13 .

قلبه اتقاداً نحو خلاص اخوته . وكما قال Farrar : أنه ربط بين العلم والكرازة والعمل ، مستشهداً بما قاله عنه Prof. Westcott : « لا زلنا معجبين بشكر من أجل غنى معلوماته واتساع إطلاعه وعظم لطفه وعلو طموحه مع سمو إدراكه لرسالته وقدراته في الإيمان » (١) . ويقول عنه Compenhausen Hans Von : «تساؤلاته وبحثه وتفكيره لا تقف عند نهاية ... هو معلم المناقشة ....وهو أيضًا خادم ، يرى غايته فى أن يدخل بالناس إلى المسيح . عمله تبشيرى بطريقة شخصية مرنة ... مع أن اكليمنضس لم يكن بالمعلم العام فى الكنيسة ، وبالرغم من اتساع معرفته ، فإنه لم يكن بالباحث الحقيقى بل رجل تبشير ... كان راعى النفوس المثقف » (٢).

٣- إذ أحب « المعرفة الحقيقية » ، أراد أن يكون كل مسيحى « غنوسيًا » حقًا ، لهذا انصب تفكيره فى عمل السيد المسيح الخلاصى على « النور » (٣) الذى يشرق على فهمنا المظلم فنستنير ، ولقب المعمودية « الاستنارة » حيث تبدد الظلمة التى تحجب العين الداخلية عن معاينة « الحق » وإدراك المعرفة الإلهية...

فى كتابه « نصح للوثنيين Protrepticus » ، يدعو البشرية لقبول السيد المسيح ، قائلاً : « اسمعوا أيها البعيدين ، ويا أيها القريبين ، فإن اللوغوس ليس مخفيًا عن أحد . إنه النور العام الذى يضيئ الكل . لم يعد فى العالم ظلمة . لنسرع إلى خلاصنا . لنسرع إلى تجديدنا » (٤).

ثالوث اكليمنضس الكتابى

يعرف القديس اكليمنضس بثالوثه المشهور أو أعماله الكتابية الثلاثة الرئيسية ، وهى : نصح لليونانيين Protrepticus ، المعلم أو

(1) Farrar, Vol.1, P. 365-6.

(2) The Fathers of the Greek Church, London 1963, P. 25.

(3) Robert Rainy The Ancient Catholic Church , Edinburgh, 1926, P 168.

(4) Protrepticus 9

المربى Paedagogus ، المتفرقات Stromata .

يكشف هذا الثالوث عن منهج القديس اكليمنضس اللاهوتى ، بل عن منهج الدراسة فى مدرسة الاسكندرية الأولى ، وكما يقول Osborn : ان مشكلة العلاقة بين هذه الأعمال الثلاثة الكبرى قد جذبت الانتباه بطريقة ملحوظة فى الخمسين سنة الأخيرة (١) .

يقول Swete : « ربما ليس فى كل الأدب الآبائى الأول أكثر جاذبية للقارىء الحديث مثل ثالوث (اكليمنضس) العظيم فى تدرج التعليم فى الحياة المسيحية ... ومفهوم اكليمنضس للمسيحية فى علاقتها بكل ميادين الفكر البشرى ، الأمر الذى له قيمته فى أيامنا ... ونفعه متزايد فى العصر الحاضر(٢) .

يرى القديس اكليمنضس ان خطة الله نحو البشرية تأخذ مراحل ثلاث وهى تطابق كتبه الثلاثة (٣):

أولاً : يدعو اللوغوس « كلمة الله » البشرية للخلاص من براثن الوثنية خلال الإيمان ... هذا يطابق الكتاب الأول « نصح لليونانيين Protrepticus » ، وكما يقول يوسابيوس : انه كان مناسباً جداً لاكليمنضس أن يوضح خسة الوثنية، فقد عبر هو خلالها لكنه هرب من وبائها .

ثانيًا : إذ يقبلون الإيمان المسيحى ويرفضون أباطيل الوثنية ، تصلح

(1) Osborn, P.5.

(2) H.B. Swete : Patristic Study, London 1902, P. 48.

من الذين اهتموا بالعلاقة بين ثالوث اكليمنضس هم :

Muck : untersuchung uber Klemens von Alexandria, P. 1-126.

Quatember : De Christliche Lekenshaltung des Klemens von Alexandrien, P. 29 - 42.

Mondésert in his introduction to Stroomate I. P. 11-22.

(3) cf. Neander : Church History, Vol. 2, P. 486. Lebreton, P. 737.

حياتهم بالوصايا الأخلاقية ... وهذه المرحلة تطابق الكتاب الثانى « المربى Paedagogas » الذى يجمل الكثير من الوصايا الأخلاقية المسيحية والتى غايتها « التشبه بالله نفسه » .

أخيراً ، يرفع الذين خضعوا للتطهيرات الأخلاقية إلى المعرفة الكاملة للإلهيات ليتمتعوا بالغنوسية المسيحية ... وهذا هو موضوع كتابه الثالث : «المتفرقات Stromata » .

هكذا يتطلع القديس إلى عمل السيد المسيح الثلاثى : دعوة لترك الوثنية فخلاص من الخطية وأخيراً خلاص من الخطأ الذى ترك البشرية عمياء بلا عون . هذا العمل الثلاثى إنما هو نصح وتقديم مشورة ثم تدريب وتقوية وأخيراً شفاء وتعليم . وكما يقول Jay : « يسعى فى ثالوثه أن يظهر كلمة الله الذى قدم استنارة لإسرائيل القديم ولليونانيين انه قد جاء الآن فى المسيح يسوع بطريقة جديدة ليقدم معرفة الله الخلاصية لكل البشرية . إنه يناشد قارئيه أن يأخذوا المسيح.معلماً لهم . ففى البداية ينصحهم ، وبعد اهتدائهم يدربهم بنظام مفيد ويقودهم إلى مبادئ التهذيب من الخوف إلى الرجاء ، إلى الحب النزيه والمعرفة التى تطلب الآن كغاية فى ذاتها ، أى معرفة الله » (١) .

كأن القديس اكليمنضس يميز بين اللوغوس الإلهى كهادى Protrepikos ، وكمربى Paedagogas ، وكمعلم Didaskalos(٢) . فهو الهادى يدعو الناس للخلاص ، وهو المربى الذى يحث المؤمنين على الحياة الأفضل ويشفيهم من آلامهم ممارساً عمله الروحى فيهم ، وأخيراً هو بعينه المعلم Didaskalos الذى يعلم الأسس العامة ويشرحها ، مفسراً المنطوقات الرمزية .

ولكلمات القديس نفسه « المرشد السماوى » ، اللوغوس يدعى الهادى عندما يدعو البشرية للخلاص ... لكنه إذ يعمل كطبيب أو مربى يصير اسمه

---

(1) Eric G. Jay ; The Church , Vol.1, London 1977, P. 59.

(2) Osborn, P.5.

«المربى» ... فإن النفس المريضة تحتاج إلى مربى يشفى آلامها . ثم تحتاج إلى المعلم الذى يعطيها الإدراك ... » إعلان اللوغوس » . هكذا إذ يريد اللوغوس خلاصنا خطوة فخطوة يستخدم وسيلة ممتازة : انه فى البداية يهدى، ثم يصلح وأخيراً يعلم » (١) .

يرى البعض أن القديس كان متأثراً بالأفلاطونية الحديثة New-Platonism التى نادت بمراحل ثلاث : التطهير فالتثبيت وأخيراً الإعلان ، أو الرؤية .

على أى الحالات ، انعكس هذا المنهج على مدرسة الاسكندرية فى عهده، فركزت فى برامجها على مراحل ثلاث : مرحلة اهتداء الوثنيين إلى المسيحية، مرحلة ممارسة الحياة المسيحية الانجيلية ، وأخيراً تعليم المسيحيين كمال المعرفة .

أولا : نصح لليونانيين Protrepticus

١- كتب هذا المقال حوالى عام ١٩٠م ، وهو عمل جدلى ، فيه قدم هجوماً نقدياً للعبادة الوثنية وأساطيرها (فصول ٢-٧) ، هاجمها خلال كتابات الفلاسفة اليونان أنفسهم . ثم أوضح أن الفلاسفة قد عرفوا بعض الحقائق ، خاصة أفلاطون ، تعرفوا عليها خلال مصدر إلهى أو أخذوها عارية من اليهود. وفى رأيه أن الشعراء تسلموا شيئًا من الوحى من اللوغوس الإلهى . وقد لاحظ أن كبار الفلاسفة لم يقدروا أن يقفوا أمام الوثنية بالرغم من تحققهم من فسادها(٢) .

٢- فى هذا المقال يوجه القديس اكليمنضس دعوة حارة للوثنيين أن يتحولوا ويتهدوا خلال انصاتهم اللوغوس الذى يدعى « Protrepticus » ، السيد الوحيد الذى ليس فقط يدعونا لنبذ الوثنية ، وإنما ننال خلال استنارة روحية فعالة .

---

(1) Paedagogus 1 : 1. (2) Henry Chadwick :The Early Church, 1969, P. 94.

« لو ان الشمس غير موجودة لحل الليل فى كل المسكونة ، بالرغم من وجود الكواكب الأخرى فى السماء . هكذا لو لم نعرف اللوغوس نستضيء به لما كنا أفضل من صغار الطير (الكتاكيت) تمتلئ سمنة فى الظلام لكى تشوى بالنار (تؤكل) .

لنتقبل النور ، فنتقبل الله .

لنتقبل النور ونصر تلاميذ الرب .

لقد وعد أباه هكذا : « أخبر باسمك إخوتى ، فى وسط الجماعة أمجدك » مز ٢٢ : ٢٢ .

نعم قدّس أباك أيها الكلمة ، وعرفنى إياه .

إعلاناتك تخلص وتسابيحك تعلمنى ، فإننى حتى الآن أضل فى الخطأ باحثاً عن الله (١).

لكنك إذ تقودنى يا رب للنور أجد فيك الآب وأتقبله منك .

لقد صرت شريكاً معك فى الميراث (رو ٨ : ١٧) ، إذ لا تستحى أن تدعونى أخاً (عب ٢ : ١١) ..., .

« إذن ما هى النصيحة التى أقدمها لكم ؟ إنى أحثكم أن تخلصوا . هذا ما يريده المسيح ، وفى كلمة واحدة : انه يهبكم الحياة مجاناً » (٢).

٣-وضع أمام الوثنيين مقارنات بين أعمال المسيحيين وأعمالهم ، وبين حياة هؤلاء وأولئك . فقد أظهر الفارق الشاسع بين أغانى الشعراء الوثنيين وتلك الأغنية التى تحل رباطات الناس من ظلم الشياطين، وتقودهم إلى القداسة وتدعوهم إلى السماء وتدرب عواطفهم . أما عن الموسيقى المسيحية فقال :

---

(١) أى حتى ذلك العصر كان الإنسان يبحث عن الله خلال الفلسفات مع أن الحاجة إلى اللوغوس الذى وحده يغير النفس بإعلاناته .

(2) Protrep. 11 : 113 : 3, 4 : 11 : 117 : 3 , 4. ANFrs, Vol.2, P. 203, 204.

إنها ليست موسيقى Jubal بل موسيقى داود ، بل بالحرى هى موسيقى ، كلمة الله ، الكائن قبل داود ، هذا الذى يحتقر الآلة الموسيقية التى بلا حياة ليعزف بالروح القدس لحناً جامعاً ...

وفى الفصل الأخير يضع أمام الوثنيين حق الخيار بين الحياتين : ممتازة هى حياة الناس الذين يعرفون المسيح بكليتها ! أما بالنسبة لك فلك الخيار أن تقبل ما يفيدك : الدينونة أو النعمة ! هل لا تزال توجد فرصة للشك فى أيهما أفضل لك ؟ ، هل تقارن الحياة بالهلاك ؟!، .

ثانياً : المربى Paedagogus

١- يعتبر هذا العمل امتداداً للعمل السابق ، وهو من أروع ما سجله لنا القديس ، غايته تعليم الذين قبلوا نصيحته فى المقال الأول (نصح اليونانيين) ، الذين نبذوا الوثنية وقبلوا الإيمان ، وذلك لكى يمارسوا الحياة المسيحية العملية ليكونوا على شبه الله .

ان كان هذا المقال قد ضم الكثير جداً من الوصايا السلوكية ، لكن غايته ليس مجرد عرض للسلوك الأخلاقى ، إنما هو التشبه بالله . ان اعلان الحق بواسطة اللوغوس - فى نظر القديس اكليمنضس - يدخل بالمؤمنين لا إلى معرفة نظرية بل تغيير شامل فى الحياة ليكونوا متشبهين بالله . فيظهر اللوغوس كمعلم كل الحياة البشرية العملية ، هو غافر للخطايا ، وحامل عنا ضعفنا البشرى ، ومدربنا كى لا نخطئ .

٢- يتكون هذا العمل من ثلاث كتب : الكتاب الأول يعلن عن شخصية المربى ، والكتابان الثانى والثالث يقدمان تعاليم المربى .

فى الكتاب الأول يتحدث عن المربى كمعلم لكل حياتنا : كيف يتعامل مع خطايانا (ف ١) ، وعظم مراحمه (٢) ، وأن تعليمه للنساء لا يقل عنه للرجال (٣ ، ٤) ، موضحاً من هم الأبناء الذين يعلمهم (٥ ، ٦) ، وأخيراً يشرح وسائل التعليم وأساسياته (٧ - ١٣) .

وفى الكتاب الثانى يعالج القديس بعض الأسئلة الخاصة بالحياة العملية

للمبتدئين مثل : الطعام والشراب والملابس الثمينة (١- ٤) ، والضحك وافساد المحادثات (٥ ، ٦) ، العلاقات الاجتماعية من أكاليل وحياة زوجية (٧ - ١٠) ، وأخيراً عن الملابس والأحذية والحلىّ (١١ - ١٣) .

وفى الكتاب الثالث يتحدث عن عناصر الجمال الحقيقى (١) ، وعن الحمامات والغنى الحقيقى والرياضة (٢- ١٠) ، كما يعطى صورة مبسطة عن الحياة المسيحية اللائقة حتى فى الأمور التفصيلية مثل الحلقان والخواتم والاهتمام بالشعر ومكياج الوجه وطريقة المشى ...

٣- إن كان القديس كثيراً ما يحذر من حياة الترف والبذخ لكنه لم يطلب زهد الحياة الشديد ولا النذر بالفقر ...لقد اهتم بالأكثر ألا يكون القلب متعلقًا بالعالم .

٤- اتخذ العلامة ترتليان المعاصر له ذات الاتجاه السلوكى فى تعاليمه ، لكن هناك فارق شاسع بين الاثنين . فإن كاهن الاسكندرية لم يستخدم الجانب العاطفى مثل كاهن قرطاجنة ، ولا استخدم العنف لكنه يدحض غباوة سلوك أهل العالم فى ابتسامة عذبة وبأدب . حمل فى حديثه الاحساسات الرقيقة العادلة اللائقة بالمسيحى (١) .

نذكر على سبيل المثال فى نصحه للنساء يقول : « العمل يكسب النساء جمالاً حقيقياً ، فهو يدرب أجسادهن ويكسبهن حسناً طبيعياً ، لا كالجمال الذى يتأتى بسبب ثوب هو من صنع الآخرين ، الثوب الذى لا يحمل جمالاً ولا صلاحاً ، يصنعه العبيد والوصفاء ، إنما ينبع جمالها عن الثوب الذى تنسجه السيدة الصالحة لنفسها بعمل يديها » (٢) .

٥- أوضح القديس اكليمنضس غاية هذه الوصايا السلوكية فى نهاية كتابه الثالث ، أن نحمل سمات الكنيسة متشبهين بالله ، مقدسين وسمائيين ... إذ يقول :

---

(1) Leberton, Vol. 3 , P. 741-2.

(2) Paed. 3 :11.

« لنكمل في نفوسنا جمال الكنيسة ، كأبناء صغار نحو أمنا الصالحة » .

عندما نكون سامعين للكلمة فللمجد التدبير الصالح الذى عليه ننشأ ، فإن الإنسان يتقدس كإبن لله ويتسلم – وهو على الأرض – التعليم الذى يجعل منه مواطناً سماوياً .... » (١) .

٦– رأينا قبلاً أن غاية الوصايا – عند القديس اكليمنضس – أن نتشبه بالله الكلمة .

وفى موضع آخر ،فى كتابه « المتفرقات » ، نراه لا ينظر للوصايا السلوكية والنسكية فى مظهرها الخارجى ، بل من أجل التمتع بحياة روحية داخلية خفية ، فيقول على سبيل المثال : « كما أن الاتضاع لا يقف عند مجرد مميتات الجسد ، بل يدخل إلى الوداعة ، هكذا النسك إنما هو فضيلة النفس التى تقوم فى وجودها لا على المنظورات بل فى المواضع الخفية » (٢) .

ثالثاً : المتفرقات أو المتنوعات The Miscellaneous Studies or Stromata

١– دعى هذا العمل « المتفرقات » ، لأنه يشمل مذكرات مجموعة بغير ترتيب أو نظام . كما دعاه « سجاد Carpets » ، مستخدماً هذا الاسم تشبهاً ببعض فلاسفة عصره الذين كانوا يلقبون أعمالهم بأسماء مثل « المروج ، الولائم ، قرص العسل » . فى هذا العمل يناقش بعض التساؤلات دون التزام بخطة معينة ، فيخرج من مشكلة إلى مشكلة ، وكأنه قد نسج مقالاته معاً كما تختلط الألوان المتباينة فى « السجادة » (٣) .

٢– جاء هذا العمل فى ثمانية كتب ، تعتبر من أهم أعماله ، لكنه عمل غير كامل ... ضم هذا العمل مقالات تحمل سمات مختلفة يصعب ترابطها معاً؛ وكما قرر القديس نفسه أن كتاباً كهذا يشبه حقلاً مملوء من كل أنواع النباتات ، يجد فيه الإنسان المجتهد ما يطلبه ، لكن عليه أن يفتش لكى يجد(٤) .

---

(1) Paed 3 : 12 : 991.

(2) Strom. 3 : 48 : 3.

(3) Quasten : Patrology, Vol. 2, P. 12 .

(4) Strom 4 : 2 : 4-8.

مرة أخرى يقول : ان أسرار المعرفة لا تقدم بوضوح شديد للقارئ غير المؤهل لمعرفتها (١). مرة ثالثة يؤكد أنه فى هذا العمل يرغب فى إخفاء بذار المعرفة بطريقة ماهرة حتى يبحث عن الحق فيقتنى خلال الجهاد الشاق فيكون حلواً(٢).

٣- إن كان القديس اكليمنضس قد عجز عن جمع هذه المتفرقات فى وحدة واحدة ، لكن هدفه بقى واضحاً ، ألا وهو أن الفيلسوف المسيحى يجد كل الكفاية لاحتياجاته فى الإنجيل (٣). كان الخط واضحاً فى كل الكتب ألا وهو الكشف عن العلاقة بين الإيمان المسيحى والفلسفة اليونانية . كما هاجم فيه الغنوسيين الهراطقة الذين أقاموا فجوة ضخمة بين الله والعالم.

فى اتضاع نسب الاستحقاق الرئيسى لهذا العمل لمعلميه ، وإن كان قد أضاف الكثير ، كما نسى الكثير مما تعلمه منهم .

٤- لهذا العمل أهميته الكبرى ، فقد كشف خلال هذه المتفرقات الفكر المسيحى الأسكندرى فى القرن الثانى من جوانب كثيرة ، كما قدم لنا صورة حية للجماعة المسيحية فى ذلك الحين . ويعتبر E. De Fayé من أكثر المعجبين بهذا العمل ، إذ يقول : « ربما يعتبر هذا العمل من أعظم الكتابات المسيحية فى القرنين الثانى والثالث ، وفى نفس الوقت ليس من عمل أصعب منه » (٤).

٥- يحوى هذا العمل ثمانية كتب شملت الآتى :

أ - الكتاب الأول : فيه يعلن أن الفلسفة قد جاءت بتدبير إلهى ، لكنه يتخوف من كثرة استخدامها ، ويعتبر اليونان أطفالاً إن قورنوا بالمؤمنين .

ب- الكتاب الثانى : أوضح طبيعة الإيمان ، الطريق الذى به يصير الإنسان متشبهاً بالله .

---

(1) Ibid 5 (ch. 8, 9) .

(2) Ibid 1 : 20-21 .

(3) Farrar, Vol. 1, P. 377.

(4) E. de Fayé : Clement d'Alexandrie, Paris 1906, P. 45.

جـ- الكتاب الثالث : خصصه للحديث عن الزواج المسيحى .

د- الكتاب الرابع : يعطى صورة للغنوسى الحقيقى .

هـ- الكتاب الخامس : يتحدث عن الإيمان والرجاء ثم ينتقل إلى مبدأ التعليم السرى .

و- الكتاب السادس : يقارن بين الفيلسوف المسيحى الذى له مجد الإنجيل ، يعرف أسرارًا لا يعرفها غيره ، خاليًا من الانفعالات ... وبين الفيلسوف اليونانى الذى له معرفة باهتة ، وإن كانت معطاة له كهبة من الله .

ز- الكتاب السابع : يوضح أن الغنوسى المسيحى هو وحده العابد الحقيقى والفيلسوف الحقيقى الوحيد ، ينمو لكى يصير متشبهًا بإبن الله . أما الوثنيون فيصنعون آلهتهم على شبههم ، وفيه أيضاً يظهر فساد الهراطقة .

س- الكتاب الثامن : وهو مفقود ، يشير إليه القديس فى ختام الكتاب السابع . أما الكتاب الموجود حالياً ففى الحقيقية ليس امتداداً للكتاب السابع ، بل هى تجميعات لبعض « التسويدات » ، والدراسات استخدمت فى أجزاء أخرى من نفس العمل . وتبدو أنها لم تكن معدة للنشر ، لكنها صدرت بعد نياحته بغير إرادته (١) .

رابعاً : من هو الغنى الذى يخلص ؟

عرفت الاسكندرية كمركز تجارى هام بالغنى والحياة المترفة . ويبدو أن البعض قد تطلع إلى الغنى وكأنه يتنافى مع خلاص النفس ، الأمر الذى دفعهم إلى اليأس(٢) . لهذا التزم القديس بتوضيح وجهة نظر المسيحية فى الغنى ، فوضع فكره فى شكل عظة على لقاء السيد المسيح مع الغنى كما ورد فى انجيل معلمنا مرقس ١٠ : ١٧ - ٣١ .

رفض القديس التفسير الحرفى لقول السيد : « إذهب بع كل مالك وإعط

---

(1) Leberton, P. 736.

(٢)يوسف حبيب ومليكه حبيب: من أقوال العلامة القديس اكليمنضس الاسكندرى، ١٩٧٠ ، ص٨.

الفقراء فيكون لك كنز في السماء ،وتعال اتبعني » ، مقدماً العمق الداخلي للوصية ، ألا وهو تنقية القلب من محبة الغنى (١). ففي رأيه :

١- الغنى في ذاته لا يحرم الإنسان من ملكوت السموات . فليس من الضروري أن يتخلص الإنسان من كل مقتنياته حتى يخلص . فإن الخطية لا الغنى هي التي تحرمنا من الملكوت .

٢- الغنى في ذاته ليس أمراً شريراً ، لكنه مادة وسيطة ، هي عطية من قبل الله يمكن أن تكون صالحة أو ضارة حسب استخدامنا لها . نحن استلمناها من الله لنفع الآخرين لا لنجمعها لأنفسنا . استلمناها لكي نستعملها لا لكي نستعبد لها .

من كلماته : « لا نلقي بالغنى أرضاً ، هذا الذي يفيد إخوتنا ... لا يبدد الإنسان غناه ، بل بالحري يليق به أن يحطم شهواته الداخلية التي تتعارض مع الاستخدام الصالح للغنى . فإذ يصير الإنسان فاضلاً وصالحاً يمكنه أن يستخدم هذا الغنى بطريقة صالحة .

إذن لنفهم ترك ممتلكاتنا وبيعها انه ترك وبيع لشهوات نفوسنا » (٢).

« إذا كنت وأنت غني تنظر إلى الذهب والفضة والبيوت التي تمتلكها كأنها عطايا من قبل الله » .

وإذا كنت تعيدها لله الذي وهبها لك في شخص إخوتك ، معترفاً بهذا أنك تملكها من أجل الآخرين أكثر مما لنفسك .

وإن كنت تسمو فوق هذه الخيرات ، فلا تكون عبداً لما تمتلكه ، ولا تدخل بها إلى نفسك، ولا تضيق أفق حياتك ... مدركاً انك يوماً ما تتركها ...

بهذا تكون أنت هو ذاك الذي طوّبه الرب ودعاه مسكيناً بالروح ، وتكون بهذا مستعداً بحق ليكون لك نصيب في ملكوت السموات ... » (٣).

(1) Martin Bengel : Property and Riches in the Early Church , London 1974, P. 74.

(2) ch. 14. (A.N. Frs., Vol.2. P. 595).

(3) Ch. 16.

٣- لو كان الغنى فى ذاته شراً ، فما هو ذنب الذين يولدون أغنياء بغير إرادتهم ؟! هناك أناس أغنياء يحسنون استخدام الغنى ، كما يوجد فقراء فى المال أغنياء فى الرذيلة .

٤- إن كان القديس قد هاجم حياة البذخ والترف ، فإنه فى نفس الوقت يرى فى العوز الشديد مجالاً لانحراف الفكر وبعده عن السمويات . انه يقول : « العوز فى ضروريات الحياة يستحيل لا يربك العقل أو يعوقه عن الأمور الصالحة ، فإنه ينشغل فى الحصول عليها بطريقة أو أخرى ، من مصدر أو آخر » (١).

٥- لو أن كل مسيحى يكف عن غناه فمن الذى يمد يده ليعين الفقراء ؟! « كيف نطعم الجائع ، ونروى الظمآن ، ونكسو العريان ،ونرحب بالغريب القادم إلينا ؟! كيف نحفظ كل هذه الوصايا التى يعاقب من يتعداها بالنار والظلمة الخارجية ، إن كانت تنقصنا المادة ؟! » .

٦- قدم القديس فى كتابه(٢) « المربى Paedagogus » علاجاً للغنى ، ألا وهو دخول كلمة الله فى القلب فتكون كالرقى الذى يفسد لدغات الحيات .

أخيراً ، فإن هذا المقال مع صغره له أهميته ، إذ يكشف عن شخصية الكاتب لا كمعلم أو فيلسوف بل بالحرى الكاهن المهتم بخلاص قطيعه ، كاشفاً لهم الطريق . لهذا ختم مقاله بقصة القديس يوحنا الحبيب الذى بحث عن الشاب الذى صار لصاً ثم رده ،مؤكداً أبوة الراعى الحانية نحو خلاص أولاده ، وإمكانية خلاص التائبين حتى بعد السقوط مرة ثانية ، وقد أستعار يوسابيوس المؤرخ هذه القصة عن القديس اكليمنضس (٣).

خامساً : المجمل Hypotyposis, Outlines

يقول يوسابيوس (٤) : أن هذا المقال يحوى ثمانية كتب ، هى تفاسير رمزية لعبارات من العهدين ، كان متأثراً فى تفسيره ببنتينوس معلمه .

---

(1) Ch. 12 .

(2) Leberton, P. 736.

(3) Euseb. H.E. 3 : 23 : 5.

(4) Ibid 6 : 13 : 2.

هذا العمل مفقود ، اللهم إلا فقرات قليلة وردت فى مجموعات أخرى أفسدها الهراطقة ، الأمر الذى جعل فوتيوس(١) يهاجم المقال بعنف ، ولم يقدر أن يصدق أنها من عمله (٢) ، ولعله بسبب هذا لم يحفظ المقال (٣) .

سادسًا : رسالة عيد الفصح

يروى يوسابيوس(٤) أن اكليمنضس قد صرح فى هذا العمل بأن معاصريه ألحوا عليه أن يدوّن التقاليد التى سمعها من الآباء المتقدمين لفائدة الأجيال القادمة ، فدوّنها وذكر فيها أقوال مليتو Melite وإيريناوس وغيرهما . وقد نقل بيتافيوس Petavius شذرتين من هذه الرسالة .

سابعًا : أعمال أخرى

للقديس أعمال أخرى كثيرة مفقودة مثل مقالات فى الصوم والنميمة وفى الشتيمة ، ورسالة فى الحث على الثبات ، أو إلى الذين قبلوا المعمودية حديثاً ، وكتاب فى القانون الكنسى أو ضد المتهودين أهداه إلى القديس ألكسندروس الأورشليمى . كما حفظت له شذرات أو مقتطفات من رسالة فى « سبق العليم بالمصير » ، ورسالة فى النفس ، وقيل انه كتب عن «عاموس النبى » ، «التعريفات المختلفة » .

أشار القديس إلى كتب كثيرة اعتزم كتابتها لا نعرف إن كان قد كتبها فعلاً أم لا ، مثل : « فى المبادئ الأولى ، فى الزواج ، ضد الهرطقات ، فى القيامة ، فى واجبات الأساقفة والقسوس والشمامسة والأرامل ، تناسخ الأرواح ، فى الشيطان ، فى الملائكة ، فى أصل الكون ، فى لاهوت الكلمة « اللوغوس » ، فى التفاسير المجازية للنصوص التى قيلت عن غضب الله ونظائرها من الانفعالات ، فى وحدة الكنيسة » (٥) .

---

(1) Bibl. Code 109-111.

(2) Leberton, P. 73.

(3) Quasten, Vol.2 , P. 17.

(4) Euseb. H. E. 6 : 13 : 9.

(٥) مذكرات نيافة الأنبا غريغوريوس : القديس اكليمنضس الاسكندرى .

الفلسفة

عالج القديس اكليمنضس في كتابه « المتفرقات Stromata » ، موضوعين رئيسيين ، هما علاقة المسيحي بالفلسفة اليونانية وعلاقة الإيمان بالمعرفة (الغنوسية) . لقد أجاب القديس في أكثر من موضع وبشيء من التفصيل على السؤال الذي كان يشغل أذهان المفكرين المسيحيين في ذلك الوقت ، ألا وهو : ما هي نظرة المسيحية للفلسفة اليونانية (الهلينية) ؟ هل تمثل خطراً على الإيمان المسيحي أم هي معين له ؟

لقد أعطى العلامة ترتليان – في ذلك الحين – إجابة واضحة وقاطعة اتسمت بالعنف الشديد (١)، إذ يقول (٢) : أي شركة بين الفيلسوف وبين المسيحي ، بين تلميذ اليونان حليف الباطل وتلميذ السماء عدو الباطل وحليف الحق ؟ حتى حكمة سقراط لم تصل إلى شيء يعتد به ، لأنه ليس ثمة شخص يمكنه أن يعرف الله معرفة حقيقية بغير المسيح ، أو يعرف المسيح من دون الروح القدس . ثم ان سقراط نفسه يعترف أن جناً كان يقوده ويهتف في قلبه . أما أفلاطون فيقول انه من العسير أن يجد الإنسان صانع الكون ووالده ، بينما أبسط مسيحي قد وجده .

يرى ترتليان أن الهراطقة وجدوا أسلحتهم في الفلسفة ، ففالنتينوس أخذ هرطقته عن أفلاطون ، ومرقيون عن الرواقيين والأبيقوريين وغيرهم من الفلاسفة . لهذا كثيراً ما يردد ترتليان تحذير معلمنا بولس الرسول : « احذروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة » كو ٢ : ٨ .

هكذا يرفض ترتليان بطريقة قاطعة أي دراسة فلسفية ، إذ يقول : « أي شركة بين أثينا وأورشليم ، أو بين الأكاديمية والكنيسة ، أو بين الهراطقة والمسيحيين ؟! تعاليمنا تأتي من رواق سليمان الذي علمنا أنه يجب علينا أن

---

(1) Leberton, P. 745.

(٢) دفاع ٤٦ (ترجمة أنبا غريغوريوس) .

نطلب الله ببساطة قلب كاملة . انه لأمر ردئ أن يقيم البعض مسيحية رواقية أو أفلاطونية أو جدلية . أما نحن فلم يعد لدينا حب استطلاع بعد أن عرفنا يسوع المسيح ، ولا نطلب أن نبحث عن شيء بعد الانجيل . ما دمنا قد آمنا فما حاجتنا أن نؤمن بشيء آخر . ان أول بنود إيماننا هو ألا نؤمن بشيء غير هذا الإيمان » (١).

أما القديس هيبوليتس وإن كان له معرفة أوسع مما لترتليان لكنه لم يكن متعاطفاً مع الهلينية أو فلسفتها التى نظر إليها كمصدر للهرطقات .

أما القديس اكليمنضس الاسكندرى فقد أخذ موقفاً مخالفاً ، فقد آمن أن دستور الكنيسة والكتب المقدسة لا يتعارض مع الفلسفة ،وأنه لا عداوة بين المسيحية والفلسفة . وتتلخص نظرته إلى الفلسفة فى النقاط التالية :

١- أن الفلسفة ليست عملاً من أعمال الظلمة ، بل فى كل مذهب من مذاهبها يشرق عليها شعاع نور (٢) من اللوغوس ... ففى بداية كتابه «المتفرقات Stromata » انتقد القائلين بأن الفلسفة شر ، ووعد أنه سيوضح - خلال هذا العمل - أنها من جانب هى « عمل التدبير الإلهى » (٣).

فى رأيه أن غاية الفلاسفة فى كل المدارس الفلسفية هى ذات غاية المسيحية ، ألا وهى الحياة السامية ، ولكن الفارق هو أن الفلاسفة لم يتمتعوا إلا بقبسات من الحق ، أما المسيحية فأعلنت الحق كاملاً فى المسيح (٤) . الفلسفة - فى رأيه - أقل من الحق (٥)، لكنها ليست بلا قيمة (٦). لهذا فهو يرى الفلاسفة أطفالاً بقوا هكذا حتى جعلهم السيد المسيح رجالاً .

٢- خلال هذه النظرة أراد أن يقدم تعريفاً للفلسفة من وجهة نظره ، فقال:

---

(1) Tertullian : De Prescriptione 7 : 9 - 13 .

(2) Strom. 1 : 13 .

(3) Ibid 1 : 4 .

(4) W. Fairweather : Origen & Greek Patristic Theology. Edinburgh 1901, P. 15.

(5) Ibid 1 : 98 .

(6) Ibid 1 : 15 .

« أقصد بالفلسفة لا المذهب الرواقي أو الأفلاطوني أو الأبيقوري أو الأرسطاطلي ، بل ما قد قيل بحق في كل مذهب منها ، حيث يعلم بالبر جنباً إلى جنب مع العلم التقوى . هذا الاختيار الكلي أدعوه « الفلسفة » . أما نتائج التعقلات البشرية التي يقطعها البشر ويزيفونها فليست فلسفة » (١).

كأن الفلسفة في ذهنه تحمل جانبان : الجانب الإلهي الذي هو عطية الله ، وهو نصيب من الحق ... ، وجانب بشري من وضع الفكر الإنساني ، يزيف الحق ويفسد ، هذا الذي حذر منه الرسول بولس في رسالته إلى أهل كولوسي (٢ : ٨) ، رأى في كتب الفلاسفة وجود أعشاب كثيرة (٢)، وذلك على خلاف الكتاب المقدس .

أما تعليله لوجود الجانبين في الفلسفة فيقوم على أساس أن كل ما هو صالح يأتي من قبل الله (٣)، قدمه لنا ليس كهدف في ذاته وإنما كبذرة يلقيها اللوغوس على الأرض فتأتي بثمر صالح أو شرير ، وذلك حسب نوع التربة إن كانت صالحة أو حجرية (٤).

خلال هذه النظرة نراه تارة يدافع عن الفلسفة في جانبها الحق ، وأخرى يهاجمها في الشوائب التي دخلت إليها. تارة يرى في الفلسفة تحمل جانباً من الحق ، وأخرى يراها تعليمًا تمهيدياً للوصول إلى الحق . وثالثة يراها ليست الحق ولا هي الخطأ . ورابعة أنها مطلوبة لاكتشاف الحق المزيف ، وذلك كالصراف الذي يتعرف على العملة المزيفة ليعرف العملة الأصلية .

٣- يرى القديس اكليمنضس أن عناية الله لم تتجاهل أي شعب مطلقًا . ففي رأيه كما أن الله قد أعد العبرانيين بالناموس ليقودهم للسيد المسيح ، هكذا استخدم الفلاسفة بالنسبة لليونانيين للبلوغ بهم إلى ذات الهدف .

---

(1) Strom. 1 : 7 .
(2) Ibid 1 : 7-3
(3) Ibid 1 : 5 : 28
(4) Ibid 1 : 7 : 37

في هـذا يقول . « قبل مجيء الرب كانت الفلسفة ضرورية لليونانيين للبر ، وأما الآن فقد أصبحت موصلاً للتقوى بكونها نوعًا من التدريب الاعدادى للذين ينالون الإيمان خلال البرهان ... لقد أعطيت الفلسفة لليونانيين مباشرة ، وبطريقة بدائية إلى أن يدعوهم الرب . وكما يقود الناموس العبرانيين للمسيح (غلا ٣ : ٢٤) ، هكذا كانت الفلسفة إعداداً ، تهيىء الطريق للذين يتكلمون فى المسيح » (١).

« اللّه الواحد الحقيقى هو المصدر الوحيد لكل جمال ، سواء الجمال الهيلينى أو الجمال الخاص بنا » (٢).

« كأن الفلسفة اليونانية تطهر النفس وتعدها لقبول الإيمان ، الذى عليه يبنى الحق (المسيح) صرح المعرفة » (٣) .

لقد استخدم القديس كلمات الرسول بولس مع الاثينيين ليجتذبهم للإيمان خلال أقوال شعرائهم (أع ١٧ : ٢٢ – ٢٨) كمثال حى لتأكيد نظريته ...

خلال هذه النظرة رأى بعض الكتّاب فى القديس أفلاطونيًا أو أفلاطونيًا حديثًا أو على الأقل مدافعًا عن الفلسفة الهيلينية فى المسيحية فيقول Tollinton : « من يعطى اهتمامًا لاكليمنضس الاسكندرى يدافع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن سر الهيلينية فى المسيحية » (٤).

٤– أكد القديس بأمثلة عديدة أن اليونانيين قد استعاروا الكثير من العهد القديم (٥) . قال أن أفلاطون انتحل آراء موسى والأنبياء ، ولو أنه لم يقدمها بطريقة صادقة . كما شبه الفلسفة اليونانية بالشريعة الموسوية ، ومع ذلك فكثيراً ما أكد أن الإيمان هو أساس كل معرفة (٦) ، أعظم منها والحكم عليها (٧)،

---

(1) Strom. 1 : 5 (A.N. Frs, Vol 2, P. 305)

(2) Hans von Campenhausen, P. 30. Stromata 1 : 28.

(3) Stromata 7 : 3 . ANF, Vol. 2, P. 528.

(4) Tollinton, Clement of Alexandria, London 1914, P IX.

(5) Strom 2 : 5.

(6) Ibid 2 : 4.　　(7) Ibid 2 : 4 : 5.

كما دافع عن الإيمان ضد الفلاسفة (١) .

٥- إذ عرف القديس العالم بجانبيه الوثني والمسيحي ، عرف الكتابات اليونانية الكلاسيكية كما عرف الكتاب المقدس بعهديه ، فكان كمن في داره سواء بالنسبة للفلسفة أو اللاهوت المسيحي . لهذا اعتقد أنه ليس من واجب الكنيسة أن تثبط همة الموعوظين عن متابعة دراستهم الفلسفية ، إنما تستطيع الكنيسة أن تعطي مسحة مسيحية للفلسفة بثقافتها وتعليمها .

لقد أوضح القديس (٢) أن الغنوسي أو المسيحي الأمثل يستخدم كل أنواع المعرفة ولا يخاف الفلسفة بل يستفيد منها . حقاً إن الجماهير تخاف الفلسفة بل كما يخاف الأطفال من القناعات لئلا تضلهم الطريق ، لكن المسيحي بالإيمان يقدر أن يعرف الحق ويميِّزه ؛ يفصل الحق غير المتغير عن الآراء الباطلة ، فيكون كالصراف الذى يقدر بخبرته أن يفصل العملة الحقيقية عن الزائفة ... هكذا لا ينخدع الغنوسي بالكلمات الزائفة ، وكما يصرخ داود قائلاً : « البار لا يتزعزع إلى الأبد » مز ١١٢ : ٦ ، لا بالكلمات الزائفة ولا باللذات الخاطئة . انه لن يتزعزع عن ميراثه « لا يخشى من خبر سوء » مز ١١٢ : ٦ ، فلا ترعبه افتراءات لا أساس لها ولا يهتز من آراء باطلة تنتشر حوله .

فى نفس الفصل يوضح اكليمنضس ان الغنوسي يستخدم الفلسفة بطريقة صالحة لمعرفة الحق الذى يظهر فيها جزئياً ، أما الهراطقة فيستخدمونها بطريقة شريرة للتضليل . هذا وفى رأيه أن الفلسفة أيضاً قادرة على فضح أخطاء السوفسطائيين وإظهار انحرافهم ...



(1) Ibid 2 : 2 : 8.

(2) Ibid 6 : 1-10 .

الغنوسية الحقيقية

تحدثنا قبلاً عن الغنوسيين الذين وضعوا في قلوبهم أن تحل المعرفة أو الغنوسية محل الإيمان كطريق للخلاص ، حتى صارت كلمة « غنوسيون » تشير إلى مجموعات من الهراطقة . لكن القديس اكليمنضس أعطى للكلمة فهمًا مسيحيًا جديدًا ، إذ رأى في الكلمة تعبيرًا عن « المسيحيين الذين يعيشون في معرفة الله » ، ومنعًا للبس يستخدم البعض العبارتين « غنوسي حقيقي » و« غنوسي مسيحي » تمييزًا عن « الغنوسي الهرطوقي » .

من هو الغنوسي ؟

في كتابه الثاني من المتفرقات اشترط اكليمنضس في الغنوسي ثلاث أمور(١) : التأمل ، تنفيذ الوصايا ، تعاليم الصالحين . إن فقد المؤمن أحد هذه الأمور تعطلت غنوسيته (٢) . وكأن الغنوسي يجب أن تكون له المعرفة (الغنوسية) الإلهية التي دعاها « التأمل » ، وأن يعيشها عمليًا أي تنفيذ الوصايا ، وأن يسلك بروح الكنيسة له « تعاليم الصالحين » .

لقد أوضح Walthar Volker حسنًا أن غنوسية اكليمنضس إن كانت تنتعش بضبط الإنسان نفسه لكنها فوق كل شيء هي معرفة الكتب المقدسة خلال الاستنارة بعمل المسيح ، على ضوء تقليد الكنيسة (٣) .

غاية الغنوسية

١ - الغنوسية (المعرفة) الحقيقية هي دخول إلى معرفة الله ورؤيته واقتنائه ... هذه المعرفة في حقيقتها هي ممارسة للحياة السماوية ، الحياة

---

(1) Strom. 2 : 10 .

(2) Louis Bouyer : The Spirituality of the N.T. & The Fathers , 1960, P. 265 f.

(3) Walther Volker : Der Wahre Grostiker nach Clemens Alexandrinus, Berlin - Leipzig, 1952.

الفائقة التى لنا فى المسيح يسوع ، فنتساوى مع السمائيين ونتشبه بالله . «الغنوسى إلهى ؛ صار مقدساً ، يحمل الله وهو محمول من الله » (١).

· الغنوسى الحقيقى يعرف أن البصيرة الروحية توهب لأنقياء القلب المتواضعين الذين يسلكون مع الله كأطفال مع أبيهم ، يرتفعون بواسطة المعرفة من الإيمان إلى الرؤية الطوباوية التى فوق هذه الحياة ، وذلك خلال الاتحاد بالله (التأله) ، الأمر الذى رمز إليه بواسطة قدس الأقداس فى خيمة الاجتماع(٢).

يقول فى كتابه Protrepticus أن كلمة الله صار انساناً لكى يتعلم الإنسان أن يصير إلهاً . وفى كتاب المتفرقات يدعو الغنوسيين أبناء وآلهة .

مصدر الغنوسية

أوضح اكليمنضس فى مواضع متفرقة أن الله هو مصدر كل شيء صالح ونافع ، لذلك رأى أن كل نقاط الحق الجزئية التى وجدت عند الفلاسفة إنما هى عطية إلهية . أما الغنوسية فى كمالها أو الحق الكامل إنما هو **عطية الله خلال الابن هبة المسيح نفسه لنا .**

« قد يقول قائل ان اليونان اكتشفوا الفلسفة خلال الفهم البشرى ، لكننى أجد الكتاب المقدس يقول بأن الفهم هو من عند الله . لذلك يصرخ المرتل ، قائلاً : « أنا عبدك فهمنى ... »مز ١١٩ : ١٢٥ ... » (٣).

« الغنوسية ، التى هى المعرفة وإدراك الأمور الحاضرة والمستقبلة والماضية ، كأمور أكيدة وموثوق فيها ، يمنحها إبن الله الذى هو « الحكمة » ويعلنها ... » (٤).

أوضح اكليمنضس أن السيد المسيح يهب الغنوسية **خلال قراءة الكتاب** المقدس (٥) بروح كنسى حتى لا نسيء فهمها كالهراطقة . بهذا نحمل الكمال

---

(1) Strom.7 : 13.

(2) Chadwick : The Early Church , P. 97.

(3) Strom. 6 : 8 .

(4) Ibid 6 : 7.

(5) Ibid. 6 : 7 .

بسلوكنا الانجيلى الكامل ، إذ يقول : « بقبول الانجيل يصير الإنسان كاملاً بعد ما كان سالكاً حسب الناموس » (١) .

يؤكد أيضـًا أن المعمودية تجعل الغنوسية ممكنة بالنسبة لنا ، باستنارة عيوننا الداخلية (٢).

أعطى القديس اهتماماً بالحب كمصدر للغنوسية ، فإنها عليه تتأسس : الله حب ، يعرفه الذين يحبونه ... لهذا يلزمنا أن ندخل إلى معرفته خلال الحب الإلهى ، فنتأمل الشبه بشبيهه (٣). نعرف إله الحب بممارسة الحب ، ممارسة الحياة السماوية .

الغنوسى وحياة الكمال

الغنوسية ليست مجرد معرفة نظرية ، لكنها دخول إلى «كمال المسيح»(٤) ، دخول من الناموس إلى السيد المسيح مكمل الناموس (٥) ...

هذا الكمال يعلن فى الجسد كما فى الروح ، فيتقدس الإنسان كله بكمال المخلص (٦) . بهذا ينجح الإنسان بإنشغاله بالله ، أخلاقيًا (سلوكيًا) وجسديًا وذهنيًا (٧). فكما تمجد وجه موسى خلال البر الداخلى ، هكذا يحمل جسد الغنوسى ختم بر النفس (٨).

لقد أكد القديس أن الغنوسيين الحقيقيين هم وحدهم الأتقياء الحقيقيين وعبّاد الله كما يليق (٩) .

سمات الغنوسى

خصص القديس فصولاً كاملة فى عمله « المتفرقات » عن سمات الغنوسى الحقيقى ، أو كما لقبه « الكامل » ، وإذ يطول عرض هذه السمات اكتفى بعرض بعضها :

---

(1) Strom. 4 : 21 .
(2) Paed 1 : 28 : 1 .
(3) Strom. 5.
(4) Ibid 4 : 21 .
(5) Ibid .
(6)Ibid 4 : 26.
(7) Ibid.
(8) Ibid .
(9) Ibid 7 : 1,2 .

١- محب للمعرفة : الغنوسي الحقيقي ليس فقط صاحب معرفة لكنه يلتهب شوقاً نحو المعرفة ...

« يجب على الغنوسي أن يكون كثير المعرفة (١).

« الغنوسي الذى أتحدث عنه يدرك ما يبدو للآخرين غير مدرك ، إذ يؤمن أنه ليس شيء غير مدرك لدى ابن الله ، وليس شيء لا يمكنه تعلمه . الذى تألم حباً فينا لا يخفى شيئاً من المعرفة اللازمة لتهذيبنا » (٢).

« يبدو لي أنه يوجد أمور ثلاث فى قدرة الغنوسي : معرفة الأشياء ، ثانياً : تنفيذ ما يقترحه الكلمة (اللوغوس) ، ثالثاً : القدرة على تقبل الأسرار المخفية فى الحق ... » (٣).

اعتمد اكليمنضس على كلمات سفر الحكمة (٤) فى أهمية حب المعرفة فى نوال الغنوسية : « الحكمة براقة لا تذبل ، يراها الذين يحبونها بسهولة ، ويجدها الذين يلتمسونها . وتسبق وتتجلى بالنسبة للذين يشتهون معرفتها . من بكر إليها فما تعب ، بل وجدها عند مداخله كائنة » حك ٦ : ١٢ - ١٥ . ويعلق على هذه العبارة قائلاً : « أظن أن (الحكيم) يعلم بأن التعليم الحقيقي هو الرغبة فى المعرفة ، والتدريب العملي للتعليم ينجم عنه محبة المعرفة » .

٢- يطلب الصلاح لأجل ذاته : الغنوسي الحقيقي هو الذى فى معرفته يمارس الصلاة ليس خوفًا من العقاب ولا لطلب المكافأة ، إنما يجد فيه لذته ، يطلب الصلاح لأجل الصلاح نفسه . فقد شبه اكليمنضس الإنسان الزاهد عن خوف بالكلب الذى يكف عن أكل اللحم تحت تهديد العصا .

« الإنسان الذى له الفهم وحدة الذهن هو غنوسي ، عمله ليس الامتناع عن الشر أو صنع الخير عن خوف ... ولا من أجل المكافأة الموعود بها ... إذ قيل (٥) « هوذا الرب ومكافأته أمام وجهه ليجازى كل واحد حسب أعماله ، ما

---

(1) Ibid 6 : 8 .

(2) Ibid .

(3) Strom. 7 : 1 .

(4) Ibid 6 : 15 .

(٥) أش ٤٠ : ١٠ ، ٦٢ : ١١ ، رؤ ٢٢ : ١٢ ، رو ٢ : ٦ .

لم تره عين وما لم تسمع به أذن . وما لم يخطر على قلب انسان ما أعده الله للذين يحبونه » ، إنما يفعل هذا عن حب ، من أجل سمو الصلاح ذاته ، بهذا يحسب غنوسيًا ... لمثل هذا يقول الرب : « كونوا كاملين كما أن أباكم هو كامل » ... والآن من يطيع الدعوة ذاتها ، لا عن خوف ولا من أجل المكافأة يكون ساكناً في طريق المعرفة (الغنوسية) » (١) .

٣- لا يخضع لآلام النفس : يخضع الغنوسي لآلام الجسد الضرورية للمحافظة عليه مثل آلام الجوع والعطش وما أشبه ذلك ، لكنه يسمو على آلام النفس ، أي الشر الذي يفقد النفس سلامها .

« يخضع الغنوسي فقط للمؤثرات الخاصة بالحفاظ على الجسد مثل الجوع والعطش وما أشبه ذلك . إذ تحدث هذه المؤثرات بطريقة متعقلة تكون صالحة، لكن الشخص الكامل لا يقبل مؤثرات أخرى إضافية ، فلا يقدر أن يمارس الجسارة (كألم نفسي) إذ لا يواجه شيء بخوف ، ولا يرى في الحياة ما يرعب ، ولا يستطيع أمر أن ينزع عنه محبته لله ... ولا يغضب (ألم نفسي آخر) إذ يرى في الله أنه دائم الحب له ، وأنه (هو) دائم الاتجاه نحو الله وحده ، فلا يبغض أحداً من خليقة الله . ولا يعود يحسد ، لأنه ليس في عوز إلى شيء من الأمور اللازمة لتجعله شخصاً ممتازاً وصالحاً . وبالتبعية لا يحب أحداً بالمفهوم العام للعاطفة إنما يحب الخالق في خليقته ... » « لا يرغب بشغف أن تبتلعه الأمور الجميلة ، إذ هو يملك جمال الحب(٢) ... » .

٤- مملوء حباً : ركز القديس اكليمنضس على « الحب الكامل » في حياة الغنوسي كسمة من سماته ، فهي التي تهدئ آلام نفسه وميولها المضطربة بسبب طبيعتها الساقطة ، لتصيرفي انسجام ، فتدخل إلى حالة الثبات وكأنها تتذوق الأبدية (٣) .

---

(1) Strom. 4 : 22 .

(2) Strom 6 : 9 .

(3) Louis Bouyer : Spirituality of the N.T. & the Fathers, 1960, P. 274.

بالحب تدخل النفس إلى الكمال العملى ، فتنسحب من سلبيتها التى كانت تعيشها أثناء سقوطها . كما يتحدث عن عمل الحب فى حياة الغنوسى ، قائلاً : « الحب هو حفظ الوصايا التى تقود إلى المعرفة . وحفظ الوصايا هو تأسيس للوصايا الواهبة عدم الموت ، وعدم الموت يقربنا لله »(١) .

٥- **تقى** : « الغنوسى إنسان تقى يهتم أولاً بنفسه (خلاصها) وبعد ذلك بقريبه حتى يكون الكل صالحًا جداً . فإن الابن يفرح أباه الصالح بظهوره صالحاً على شبه أبيه ... انه فى مقدورنا أن نؤمن وأن نطيع(٢) » .

« الغنوسى ، من كل ناحية ، يشهد للحق بالعمل والكلام ، إذ يسلك باستقامة فى كل شىء ، بالكلام والعمل والفكر أيضاً ... الغنوسى وحده بالحق هو تقى وعادل ويخاف الله » (٣) .

٦- **يتمم إرادة الله** : « يتذوق الغنوسى إرادة الله ، فلا ينصت للمكتوب (الشريعة المكتوبة) بأذنيه إنما بنفسه !(٤) » . خلال هذه الطاعة المملوءة حبًا لإرادة الله يظهر كصديق لله وابناً له : « الغنوسى كمحب للحق الواحد الحقيقى يكون إنساناً كاملاً ، صديقاً لله ، ويحسب إبناً » (٥) .

٧- **لا يخشى الموت** : « (الغنوسى) بحق لا يضطرب من شىء ما ... لا يخشى الموت ، إذ له الضمير الصالح وتهيأ لمعاينة القوات (السمائية) (٦) ...» .

٨- **رجل صلاة** : « حياته كلها صلاة وحديث مستمر مع الله ... صلاته هى شكر من أجل الماضى والحاضر والمستقبل الذى يراه بالإيمان حاضراً»(٧) .

٩- **شهيد** : لقب القديس اكليمنضس الإنسان الغنوسى الحقيقى ، الذى له شركة اتحاد مع الله « شهيداً » (٨) . فإن الاستشهاد - فى نظره - ليس فى بطولة الشهيد بل فى الشهادة للحق المسيحى ، فيحتمل المؤمن بشجاعة آلامًا فوق ما تحتمله الطبيعة البشرية .

---

(1) Stroma 6 : 15 .
(2) Strom 7 : 9 .
(3) Ibid .
(4) Ibid 7 : 11 .
(5) Ibid .
(6) Strom 7 : 18 .
(7) Ibid 7 : 11 .
(8) Ibid 4 : 12 .

المعلم والتعليم

تركز لاهوت اكليمنضس حول « التعليم المسيحي » فيرى في الله الكلمة «اللوغوس » معلمًا أولاً وقبل كل شيء ، يقوم بدوره التعليمي خلال التاريخ البشرى كله ، نطق به الأنبياء ، كما عمل فى شعراء اليونان ، وأخيراً ظهر متجسداً .

لخص اكليمنضس العمل الإلهى فى هذه العبارة : « باختصار يعمل الرب معنا كما نفعل نحن أيضاً مع أبنائنا » (1). إن كان عملنا مع أبنائنا هو «التربية» ، فهذا هو العمل الإلهى ... لذا دعى إبن الله « المربى » ، مقدمًا لنا منهجًا تربوياً على مستوى إلهى للعمل على تجديد العالم كله .

من هو المعلم ؟

المعلم الإلهى ليس مجرد مقدم لوصايا ونواميس ، لكنه قادر على التغيير الشامل لحياة الإنسان ... انه يقدم « حياة » يمارسها المؤمنون بمعرفة .

« من هو ؟ تعلموا باختصار أنه كلمه الحق ، كلمة عدم الفساد ، الذى يجدد الإنسان إذ يرده إلى الحق . انه المهماز الذى يحث على الخلاص . هو محطم الهلاك وطارد الموت . انه يبنى هيكل الله فى الناس ، فيأخذهم الله مسكناً له» .

« يحتاج المرضى إلى مخلص ،

ويحتاج الضالون إلى مرشد ،

يحتاج العمى إلى من يقودهم إلى النور ،

والعطاش إلى الينبوع الحى الذى من يشرب منه لا يعطش أبداً ،

والموتى إلى الحياة ،

والخراف إلى راعى ،

(1) Strom 1: 9.

والأبناء إلى معلم ؛

تحتاج كل البشرية إلى يسوع » (١).

» على هذا الأساس يدعى اللوغوس « المخلص » ، إذ يبتكر علاجًا لشفاء الإنسان وخلاصه . ينتهز الفرص المناسبة ليكشف الخبايا المؤذية ، ويفضح علل العواطف ، ويقطع جذور الشهوات الحيوانية ، ويحذر الإنسان من الأمور الواجب الكف عنها ؛ ويمده بكل نوع من الترياق الشافى . فإن خلاص الإنسان هو أعظم أعمال الله وأسماها .

وصف المعلم هكذا : « معلمنا أيها الأبناء يمثل الله أباه . إنه ابن الله الذى بلا خطية ولا عيب ، نفسه فوق الآلام(٢) Passionless . إنه الله الذى بلا دنس في صورة بشرية ، العامل إرادة الآب ، الله الكلمة ، الله فى شكل بشرى! بالنسبة لنا ، هو الصورة غير الدنسة التى ينبغى علينا أن نبذل كل الجهد لتكون نفوسنا متشبهة به ، هو بلا شهوة بشرية تمامًا ، الديان وحده الذى بلا خطية ، أما نحن فنبذل كل الجهد أن نحفظ نفوسنا من الخطية قدر المستطاع » (٣).

غايته فى التعليم :

غاية معلمنا أن يعلن لنا الحق ؛ فالسيد المسيح كمعلم يثقف الإنسان ليدربه على اكتشاف الحق (٤) الذى فى المسيح يسوع .

لا يقف عمل المعلم عن كشف الحق وإنما يولد فى النفس شوقًا لمعرفة الحق ، إذ يقول : « التدرب على التعليم Paideia يولد حب المعرفة » (٥).

أخيرًا فإن الحق المعلن فى المسيح ليس معرفة عقلية فلسفية نظرية ، إنما تحمل قوة العمل : « غايته إصلاح النفس لا أن تتعلم (فقط) ؛ يرفعها إلى

(1) Paed 2 : 9 .
(2) Paed 1 : 2 .
(3) Ibid . 1 : 2 : 4 .
(4) Strom 4 : 6 .
(5) Ibid 4 : 15 .

الحياة الفاضلة ، لا مجرد نوال معرفة عقلية » (١).

موضوع التعليم

الموضوع الرئيسى الذى يركز عليه اللوغوس فى تعليم الأبناء « الحب » ، أما العنصر الأساسى فى الناموس القديم فقد كان « الخوف » . لقد أظهر القديس أنه لا تعارض بين الحب والخوف ، ولا بين البر (العدل) والحب . فالمعلم يحب ويؤدب فى نفس الوقت . بهذا دحض اكليمنضس تعليم مرقيون الذى أقام فصلاً كاملاً بين معاملة الله للناس فى العهد القديم ومعاملته لهم فى العهد الجديد .

فى حديثه عن تأديبات الله المخفية يقول : « فى تدبيره لا يقدم لطفًا فحسب ، وإنما يقدم أدوية الصرامة أيضًا . جذور الخوف المرة توقف أكل مرارة خطايانا . فالخوف مفيد وإن كان مرًا » (٢).

مكان التعليم

كان اكليمنضس رجلاً كنسيًا ، يرى فى الكنيسة موضع رعاية الله ، إذ يقول : « أطعمنا نحن الأبناء كخراف . نعم أيها السيد إملأنا بالبر فى مرعاك . نعم ، لتقوتنا أيها المعلم على جبالك المقدسة ، الكنيسة ، المرتفعة كالبرج ، فوق السحاب ، تتلامس مع السموات » (٣).



(1) Paed 1 : 1 : 1 .

(2) Paed 1 : 19 . AN. Frs, Vol.2 , P. 230.

(3)Ibid, P. 281 .

الكتاب المقدس

الجهل والباطل فى عين اكليمنضس هما أشر الخطايا (١)، لهذا كان محباً للقراءة لمعرفة الحق . يظهر إتساع اطلاعه فى كتاباته حيث اقتبس أكثر من ٧٠٠ نصاً من ٣٤٨ مؤلفاً وربما أكثر (٢).

أما بخصوص الكتاب المقدس ، فيراه المرجع الأخير(٣) والحاسم .... آمن أن « الذى يؤمن بالكتاب المقدس وبصوت الرب العامل لخير البشرية مؤمن حقًا » (٤). لهذا انسكب على دراسة الكتاب المقدس كله ، وكان مغرمًا على وجه الخصوص بسفر المزامير ، ومعجباً بالحكمة البارعة فى سفرى الأمثال والحكمة . كان فى ذهنه على الدوام أشعياء ، وأرميا ، وحزقيال . أما عن العهد الجديد فكان محباً للموعظة على الجبل وإنجيل القديس يوحنا .

الكتاب المقدس والهراطقة

إذ يتحدث القديس اكليمنضس فى نهاية الكتاب السابع من « المتفرقات Stromata » (٥)عن الهرطقات والهراطقة يرى « الحق » هو العنصر الأساسى فى المسيحية . أما المبدأ الأول للحق فهو الرب المتكلم خلال الكتاب المقدس(٦)؛ الرب الذى قاد الأنبياء والإنجيليين والرسل هذا الذى منه أخذنا براهين إيماننا .

قبلنا الحق خلال الكتاب المقدس ، خلال صوت الرب نفسه وليس خلال آراء الناس كما يفعل الهراطقة . فإن الهراطقة ، وإن كانوا يستخدمون الكتاب المقدس لكنهم لا يعرفون الحق . انهم يقرأون الكتاب المقدس بطريقة سطحية ،

---

(1) Carl S. Meyer : The Church , P. 32 .

(2) Ferguson : Clement of Alexandria, P. 17 .

(3) S.P. Wood : Clement of Alexandria , 1954, P. XI.

(4) Stromata 7 : 16.

(5) Ibid 7 : 15-18.

(6) F.F. Osborn : The Philosophy of Clement of Alexandria , ch.9.

يقرأونه فى كسل دون أن يدخلوا إلى أعماقه . بهذا لا يتعلمون أسرار معرفة الكنيسة (١). انهم ليسوا من النضوج ليستوعبوا عظمة الحق .

هذا والهراطقة يسرقون مقتطفات من الحق ويدفنونها فى نظام فكرى بشرى ، يقتطفون عبارات متفرقة ومقاطع غامضة ويشكلونها حسب أهوائهم . بهذا لا يدخلون الكنيسة من بابها الرئيسى إنما يدخلون من باب جانبى خفى ... لهذا يصير الكتاب المقدس بالنسبة لهم عقيماً ، أما بالنسبة للكنيسة فالكتاب يكون أشبه بالقديسة مريم العذراء التى تحمل أسرار الحق مخفياً داخلها ، فتنجب « الحق » .

فيما يلى مقتطفات من كلماته عن الهراطقة وعلاقتهم بالكتاب المقدس :

« إن كان الذين يتبعون الهرطقات يتجاسرون ويحتمون فى الكتب النبوية ، فإنهم فى المكان الأول لا يستخدمون الكتب المقدسة كلها ولا يقتبسون العبارات كاملة ... إنما يختارون عبارات غامضة يحرفونها لخدمة آرائهم الخاصة ، ويجمعون عبارات قليلة من هنا وهناك ، غير مهتمين بالمعنى إنما بمجرد استخدام للكلمات . فى أغلب اقتباساتهم تجدهم يهتمون بالألفاظ وحدها محرفين المعانى ... فلا يستخدمون الاقتباسات التى يدللون بها فى طبيعتها الحقيقية » (٢).

« مع انهم يتحدثون عن الله الواحد ، ويسبحون بالترنيمات للمسيح ، لكنهم يتكلمون بغير تدقيق ، مخالفين الحق ، إذ اكتشفوا إله آخر وقبلوا مسيحاً ليس حسب النبوات . هؤلاء تعاليمهم باطلة ، تعارض الحق ، وهم ضدنا » (٣).

« الكتب المقدسة بالنسبة للغنوسيين (الذين لهم معرفة حقيقية) هى حبلى ، أما بالنسبة للهراطقة تبدو غير حبلى لأنهم لا يفهمونها » (٤).

---

(1) Strom. 7 : 97.

(2) Strom. 7 : 16 : 96.

(3) Ibid 6 : 15 .

(4) Ibid 7 : 16.

ليت الذى تقبل الإنجيل مرة ، حتى فى الساعة التى دخل فيها إلى معرفة الخلاص ، ألا ينظر إلى الوراء كما فعلت امرأة لوط ، ولا يرتد إلى حياته الأولى المرتبطة بالحسيات أو الهرطقات » (١).

التفسير الرمزى

استخدام القديس اكليمنضس للرمزية هو أحد ملامح فكره المميزة والثابتة . فإن الرمزية بالنسبة له تخفى الحق وتعلنه فى نفس الوقت ؛ تخفى معانيها عن الجهلاء الذين أعمتهم الخطية وأعاقهم الكبرياء عن الدراسة المملوءة صبراً . وفى نفس الوقت تعلن أموراً جديدة لعيون المؤمنين الجديدة (٢) . ويعتبر اكليمنضس أول من قسم نظرية الرمزية وحاول تبريرها بطريقة عملية ، إذ يقول :

« يخفى الكتاب المعنى لأسباب كثيرة :

أولاً لكى يكون موضع بحث منا ، نسعى على الدوام لاكتشاف كلمات الخلاص ...

كذلك لا يليق أن يفهم الكل ، لئلا يصابوا بالضرر خلال تأويلهم الأمور الخاصة بإعلان الخلاص ... لذلك حجبت أسرار النبوات المقدسة خلال أمثال، لكى تحفظ للمختارين ، الذين يختارون للمعرفة خلال إيمانهم ... » (٣) .

فى رأيه أن الرمزية أيضًا تحفظ الحق من السخرية عليه أو تدنيسه ، فالحق كاللؤلؤة أثمن من أن تقدم للخنازير ، لذلك يجب أن تخفى التعليم التقليدى الشفوى ضرورى لتفسيره (٤) .

رمزية الكتاب المقدس تشبه بتولية القديسة مريم حتى بعد ولادة السيد المسيح ... « يقول البعض انها وجدت عذراء حتى بعد أن ولدت . هكذا بالنسبة

---

(1) Ibid 7 : 16 .

(2) F.F. Osborn, P. 10 , 11 .

(3) Strom 6 : 15 .

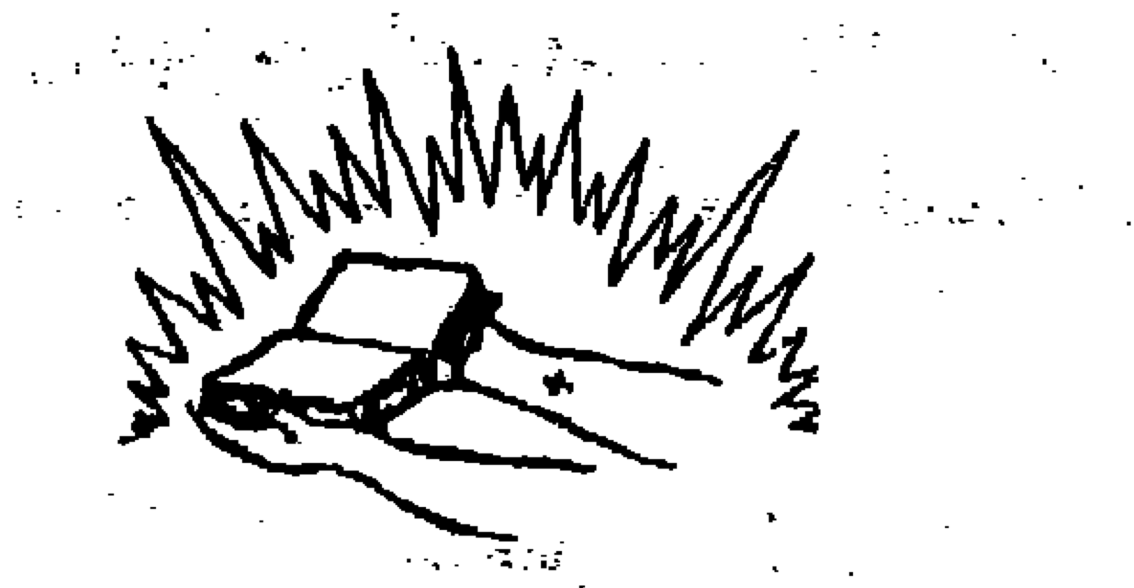
(4) Osborn P. 11 .

لنا كتاب الرب المقدس ، يلد لنا الحق ولا يزل عذراء ، إذ يحمل ختم أسرار الحق » (١) .

أمثلة للرمزية

يرى القديس اكليمنضس فى « الحيوانات الطاهرة ذات الظلف المشقوق اشارة إلى الأرثوذكس الذين يتأملون شريعة الله باستقامة » (٢) .

ثوب يوسف الملون يشير إلى المعرفة المتنوعة (٣) ، وفى قول الرب : «من ترك أباً أو أماً ... » متى ١٩ : ٢٩ . كلمة أب تشير إلى تنازل الانسان عن حقه المدنى ، أما كلمة أم فتشير إلى الموطن أوالقوت الذى يعوله (٤) . وعدد عبيد لوط الذين أسروا كانوا ٣١٨ عبداً لأن رقم ٣٠٠ فى شكله يشير للصليب ، ورقم ١٨ (يوتا وإيتا) يشير إلى اسم يسوع المخلّص (إيسوس) .



(1) Strom. 7 : 16 .
(2) Strom. 4 : 4 .
(3) Ibid 4 : 5 .
(4) Strom 4 : 4 .

الإلهيـات

معرفة الله

١ – نظرة القديس اكليمنضس الفلسفية فى معرفة الله وجدت بوجه خاص فى الكتاب الخامس من « المتفرقات Stromata » ، حيث أعطى إيماناً ورجاءً فى إدراك الذهن للأمور غير المنظورة ، والتى لا تستطيع الحواس أن تدركها(١). أما طريق المعرفة فيمر بمراحل ثلاث :

ا – المرحلة الأولى ، وهى مرحلة التطهير من الخطية . يليق بالإنسان لكى يتمتع بمعرفة الإلهيات أن يتخلص من أفكاره الذاتية الخاطئة عن الله ، التى هى ثمرة عبوديته لأهوائه الجسدية . خلال هذه الآلام يرى الإنسان فى الأمور المادية هدفاً له فيصير أبعد ما يكون عن الله .

استخدم القديس عبارات مقاربة لكلمات فيلون ، إذ يقول : « إذ إلتحف غالبية البشر بأمور قابلة للموت كالقواقع المغلقة فى الصدف ، منطوين حول شهواتهم كالقنافذ أشبه بالكرة . صاروا يفكرون فى الله الطوباوى غير المائت بذات التعبيرات التى يفكرون بها عن أنفسهم ... (٢)» . لهذا يليق بالبشر أن يتخلصوا من هذا الخطأ ، فيتحررون من آلام النفس والمؤثرات الأرضية لكى يدركوا الله .

ب– المرحلة الثانية هى التحليل المنطقى أو الابتعاد عن التفكير فى الله بطريقة مادية جسدانية . فكلمات الإنجيل لا تفهم بطريقة حرفية ؛ حين يتحدث عن « يمين الله » مثلاً ، لا يفهم أن لله يمين ويسار ، بل هو فوق الزمان والمكان ، فوق عالم الأسماء وفوق المفاهيم الأرضية .

تحدث اكليمنضس بدقة أن الله لا يمكن الحديث عنه ، فهو بلا شكل ولا اسم ، وأن ما لقب به من أسماء مثل : « الواحد أو الصالح أو العقل أو الوجود أو

---

(1) Cf. Osborn, ch 5 .

(2)Strom. 5 : 68.

الآب أو الله أو الخالق أو الرب ، هذه كلها أسماء غير دقيقة لا يمكن أن تصف الأيدى ، لأن أى اسم يفقده وحدته وينزل به إلى عالم الأمور المحدودة العادية، لكن هذه الأسماء أعطيت لنا من أجل تصورنا حتى نقدر أن ندرك سلطان قدرته (١).

الله فوق كل لغة ، لهذا إنما نتحدث عنه خلال الرموز ، فلا تفهم الكلمات عنه بطريقة حرفية بل « غنوسياً » .

جـ- المرحلة الثالثة هى مرحلة الرؤيا . معرفة الله هبة إلهية ، لا يمكن بلوغها بدون نعمته . حقاً إن الفلسفة تسندنا ، لأنها تعرفنا ما هو ليس الله ، وهو أمر هام ، به تزول الأفكار الخاطئة التى فى أذهاننا والتى فى أذهان الآخرين. أما إدراك الله فلا يمكن بلوغه إلا بالنعمة الإلهية وحدها ، فوق حدود الفكر المنطقى . هكذا يعبر بنا من الفلسفة إلى الدين ، إذ يرى أن طريق المعرفة الإلهية هو الاتحاد مع اللوغوس المولود من الآب ، اتحاد مع السيد المسيح فى القداسة . فإن الله غير المعروف يصير معروفاً خلال اللوغوس . من يرفض نعمة الله ويتجاهل اللوغوس يبقى الله بالنسبة له غير معروف ...

إذن اللوغوس هو سر المعرفة الإلهية ، التى ننعم بها خلال الاتحاد معه وتمتعنا بالحياة الجديدة التى لنا فيه . لهذا يقول فى الكتاب السادس من «المتفرقات» ، أن معرفتنا وفردوسنا الروحى هو مخلصنا نفسه الذى فيه نزرع بعد أن نقلنا من الحياة العتيقة إلى التربة الصالحة ... الرب نفسه هو معرفتنا . يليق بالغنوسى أن ينقل إلى السيد المسيح نفسه لكى يزرع فيه يقتلع من جذوره القديمة ليتأصل فى المسيح ، بهذا يصير خليقة جديدة ، يتحرر من الإنسان العتيق والأمور العتيقة ليدخل الحياة الجديدة (٢).

الله هو أب العالم كله ، لكننا لا نستطيع أن ندعوه «الكل» (٣)، لأن صفة

---

(1) Strom 5 : 11 : 71; 5 : 12 : 81, 4 : 18 : 166; 2 : 2 : 6.

(2)Osborn, ch 12 .

(3) Paed 3 : 1 ; Strom 2 : 28 ; 2; 68; 7 : 14.

«الكلية» خاصة بالأشياء التى أوجدها الله . لا يمكن دعوته هكذا لأنه لم يخلقها صادرة عن كيانه أو ذاته لكنه أوجدها من العدم .

يرى الفلاسفة أن كل شيء سابق له فى الوجود ، أما اكليمنضس فأوضح أنه لا يمكن لله الواحد غير المنظور أن يصدر عن ذاته شيء من الخليقة ، إنما إرادة الله كلية القدرة وكافية لخلقة كل شيء . إذ يريد الله شيئًا يأتى إلى الوجود . وكما يقول : «كل شيء يأتى إلى الوجود فى الوقت الذى فيه يأمر الله . إنها تنبع عن إرادته المجردة ، إذ يهب فتصير إلهية كائنة تمامًا»(١) . «ما يريده يصير حقيقة ، وإسم هذه الحقيقة هو العالم»(٢) .

اللوغوس

يقوم نظام القديس اكليمنضس اللاهوتى على شخص «اللوغوس» . هو خالق العالم والأساس المطلق لكل وجود ، مصدر النور والحياة ، بلا بداية ولا نهاية ، لا يخضع للزمن . هو معلن عن الآب ، مربى البشرية ومعلمهم . خلال الاتحاد به ينعم المؤمن بالميلاد الجديد فى مياه المعمودية ، حيث تتطهر نفسه من الخطية التى تفصلنا عن الآب ، وتخلص من الانقسام الداخلى والحرب الداخلية ، فينعم بالسلام الداخلى ، خادمًا الله فى كل شيء ، متممًا إرادة الله على الأرض كما فى السماء .

خطة السيذ المسيح الخلاصية خطة جماعية ، تشمل كل البشرية عبر الأجيال ، وتأتى بهم إلى الإتحاد مع السيد وبالتالى يتحقق الاتحاد مع بعضهم البعض(٣) .

اللوغوس ومعرفة الله

١- يقول القديس اكليمنضس «الله لا يمكن البرهنة عليه ، وبالتالى لا يمكن أن يكون موضوع معرفة . لكن الابن هو الحكمة والمعرفة والحق وما

---

(1) Paed 1 : 26 .

(2) Ibid 1 : 27 .

(3) Osborn , p. 53 .

يماثل ذلك يمكن وصفه وتعريفه » (١) . الابن هو اعلان عقلى للآب ، هو ختم مجد الآب ، يعلمنا الحق (٢) . هو صورة الله (٣)، وفكره (٤) ، ووجهه (٥). هو النور الذى به نعاين الله (٦) . يعلن عن طبيعة الآب (٧) ، يدعى قوة الله (٨) وذراعه (٩).

٢- أعلن الابن « اللوغوس » الآب خلال الناموس فى العهد القديم وخلال الفلسفة عند اليونانيين ، وذلك بكونه الفهم والحكمة والحق ذاته . هو المعلم العظيم للبشرية كلها . أما فى ملء الزمان فقد تجسد بكونه مخلص الجنس البشرى ومؤسس الحياة الجديدة ، مجتذباً إيانا إلى الاتحاد معه ، واهباً إيانا شركة الطبيعة الإلهية .

تأنس اللوغوس

بتأنسه يدخل بنا إلى المعرفة والتأمل ، ويقودنا خلال الحب إلى الخلود والتأله ، رافعاً إيانا إلى الحياة الإلهية . وكما قال القديس ايريناوس : « صار الله إنساناً لكى يصير الإنسان إلهاً » (١٠)، هكذا يقول القديس اكليمنضس : « صار كلمة الله (اللوغوس) إنساناً حتى تتعلم من الإنسان كيف يصير الإنسان إلهاً»(١١) .

يتحدث عن عمل اللوغوس المتأنس فى حياتنا ، قائلاً : « إنه شمس البر الذى يقود مركبته فوق الكل ؛ تنتشر أشعته بالتساوى على كل البشرية ، وذلك مثل أبيه الذى يشرق شمسه على جميع البشر ، وينزل ندى الحق عليهم. وإذ ينتزع الإنسان من الهلاك يرفعه إلى السمويات ،غارساً المائت فى الخلود ،

---

(1) Strom 4 : 156 .
(2) Ibid 7 : 58 .
(3) Ibid 5 : 94.
(4) Ibid 5 : 16 .
(5) Paed 1 : 57 .
(6) Prot 84 .
(7) Strom 5 : 34 .
(8) Ibid 7 : 7 .
(9) Prot. 120 .
(10) St. Erenaeus : Adv. Haer 3 :10 : 2, 19 : 1 ; 4 : 33 : 4 , 11 .
(11) Protr 1 , Strom 4 : 23, 7 : 3 , 7 : 10, 7 : 13 .

ومحولاً الأرض سماءاً . إنه الزارع الإلهى الذى يمنحنا ميراث الآب العظيم حقاً ؛ الزارع الإلهى غير المتغير ، الذى يؤله الإنسان بالتعاليم السماوية ، واضعاً شرائعه فى أذهاننا ، وكاتباً إياها فى قلوبنا » (١).

لقد صار الإبن إنساناً ليس فقط لكى يصير منظوراً ، وإنما لكى يتألم على الصليب من أجل خلاصنا ... هذا الخلاص إنما يعنى اتحاد الغنوسى الحقيقى مع الله بطريقة تمس كل حياته (٢) . هو خلاص من الانقسام الداخلى ودخول إلى الاتحاد مع المسيح لتكون حضرة الرب كائنة فينا ومعنا حتى أثناء عملنا اليومى ، سواء كنا نفلح الأرض أو نقلع بالمركب (٣) . لخص مفهومه فى الخلاص فى هذه العبارة : « إذ تؤمن به وخلاله تصير واحداً فيه بغير انفصال ، أما جحده فيعنى الانفصال والتغرب عنه والانقسام » (٤).

الاتحاد مع اللوغوس المتأنس

قلنا إن الخلاص هو اتحاد مع اللوغوس خلاله ينزع عنا روح الانقسام الداخلى لننعم بحضرة الله العاملة فينا فى حياتنا اليومية . لقد تحدث كثيراً عن فاعلية هذا الاتحاد فينا ، نذكر منها :

أ – الميلاد الجديد فى حياة البر والسلام الأبدى فى الله . فالله يلدنا خلال أمنا – مياه المعمودية – فنحمل سمة الخلود .

ب– الاتحاد مع المسيح إنما هو تغيير لحياتنا الأرضية إلى حياة سماوية . فقد دعى الغنوسى الذى يتأمل فى السماء والإلهيات « سماء» .

جـ – الاتحاد مع السيد المسيح إنما يعنى الطهارة والتحرر من الخطية التى تفصلنا من الله ، فقد اهتم بحزقيال ٤٤ حيث لا يسمح لغريب أن يدخل المقدسات بل للاويين ... هكذا لا يدخل المقدسات غير مؤمن بل المؤمنون الأنقياء . فى الشريعة الموسوية إن مس كاهن جسد ميت يتدنس ويبقى سبعة أيام وفى اليوم الثامن يدخل إلى الكفارة . هكذا تشير الأيام السبعة إلى التكوين

---

(1) Prot. 11 : 88.

(2) Strom 7 : 85 .

(3) Ibid .

(4) Ibid 4 : 157 .

أو الخطية التى يجب أن يتخلص منها الانسان ، أما اليوم الثامن فيشير إلى السماء ، التطهير الكامل ، الراحة العليا ، الموضع الثابت المثالى ...

د- أخيراً ، فإن الاتحاد مع السيد المسيح إنما يعنى خدمة الله بكل كياننا فى العالم الذى خلقه . فلا ينظر الغنوسى إلى العالم كشر ، إنما يكرس حياته لأجل العالم وخدمته . يخدمه بذهنه وسلوكه وجسده ، يخدمه بذهنه خلال الحكمة التى هى معرفة الالهيات والأمور البشرية ، وبسلوكه خلال العدل الذى يمارسه ، وجسدياً خلال القداسة التى هى خدمة الله .

اللوغوس ومنهجه اللاهوتى

رأينا أن كتب أكليمنضس الثلاثة الرئيسية تمثل منهجه اللاهوتى من حيث دعوة البشرية لقبول الايمان ، ثم تدرب المؤمن للتشبه بالله ، وأخيراً تمتعه بكمال المعرفة . هذا المنهج إن كان غايته هو خلاص الانسان ، لكن محوره فى الواقع هو « اللوغوس » العامل فى حياة البشرية . ففى الكتاب الأول Protrepticus يطلب من الوثنيين أن يجابهوا رفض الحياة الوثنية والاقتراب إلى اللوغوس مصدر النفس الإلهى . وفى الكتاب الثانى « المربى Paedag » يضع النظام الذى من خلاله يسمح السيد المسيح للنفس التى قبلته أن تبتر الآلام التى تعوق نموها نحو الكمال ، وذلك بقصد التشبه بالله . وأخيراً فى كتاب المتفرقات يسعى إلى بلوغ المؤمن إلى « المعرفة الحقيقية Alethes gnosis » الأمر الذى يخص النفس التى بدأت فى نوال الكمال فى المسيح يسوع (١) .

الروح القدس

الروح القدس هو قوة اللوغوس كما أن الدم هو قوة الجسد (٢) . هو مساوٍ للوغوس ، يتكلم بواسطة الأنبياء (٣) ، إذ يعمل فى كل الأبرار هو واحد فى كل مكان (٤) .

---

(1)L.G. Patterson ; God & History in Early Christian , Thought , London 1967, P. 44.

(2) Paed 2 : 20 . (3) Prot. 1 : 8 . (4) Strom, 5 : 38, Paed 1 : 42 .

الروح القدس يغسل نداه خطايانا ويقدس نفوسنا وأجسادنا (١) ، كما يربط بين الكنيسة المنظورة وغير المنظورة (٢) .

يحل الروح القدس فى نفس المؤمن بقوته لا بأقنومه (٣) . شرح ذلك بعبارة أخذها عن برناباس ، قائلاً : « يسكن الله فينا حقاً كما فى الهيكل ، ولكن كيف ؟ بكلمة ايمانه، بدعوة مواعيده، بحكمة شريعته ، بوصايا تعاليمه » (٤) .

وحدانية الله

من يؤمن بآلهة كثيرة وليس بالله الواحد الحقيقى يشبه اللقيط الذى لا يعرف أباه الواحد الحقيقى (٥) . وقد أعلن الأقانيم الثلاثة فى الله الواحد وتمايزهم مع تأكيد وحدانيتهم . على سبيل المثال يقول : « أيها الإله العظيم ! أيها الابن الكامل ! الإبن فى الآب ، والآب فى الإبن » (٦) .



(1) Quis dwes salvus 34, Strom 4 : 26 .

(2) Strom 7 : 2 : 9 .

(3) Bigg, P. 101 .

(4) Strom 7 : 14; 6 : 16 ; 2 : 20 ; 5 : 13 .

(5) Prot 25 .

(6) Paed 1 : 24 .

الصَلاح

صلاح الله

الله وحده كلى الصلاح ، صالح فى ذاته ، يعلن هذا الصلاح لأجلنا (١) ، فإن هذا هو عمل الله الواحد ، أن يفعل صلاحًا (٢) . هكذا لا يتحدث القديس أكليمنضس كثيراً فى اللاهوت النظرى لكنه يتحدث عن « الله الصالح ، المحب للبشر . يمكننا أن نلخص نظرته فى صلاح الله فى النقاط التالية :

١- يعلن الله صلاحه فى حب غير المنقطع وسهره على البشرية (٣) ، رغم انفصالهم عنه وتغربهم عنه (٤) .

٢- فى حبه احتضن كل البشرية بلا تمييز منذ بدء الحياة البشرية خلال اللوغوس « يسوع المسيح » . وكما يقول شارلس بيج : « المسيح هو النور الذى احتضن التاريخ كله ، يضئ كل انسان آت إلى العالم . كل ما على الأرض من جمال وحق وصلاح وكل ما يميز الانسان المتمدن عن الهمجى والهمجى عن الحيوانات المفترسة إنما هو عطية . ليس من كاتب بعده له مثل هذه النظرة الرزينة المملؤة رجاءاً نحو الطبع البشرى » (٥) .

٣- صلاح الله غير المنطوق به يطلب على الدوام أن يقود طبيعة الأشياء إلى ما هو أفضل (٦) . غايته المستمرة هو خلاص القطيع البشرية ، لذلك نزل إليهم الراعى الصالح (٧) .

٤- يظهر أيضاً صلاح الله فى استخدام أخطاء مقاوميه للخير (٨) ، يحوّل الشر خيراً كقول يوسف لاخوته إنهم أرادوا به شراً والرب صنع به خيراً ... هكذا يحوّل الله الشرور إلى دواء للخلاص (٩) .

---

(1) Paed 1 : 10 ; Strom 1 : 27 ; 2 : 7 ; 4 :8 .
(2) Strom 6 : 159 .
(3) Ibid 2 : 43 .
(4) Ibid 2 : 74 .
(5) Bigg. P. 103 .
(6) Strom 6 : 154 .
(7) Prot 116 .
(8) Storm 4 : 87.
(9) Ibid 7 : 61 .

ليس انسان كامل فى صلاحه ، لذلك صار الصالح انساناً ليقود الانسان إلى الصلاح :

« لا أعرف انساناً كاملاً فى شئ ... وهو بعد انسان » ، إلا ذاك الذى وحده من أجلنا لبس ناسوتيتنا » (١) .

هذا الصالح هو وحده صورة الله الذاتية ، يدخل بنا إلى التشبه بالله ، بالقداسة ، مقتفين أثر خطواته . هكذا نتمتع بحياته المخلّصة فيكون لنا ختم الآب ... تنزع عنا آلام النفس ونتطهر فنعاين الله .

لهذا يطالبنا أن نطرد عنا كل آلام النفس (٢) المفسدة لها . وأن نمارس الفضيلة مثل غفران أخطاء الآخرين سبع مرات سبعين مرة ، إذ نسيان الشر يجعلنا نتشبه بالله المشرق شمسه على الأبرار والأشرار (٣) . كما يسألنا أن نسلك بالبساطة فلا نحتاج إلا إلى الضروريات القليلة متشبهين بالله الذى لا يحتاج إلى شئ (٤) . وأيضاً بالحب المرتبط بعدم آلام النفس يدخل بنا إلى الرجولة الروحية الكاملة (٥) .... هكذا يرى فى كل فضيلة إنما هو امتثال وتشبه بالله الصالح . لكن هذا التشبه ليس مجرد عملية أخلاقية Ethical بحتة ، بل هو فى جوهره عمل الله فينا (٦) ، الذى يدخل حياتنا ...

من هذا المنطق يرى حاجة البشرية إلى اللوغوس كمصدر للخلاص والتشبه بالله ، وليس مجرد جهادنا البشرى ... إذ يقول :

« كمرضى نحن نحتاج إلى الشافى ،

كتائهين نحتاج إلى مرشد ،

كعميان نحتاج إلى من يقودنا إلى النور ،

كعطاش نحتاج إلى ينبوع الحياة ، الذى ينزع الظمأ إلى الأبد ،

(1) Strom 4 : 130 .
(2) Ibid 7 : 86.
(3) Ibid 7 : 85 .
(4) Paed 3 : 1 .
(5) Strom 7 : 84 .
(6) Ibid 2 : 22.

كأموات نحتاج إلى الحياة ،

كخراف نحتاج إلى راعى ،

كأطفال نحتاج إلى معلم ،

لكن كل البشرية تحتاج إلى يسوع ، (١) .



(1) Paed 1 : 83.

الإستشهـاد

كتب القديس أكليمنضس عن الاستشهاد من واقع الخبرة التى عاشها ، فقد عاصر ، الاستشهاد ، بنفسه ، ولمس ثمرته الحية فى حياة الكنيسة . لقد خصص فصولاً كاملة من كتابه الرابع من المتفرقات Stromata يوضح فيها أن الاستشهاد أمر أساسى فى حياة المؤمن الغنوسى ، فإن الاستشهاد ليس مجرد سفك دم ، ولا هو مجرد اعتراف شفهى بالسيد المسيح لكنه ممارسة كمال المحبة ، مظهراً كرامة الاستشهاد (ف ٤ ، ٧) ، وأن النساء كما الرجال والعبيد كما السادة مدعوون لنوال اكليل الاستشهاد (ف٨) ، معلقاً على أقوال السيد المسيح فى هذا الشأن ، كما عرض آراء القديس أكليمنضس الرومانى والشعراء فى الاستشهاد .

شأنه شأن كثير من الآباء الأولين يرفض التقدم للاستشهاد باندفاع وتهور (ف١٠) ...

من أقواله عن الاستشهاد

« الرب وحده – من أجل البشرية التى أساءت إليه وعصت – شرب الكأس » . وإذ أمتثل به الرسل وأرادوا أن يكونوا غنوسيين حقيقيين وكاملين ، قدموا حياتهم من أجل الكنائس التى أسسوها . هكذا يليق بالغنوسيين الذين يقتفون أثر الرسل أن يكونوا بلا خطية ، وبسبب حبهم للرب يحبون قريبهم حتى إذا ما حدثت ضيقة يحتملونها بغير تملق ، ويشربون الكأس من أجل الكنيسة ... » (١) .

« إن كان أحد يصعد إلى الحب ، بالحقيقة يكون مطوّباً وشهيداً حقاً ، إذ يعترف بطريقة كاملة بالله ووصاياه ... » .

« من المعقول حين يدعى الغنوسى (للاستشهاد) يطيع بسهولة ، مسلماً

---

(1) J. Danielou : The Christian Centuries, Vol. 1, P. 126. Strom 4 : 9.

جسده لمن يسأله ذلك . وإذ تحرر مقدمًا من آلام هذه الـ Carcase لا يشتم المضطهد بل في رأيي يدريه ويقنعه ...

إنه بالحقيقة يقدم شهادة عن نفسه أنه مؤمن وأنه ممتثل بالله ، ويشهد عن المضطهد أنه باطلاً يحسده إذ يبقى أمينًا في محبته له . كما يشهد للرب من أجل تعاليمه التي لا يتخلى الغنوسى عنها خوفًا من الموت ، بل بالحرى يؤكد بأعماله قوة الكرازة مظهراً أن الله يسرع إليه وهو قوى .

أنه لا ينكر المسيح خوفًا ، بل ينفذ الوصية . ولا يبيع ايمانه من أجل وعود، بل يرحل من هذه الحياة بكل فرح في حب للرب ، ربما مقدمًا الشكر لكل من قدم له علة الرحيل ومن دبر الخطة ضده ...

إنه يذهب للرب صديقه بشجاعة صادقة ، مقدمًا جسده من أجله بكمال حريته ....

إننا ندعو الاستشهاد كمالاً Teleiotes ليس لأن حياة الانسان تنتهي (Telos) كما تنتهي حياة غيره ، وإنما لأنه يظهر كمال عمل المحبة ...

إن كان الاعتراف بالله هو استشهاد ، فإن كل نفس تعيش في معرفة الله بنقاوة ، وتطيع وصاياه ، تشهد بحياتها كما بالكلام ، بغض النظر عن الطريقة التي بها تتحرر من الجسد ، فإنها تبذل الايمان كالدم يجرى في حياتها إلى يوم رحيلها (١) .

« إذ يقول : ومتى طردوكم في هذه المدينة فأهربوا إلى الأخرى (مت١٠ : ٢٣) لا ينصح بالهروب من الاضطهاد بكونه شر ، ولا خوفًا من الموت كأنهم مرتعبون منه ، لكنه لا يريدنا أن نكون سببًا في اثارة الشر لدى أي انسان : سواء بالنسبة لنا أو للمضطهد أو القاتل . فمن ناحية يأمرنا أن نهتم بأنفسنا ، فمن لا يطيع يكون متهوراً وغبياً . إن كان الذي يقتل رجل الله يخطئ في حق الله . فإن من يتقدم لكرسي القضاء بنفسه يتحمل مسئولية جريمة قتله .

(1) strom 4 : 4

هكذا من لا يتجنب الاضطهاد إنما يتقدم بنفسه ليقبض عليه ، مثل هذا يحسب شريكاً مع المضطهد في الجريمة ... أيضاً من يقوم باثارة المضطهد يحسب مجرماً ، إذ يثير وحشاً كاسراً ، وبالمثل ، إن قدم أي علة للحرب أو العقوبة أو المحاكمة أو ايجاد عداوة فإنه يخلق الفرصة للاضطهاد ، لهذا أوصانا ألا ترتبط بشئ من هذه الحياة ، بل من يطلب منا الثوب نعطيه الرداء ، ليس فقط لكى نستمر فى نزع أى اثارة مبالغ فيها ، إنما لئلا باقتناعنا عن العطاء نجعل المضطهدين عنيفين ضدنا ، ونثيرهم للتجديف على الاسم » (١) .

« إنهم يضطهدوننا ليس لأننا فعلة شر ، لكنهم يظنون إننا كمسيحيين نخطئ ضد الحياة وإننا نعمل ضد أنفسنا ... » (٢) .

« يقولون : لماذا لا تسندكم (العناية الالهية) حين تضطهدون ؟ ... أى شر يصيبنا مادمنا نتطلع إلى الموت كانطلاق به نذهب إلى الرب ، وكأنما هو تغيير فى الحياة ، نخرج من حياة إلى حياة أخرى ؟! ...

يقول كل منا بثقة : « الرب لى معين فلا أخاف ، ماذا يفعل بى الانسان ؟ » مز ١١٨ : ٦ . « فإن نفوس الأبرار فى يد الرب لا يمسها أذى » حك ٣ : ١ ... » (٣) .



(1) Strom 4 : 10 .

(2) Strom 4 : 11 .

(3) Ibid .

الكنسيات

كان القديس أكليمنضس رجلاً كنسياً ، أحب الكنيسة جداً يخضع لتقليدها وقوانينها... إذ يقول: « نحن لا نرتبط بشئ يجعلنا نتعدى قانون الكنيسة » (١).

أما نظرته للكنيسة فتتلخص فى النقاط التالية :

١- العضوية الكنسية

العضوية الكنسية عند العلامة ترتليان علامتها استقامة السلوك ، أما عند القديس أكليمنضس فهى المعرفة الروحية أو ادراك الحق عقلياً ، الصادر عن التأمل فى الله دون توقف (٢) .

٢- الوحدة الكنسية

الوحدة الكنسية هى طبيعة تتسم بها الكنيسة على خلاف جماعات الهراطقة الذين يحملون سمة الانقسام (٣) والكنيسة فى هذا إنما تمتثل بالله نفسه الواحد ، إذ يقول :

« الله الذى (للجنسين) هو واحد ، سيدهما أيضًا واحد ، والكنيسة واحدة ... طعامهما مشترك ... » (٤) .

« فى رأيى الكنيسة الحقيقية التى هى بحق قديمة ، كنيسة واحدة ، تضم أبراراً حسب قصد الله مسجلة اسماءهم . لذات السبب الله واحد ، الرب واحد .

إنها مكرمة جداً ، وممجدة بسبب وحدتها ، ممتثلة بالأصل الواحد الأول ... .

امتياز الكنيسة ... هو وحدتها ، فى هذا تفوق كل شئ ، ليس من يشبهها ولا من يعادلها فى هذا ! » (٥) .

---

(1) strom 7 : 15 .

(2) Eric G. Jay ; The Church , Vol .1, London 1977, p. 60.

(3) Strom 7 : 17 . (4) Paed 1 : 4 .

(5) Strom 7 : 17 .

سرّ هذه الوحدة الكنسية هى « وحدة الايمان » إذ يقول : « لذلك فإن سرّ الكنيسة القديمة الجامعة هو وحدتها التى جمعت فى وحدة الايمان الواحد هؤلاء المختارين الذين عينوا من قبل الله قبل انشاء العالم ليكونوا أبراراً ... كحصيلة لعهديها أو بالحرى للعهد الواحد خلال الأزمنة المختلفة ، وذلك حسب ارادة الله الواحد وبالرب الواحد » (١) .

فى هذا النص أعلن طبيعة الوحدة : وحدانية الله ، ووحدة الايمان ، ووحدة العهدين أو بالحرى العهد الواحد خلال أزمنة متتابعة ، والوحدة الكنسية ... ولعله فى هذا أراد أن يأخذ اتجاهاً مضاداً للهراطقة أمثال مرقيون الذين نادوا بالثنائيات .... .

أما ثمر هذه الوحدة الكنسية فهو تعبد الكنيسة بروح واحد : « الكنيسة هى جماعة الذين يسجدون فى الصلوات ويقدمون انسجاماً فى أصواتهم كما من فم واحد ! » (٢) . هكذا تخرج سيمفونية الحب الحقيقى التى يرتاح لها السيد المسيح الكلمة ، ويرى خلالها الآب فى المؤمنين أبناء حقيقيين : « اتحاد الكثيرين فى واحد ، يخرج من أصواتهم المتعددة سيمفونية واحدة فى انسجام الهى ، تحت قيادة قائد الخورس والمعلم ، فتبلغ الكلمة غايتها ويستريح الحق فيها ، وينطق أولاد الله بالحق : « أيها الآب أبانا » ، ينقلها الله بسرور ونعمة كباكورة ثمار » (٣) .

٣- أمومة الكنيسة

يتحدث عن أمومة الكنيسة فى عبارات تكشف عن مدى تعلقه بالكنيسة : « كما أن الأم تعزى أولادها الصغار ، هكذا أنا أعزيكم . الأم تهتم بأولادها ، ونحن نطلب أمنا الكنيسة » (٤) .

ارتبطت أمومة الكنيسة فى ذهن القديس أكليمنضس بأبوة الله الحانية ، ففى كتابه الأول من « المربى Paedagogus » يقول :

---

(1) Strom 7 : 17 .

(2) Strom 7 : 6.

(3) Exhort to health ., ch.g.

(4) Paed 1 : 5

« يا له سرّ عجيب !

واحد هو أب الجميع ، واحد هو لوغوس المسكونة ، والروح القدس هو واحد في كل موضع !

واحدة هي الأم العذراء وحدها ! إنني أحب أن أدعوها الكنيسة . هذه الأم ... عذراء وأم في نفس الوقت . طاهرة كعذراء ومحبة كأم . كأم تدعو أولادها إليها وتقوتهم باللبن المقدس الذي هو اللوغوس المقدم للأبناء » (١) .

هذه الأمومة الكنسية تحدث عنها آباء القرنين الأول والثاني ، نذكر على سبيل المثال هرماس (٢) . أما كون اللوغوس قد صار بتجسده لبناً يقتات عليه أبناء الكنيسة فقد أشار إليه القديس ايريناؤس قائلاً : « إنه خبز الآب الكامل ، بتجسده قدم نفسه لنا كما لأطفال صغار في شكل لبن . يريدنا أن نقتات بجسده وأن نعتاد على هذا الطعام فنأكل ونشرب « كلمة الله » ، بهذا يمكننا أن نتشبه بخبز الخلود الذي هو روح الآب » (٣) .

٤- جماعة المختارين

الكنيسة هي اجتماع المؤمنين المختارين مع السيد المسيح ، تدعى جماعة المختارين (٤) ، والمدينة المخصبة التي يديرها اللوغوس (٥) . هي العروس التي من خلالها يعلم العريس بنفسه أولادها (٦) .

٥- العالم الجديد

الكنيسة هي العالم وقد تجدد خلال عمل الله الخلاصي ، فقد خلق الله العالم وأوجده حين أراد ، أما غاية ارادته هذه فهي خلاص البشرية أي وجود الكنيسة كعالم جديد .

في هذا يقول : « كما أن ارادة الله هي عمل ، هذا العمل يدعى العالم

---

(1) Paed. 1 : 6 .
(2) Lebreton, vol 2, p.376 .
(3) Irenaues : Adv Haer .
(4) Strom 7 : 5 .
(5) Strom 4 : 26 .
(6) Paed 3 : 12 .

(قال فكان)، فإن غاية ارادته هى خلاص البشر ، وهذا يدعى الكنيسة » [١] .

٦- بين الكنيسة السماوية والكنيسة المنظورة

إذ يتحدث عن الكنيسة غالبًا ما يسحب فكرنا نحو السمويات ، بكون الكنيسة فى العهد الجديد قد حملت السمة السماوية وصار وضعها فى الأعالى ، تشارك ربوات الملائكة تسابيحهم .

فى هذا يقول : « هذه كنيسة الأبكار لها أبناء كثيرون . هؤلاء الأبكار مكتوبة اسماءهم فى السماء ، يعبدون مع ربوات الملائكة » [٢] .

فى هذه الكنيسة يجد الغنوسيون راحتهم ، إذ « يستريحون على جبل الله المقدس (مز ١٥ : ١) ، فى كنيسة الأعالى ، التى يجتمع فيها فلاسفة الله ، الذين هم بحق اسرائيليون حقيقيون أنقياء القلب ليس فيهم دنس ... مكرسين حياتهم للرؤيا النقية فى تأمل بلا نهاية » [٣] .

أما الكنيسة المنظورة التى على الأرض فهى أيقونة للكنيسة السماوية العلوية المثلى ، لهذا نصلى قائلين : « كما فى السماء كذلك على الأرض » [٤] . هذه الكنيسة المنظورة هى الكنيسة القديمة الجامعة التى تسلمت تقليد الرسل ، وبهذا تتميز عن جماعات الهراطقة [٥] .

٧- التقليد الكنسى أو قانون الكنيسة

يرى القديس أكليمندس أن « التقليد الكنسى ، الذى هو « قانون الكنيسة » ، والتعليم الذى تسلمته الكنيسة من الرب [٦] كتعلى إلهى [٧] ملوكى [٨] ، رسولى [٩] ... وهو عبارة عن الحكمة أو المعرفة المقولة فى سرٍّ :

---

(1) Paed. 1 : 6 .

(2) Exhort. to Heath. A N Frs, vol 2, p.195 .
راجع أيضاً : Strom. 6 : 8, 5 : 26, 6 : 14, 7 : 2, 7 : 6, 7 : 11 .

(3) Strom 7 : 11, 14 .

(4) Strom 7 : 17 .

(5) Ibid .

(6) Paed 2 : 61, Strom 6 : 89, 7 : 57, 7 : 90, 7 : 95 .

(7) Prot 87 .

(8) Strom 1 : 80 .

(9) 7 : 108 .

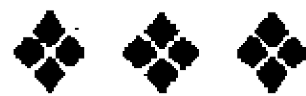
« أعطى الرب بعد قيامته المعرفة gnoais ليعقوب البار ويوحنا وبطرس ، وهؤلاء سلموه للرسل الآخرين ، والرسل الآخرون سلموه للسبعين تلميذاً ، أحدهم برناباس » (١) .

« جاءت هذه المعرفة عن الرسل وسلمت شفاهاً ، سلمت بالتتابع إلى عدد قليل من البشر » (٢) .

ويعتبر القديسان ايريناؤس وأكليمنضس أول من أشارا إلى أهمية « قانون الكنيسة » (٣) . وقد أشار يوسابيوس وغيره إلى عمل قام به القديس يسمى « قانون الكنيسة » وللأسف لم يصلنا منه سوى فقرة واحدة . لكننا نراه فى حديثه عن « قانون الكنيسة » يراه « قانون الحق » لأنه يمثل الحق الذى تعلنه الكنيسة (٤) ، و« قانون الايمان regula feidei » الذى تقدمه الكنيسة فى مواجهة الهراطقة .

لقد أكد القديس وحدة الكنيسة التى تحفظ التقليد الواحد ، الذى يليق بنا ألا نكسره ، ولا نسرق منه مقتطفات وننسبها لأنفسنا كما يفعل الهراطقة (٥) .

ويرى القديس أن الغنوسى الحقيقى « المسيحى الأمثل » . إذ يتربى على الكتب المقدسة ويتمسك فى تعاليمه بالأرثوذكسية الرسولية الكنسية يعيش بحق فى توافق مع الانجيل ويستنبط البراهين التى يطلبها من الشريعة والأنبياء ... لأن حياة الغنوسى - فى رأيه - هى اتفاق أفعال وكلماته مع تقليد ربنا (٦) . كما يقرر أن من يعتزل التقليد الكنسى إنما يحرم نفسه من أن يكون رجل الله (٧) .



(1) Hypotyposes, in Euseb H. E2 : 1 .

(2) Strom 6 : 7, Cf. Strom 1 : 1, 1 : 12, 6 : 15 .

(3) Osborn, ch g . (4) Strom 7 : 49 .

(5) Strom 7 : 105 . (6) Strom 7 : 16 .

(7) Ibid. للمؤلف : التقليد والأرثوذكسية ١٩٧٩ ، ص٢٣ .

الليتـورجيـا

وضع القديس أكليمنضس كتاباً عن الأساقفة والكهنة والشمامسة والأرامل، بجـانب كتـابه السابق الاشارة إليـه « القـانون الكنسى » ، وللأسف كـلاهمـا مفـقودان حتى الآن . بلا شك أن هذين الكتابين قد احتـويا الكثيـر من شرح الخدمة الكنسية والصلوات الليتورجية . ولعله لذلك لم يكتب فى هذه الأمور باستفاضة فى بقية أعماله . ومع هذا يمكننا أن نقدم صورة مبسطة لليتورجيا فى عصره خلال بعض فقرات متناثرة وردت فى أعماله ، يمكن أن نلخصها فى النقاط التالية :

أولاً : الدرجات الكهنوتية

الدرجات الكهنوتية من أسقفية وقسيسية وشماسية ليست مجرد حمل للمسئولية يلتزم به الشخص . لكنها وهى شركة فى خدمة الرب نفسه تصير أمجاداً يدخل خلالها الانسان إلى شركة المجد الملائكى السماوى .

« فى رأيى أن الدرجات فى الكنيسة هنا من أساقفة وكهنة وشمامسة هى امتثال بالمجد الملائكى وبالتدبير الذى يقول عنه الكتاب المقدس ينتظر الذين يتبعون خطوات الرسل الذين يعيشون فى كمال البر حسب الانجيل . يرتفعون فى السحاب ، وكما يقول الرسول أولاً يخدمون (كشمامسة) حينئذ يحسبون أهلاً أن يكونوا كهنة ، إذ يدخلون من مجد إلى مجد حتى يبلغوا الانسان الكامل (أف ٤ : ١٣) » (١) .

بكونه كاهناً يخشى على نفسه السقوط فى الكبرياء معتداً بالدرجة الكهنوتية المكرمة ، لهذا أراد أن يؤكد أن مجد الكاهن فى حياته المستنيرة والتزامه بالسلوك كملاك الله ، إذ يتحدث عن الكاهن ، قائلاً :

« اذن ، ذاك الذى هذّب رغباته ودرّب نفسه على الاحتمال ، ونمى إلى حالة كمال المعرفة يكون مساوياً للملائكة ! لقد استنار فعلاً وصار مضيئاً

---

(1) Strom 6 : 13 .

كالشمس فى ممارسة اللطف ، مسرعًا بمعرفة مملوءة براً إلى المسكن المقدس خلال حب الله كما فعل الرسل . فإن هؤلاء الرسل لم يصيروا رسلاً لاختيارهم للرسولية بسبب امتياز فى طبيعتهم إذ كان يهوذا أيضًا مختاراً من بينهم ، لكنهم كانوا قادرين أن يكونوا رسلاً (أن يمارسوا الحياة الرسولية المستنيرة) ... فيروا أموراً غير محدودة . متياس لم يكن مختاراً بينهم لكنه أظهر نفسه مستحقاً أن يكون رسولاً عوضاً عن يهوذا .

الآن أيضاً ، الذى يدرب نفسه على وصايا الرب ، ويعيش بالكمال بمعرفة حسب الانجيل ، يحسب فى جسد الرسل المختارين . مثل هذا يكون بحق كاهناً للكنيسة ، وخادمًا (شماساً) حقيقيًا لارادة الله ، مادام يعمل ويعلم حسب الرب ، وليس مجرد أنه سيم من أناس ، فهو لا يحسب باراً لمجرد كونه كاهناً ، وإنما صار فى الكهنوت لأنه بار . فإنه حتى وإن لم ينل هنا على الأرض كرامة الكرسى الأعظم ، لكنه سيجلس على الأربعة وعشرين عرشًا ، يدين الناس ، كما قال يوحنا فى سفر الرؤيا » (١) .

ثانيًا : الأفخارستيا « القداس الالهى »

١ - يبدو أن القداس الالهى - فى القرن الثانى - كان يبدأ برفع بخور عشية عند غروب السبت ، ويقضى المؤمنون الليل أغلبه فى التسابيح حتى ينتهى القداس الالهى مع الفجر . وقد أوضح القديس أن الأفخارستيا غالباً ما تقام بالليل ، ليس خوفًا من الوثنيين أو الحكام أو غير ذلك ... وإنما تذكراً لانطلاق النفس من الجسد ، الذى غالبًا ما يتم بالليل ... أو لأنها انطلاق من ليل هذه الحياة إلى نهار الفردوس .

« غالبًا ما تقام الأسرار ليلاً ، اشارة إلى انطلاق النفس من الجسد ... » فلا ننم إذاً كالباقين بل لنسهر ونصح . لأن الذين ينامون فبالليل ينامون ، والذين يسكرون فبالليل يسكرون . وأما نحن الذين من نهار فلنصح لابسين درع الايمان والمحبة وخوذة رجاء الخلاص » ١ تس ٥ : ٦-٨ (٢) .

---

(1) Strom 6 : 13 .

(2) Strom 4 : 22 .

٢- يتحدث أيضاً عن الاتجاه للشرق أثناء الصلاة ، حيث يؤكد لنا ميلادنا الجديد فى المسيح يسوع شمس البر المشرق علينا . « يصلون فى اتجاه الشرق ، لأن الشروق هو رمز لميلادنا ، إذ منه يخرج النور مشرقًا على الظلمة . هكذا يشرق يوم المعرفة مثل الشمس على المدفونين فى الجهالة (الظلمة) » (١) .

٣- يسند القديس العمل الليتورجي بتقديس يوم الرب (الأحد) خلال السلوك الروحى الحى والتأمل فى السمويات من أجل التمتع بأمجاد قيامة الرب .

« يحفظ يوم الرب بتنفيذ الوصية حسب الانجيل بترك الانسان الشر ... ممجداً قيامة الرب فى نفسه . بالحرى عندما يتمتع بادراك التأملات الحقيقية ، فيبدو كأنه قد رأى الرب ، موجهاً أنظاره نحو غير المنظورات » (٢) .

٤- يرى القديس أن الاستعداد للمشاركة فى ليتورجيا الأفخارستيا لا يكون باستعدادات خارجية فحسب وإنما بتهيئة النفس داخلياً خلال ممارسة حياة الحب والطهارة الجسدية والقلبية ، وأن يكون سلوكنا فى حياتنا اليومية مطابقاً لسلوكنا داخل الكنيسة .

فى هذا يقول : « يليق بالنساء والرجال أن يذهبوا إلى الكنيسة فى هدوء ونظام وسكون ، وتكون فيهم محبة صادقة ، يكونون أطهاراً حسب الجسد والقلب ، مؤهلين للصلاة أمام الله .

وعلى النساء - بوجه الخصوص - أن يهتممن بالأكثر بهذا الأمر ، وتكون المرأة مغطاة بالكامل وإلا تبقى فى بيتها ، فإن ملبسها له خطورته ، إذ يقيها من نظرات الآخرين . إن وضعت الاتضاع نصب عينيها لا تسقط أبداً ...

هكذا يليق بمن كرّس نفسه للسيد المسيح أن يسلك فى حياته كلها بذات السلوك الذى يراعيه داخل الكنيسة » .

« قيل أنه يلزمنا أن نتقدم إلى الذبيحة والصلوات ونحن مغتسلون ، أنقياء

---

(1) Strom 6 : 13 .   (2) Paed 3 : 11 .

وفى بهاء . إننا نمارس هذه الزينة الخارجية والتطهيرات الخارجية كعلامة . فإن النقاوة هى أن تكون أفكارنا مقدسة ... والتقديس - كما أدركه - هو النقاوة الكاملة للذهن والأعمال والأفكار والكلمات ، وتصل إلى كمال درجتها حين لا نخطئ فى الأحلام . النقاوة الكافية للانسان هى - كما أحسب - التوبة الصادقة الأكيدة ، (١) .

٥- ليتورجيا الأفخارستيا هى شركة تسبيح وصلاة مع السمائيين والقديسين : ، (الانسان الروحى) يحفظ يوم الرب ... ممجداً قيامة الرب فى نفسه ... يكون طاهراً على الدوام مستعداً للصلاة . يصلى مع جوقة الملائكة ، لأنه قد صار فى الرتبة الملائكية ، محفوظاً على الدوام بعنايتهم المقدسة . حينما يصلى وحده يقف مع صفوف القديسين ... صلاته هى شكر من أجل الماضى والحاضر والمستقبل ، لأنه يرى المستقبل بالايمان حاضراً أمامه ... يقدم الشكر لله على الدوام ، على مثال ما قاله اشعياء بخصوص تسبيح المخلوقات الحية ، (٢) .

٦- فسر القديس المزمور ١٥٠ الذى تسبحه الكنيسة أثناء التناول بطريقة رمزية جميلة ، فيها قدم الكنيسة المقامة من الأموات خلال عريسها القائم من الأموات كأداة موسيقية حية يلعب عليها الروح ليخرج تسبحة حب صادق لله.

يقول : ، فى الخدمة الالهية يترنم الروح ...

، سبحوه بصوت البوق ، ، لأنه بصوت البوق يقيم الأموات .

، سبحوه بالمزمار ، ، فإن اللسان هو مزمار الرب .

، سبحوه بالقيثارة ، ، هنا يقصد الفم الذى يحركه الروح كالوتر .

، سبحوه بطبول ورقص ، ، مشيراً إلى الكنيسة التى تتأمل القيامة من الأموات خلال وقع الضرب على الجلود (اشارة إلى الأموات) .

، سبحوه بالأوتار والأرغن ، ، يدعو جسدنا أرغناً ، وأعصابه هى الأوتار التى يضرب عليها الروح فتعطى أصواتاً بشرية منسجمة .

---

(1) Strom 4 : 22 .

(2) Strom 7 : 12 .

« سبحوه بصنوج حسنة الصوت » : يدعو اللسان صنجاً إذ يعطى الصوت خلال الشفتين .

لذلك يصرخ إلى البشرية قائلاً : « كل نسمة فلتسبح اسم الرب » ، لأنه يعتنى بكل مخلوق يتنفس . حقاً أن الانسان هو آلة السلام .... » (١) .

٧- فى نفس الفصل الرابع من الكتاب الثانى من « المربى » أوضح أن الكنيسة لم تستخدم فى عصره الآلات الموسيقية معللاً ذلك بأن هذه الآلات استخدمتها الأمم والشعوب لاثارة الحقد والضغينة فى الحروب ، فسكان Etruria غرب وسط ايطاليا كانوا يستخدمون البوق ، وشعب اركاديا Arcadia باليونان يستخدمون المزمار ، والكريتيون يستخدمون القيثارة ، والمصريون يستخدمون الطبول ، والعرب يستخدمون الصنوج فى الحرب. « أما آلة السلام الواحدة فهو « الكلمة » الذى به وحده نكرم الله هذا هو ما نستخدمه ! إننا لا نستخدم الآلات القديمة من مزمار وبوق وطبول وصفارة هذه التى يستخدمها المختصون فى الحروب ... وفى حفلاتهم » .

لقد رأى فى السيد المسيح نفسه « سِّر تسبيحنا » بل « آلة ترنمنا » ليس فقط خلال الخدمة الالهية ، إنما خلال حياتنا اليومية ، إذ يقول :

« فى اللحظة الحاضرة هو ضيف بيننا . يقول الرسول : « وأنتم بكل حكمة معلمون ومنذرون بعضكم بعضًا بمزامير وتسابيح وأغانى روحية بنعمة مترنمين فى قلوبكم للرب » كو٣ : ١٦ . وأيضاً يقول : « وكل ما عملتم بقول أو فعل فأعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به » كو٣ : ١٧ . هذا هو احتفالنا المملوء شكراً . أن أردت الترنم واللعب على عود أو قيثارة فليس من لوم عليك (٢) . فإنك بهذا تمتثل بالملك العبرانى فى تقديمه الشكر لله ، إذ تقول النبوة : « اهتفوا أيها الصديقون بالرب . بالمستقيمين يليق التسبيح . أحمدوا الرب بالعود ، بقيثارة ذات عشرة أوتار رنموا له . وغنوا له أغنية جديدة ،

---

(1) Paed 2 : 4 .

(٢) غالباً ما يقصد الجانب الرمزى .

مز ٣٣ : ١ - ٣ . ما هذه القيثارة ذات العشرة أوتار إلا كلمة ، يسوع ، التى أعلنت خلال حرف عشرة (وهو حرف اليوتا الذى يمثل رقم ١٠ فى اليونانية وأول حروف كلمة يسوع أو ايسوس) (١) .

٨- يتحدث عن فاعلية سرّ الأفخارستيا فى حياة المؤمن لتقديس روحه وجسده ، قائلاً : « الذين يتناولون دم يسوع يصيرون شركاء فى خلوده . الروح هو الفعّال بالنسبة للكلمة ، كالدم بالنسبة للجسد . بهذا كما يمزج الخمر بالماء هكذا يكون الروح بالنسبة للانسان . فمزج الخمر والماء يغذى الايمان ، وأما الروح فيقود إلى الخلود . مزج الاثنين - الماء والكلمة - يسمى الأفخارستيا ، النعمة الفائقة المجيدة ، من يتناولها بايمان يتقدس جسداً وروحاً (٢) .

يتحدث عن هذه الذبيحة « الأفخارستيا » كطعام للمؤمنين ، قائلاً :

يقول « كلوا جسدى ، اشربوا دمى » يو ٥ : ٥٣ . مثل هذا الطعام لائق ، قد هيأه الرب ، مقدماً جسده وباذلاً دمه ، فلا حاجة للأبناء بعد إلى شئ لنموهم . يا له من سرّ مدهش ! إننا نتمتع به لينزع عنا الفساد الجسدى القديم ، ولنأخذ عوض الطعام القديم (السيد المسيح) . نتقبله هو ما أمكن ، نخفيه فى داخلنا ، وإذ ندخر المخلص فى نفوسنا تتهذب عواطف جسدنا » (٣) .

٩- أشار فى الكتاب الأول من المتفرقات (٤) إلى عمل هرطوقى فيه يقدم الخبز والخمر كتقدمة دون استخدام الخمر ، وقد أوضح أن هذا العمل « ليس حسب قانون الكنيسة » .

فى هذا النص أوضح نظرة الكنيسة إلى الأفخارستيا كتقدمة وذبيحة ، وفى نفس الوقت كشف عن وجود قانون كنسى يرتب طقس الأفخارستيا .

١٠- يرى فى تقدمة ملكى صادق رمزاً للأفخارستيا ، « ملكى صادق ، ملك ساليم ، كاهن الله العلى الذى قدم خبزاً وخمراً كطعام مقدس إنما هو رمز للأفخارستيا » (٥) .

---

(1) Paed 2 : 4 .
(2) Paed 2 : 2 .
(3) Paed 1 : 6 .
(4) Strom 1 : 19 .
(5) Strom 4 : 25 .

١١- فى الكتاب الثالث من المربى (١) انتقد استخدام القبلة بطريقة غير لائقة مؤكداً أن الرسول قد دعاها « قبلة مقدسة » رو ١٦ : ١٦ ، لذلك يجب أن تعبر عن المحبة المملوءة طهارة . ولعل هذا الانتقاد جاء لاساءة البعض استخدامها ...

هذا وقد اعتادت الكنيسة منذ بدء انطلاقها أن يصلى كل الجنسين منفصلين وأن يقبل النساء بعضهن البعض (٢) .

ثالثاً : المعمودية

١- إن كان شخص اللوغوس هو مركز لاهوتيات القديس أكليمنضس فقد اهتم أيضًا بالأسرار الكنسية خاصة المعمودية ، حيث ينعم المؤمن بالميلاد الجديد ويتقبل السيد المسيح نفسه فى حياته كسِّر معرفته الكاملة والعاملة ...

إهتم أيضًا بالحديث عن المعمودية وفاعليتها فى حياة المؤمنين لتوضيح خطأ الهراطقة الغنوسيين الذين حاولوا تقسيم المسيحيين إلى طائفتين : نفسانيون وروحانيون (كاملون) .. ففى سِّر المعمودية ينال المؤمنون الكمال دون تمييز .

« إذ قد يجددنا بالمعمودية تسلمنا حالاً العطية الكاملة التى نتوق إليها . إذ نستنير ننال معرفة اللّه ، ومن يعرف الكامل لا يقدر أن يكون غير كامل ... » (٣) .

٢- خصص الفصل السادس من الكتاب الأول للمربى Paedagogus للحديث عن فاعلية المعمودية فى حياة المؤمنين ، خاصة « استنارة بصيرتهم الداخلية » للمعرفة عوض الجهل الذى عاشوا فيه بالخطايا .

فى هذا يقول : « الظلمة هى الجهل الذى أعمى الحق والمعرفة . لكننا إذ نقبل الاستنارة يختفى الجهل وتصير لنا رؤية واضحة » .

---

(1) Paed 3 : 11 .

(2) Bunsen : Hippol 3, p.15. ANF, vol 2, p.12n .

(3) Paed 1 : 4 .

« نحن الذين اعتمدنا إذ أزيلت عنا الخطايا التى تحجب نور الروح الالهى، صارت لنا بصيرة الروح المتحررة ، التى بلا عائق ، المملوءة نوراً ، والتى بها وحدها نتأمل اللاهوت ، فترى الروح القدس نازلاً علينا من فوق .

هـذا هو التـعديل الأبدى للرؤية القـادرة على مـعـاينة النور الأبدى ، إذ الشبيه يحب شبيهه ، والمقدس يحب من تصدر عنه القداسة التى تملك نوراً ... « لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور فى الرب » أف ٥ : ٨ .

« إذ تشرق المعرفة مع الاستنارة ، تلقى بأشعتها على الذهن فنصير نحن الذين كنا غير المتعلمين تلاميذ ... » .

هذه الاستنارة بالمعمودية لا تعطى معرفة نظرية لكنها تحمل قوة التجديد وتغيير طبيعتنا ...

« هذه هى نعمة الاستنارة أن شخصياتنا لا تبقى كما كانت عليه قبل نوالنا الحميم (١) .

« المربى يخلق الانسان من تراب، ويجدده بالماء ، وينميه بالروح » (٢) .

فى عبارات قوية يتحدث عن فاعلية المعمودية فى حياة المؤمنين قائلاً : « هذا الأمر عينه يحدث لنا نحن أيضاً الذين قد صار لنا المسيح مثالاً . فإننا إذ نعتمد نستنير ، وإذ نستنير نصير أبناء ، وكأبناء نصير كاملين ، وككاملين نضحى غير مائتين ، كما قيل : « أنا قلت أنكم آلهة وبنو العلى كلكم » مز٨٢ (٨١) : ٦ .

يدعى هـذا العـمـل باسـمـاء كـثـيـرة : أعنـى نعـمـة واسـتـنـارة وكـمـالاً وحـمـيماً .

فهو حميم به نغتسل من خطايانا .

ونعمة إذ تنزع عنا عقوبات تعدياتنا ،

(1) Paed 1 : 6 .

(٢) المؤلف : الحب الالهى ، ص٨٦٦ .

واستنارة به نرى نور الخلاص المقدس ، أعنى أننا نشخص به إلى الله بوضوح .

وندعوه كمالاً إذ لا ينقصه شئ، لأنه ماذا ينقص من يعرف الله ؟! ، (١).

٣- فى الفصل الخاص بالمعمودية (٢) كاستنارة تحدث عن شرب اللبن وأكل العسل ... ففى الكنيسة الأولى كان المعمدون حديثاً يشربون لبناً ويأكلون عسلاً ، لأنهم خلال المعمودية يدخلون أرض الموعد ، الكنيسة ، التى تفيض عسلاً ولبناً .

لقد أفاض فى الحديث عن شرب اللبن بكونه ، الحق ، الذى يقتات عليه أولاد الله . السيد المسيح هو اللبن الروحى الذى يتمتع به الأطفال فى الرب ... هو لبن الحب من يرضعه يصير بحق مطوباً ، يسند الانسان ويقوده نحو السماء !

أما العسل فهو الغذاء الحلو ، هو الحب الذى يشفى جراحات نفوسنا ويغسلنا من خطايانا .

كما أشار إلى الدهن بزيت الزيتون موضحاً أن ، الكلمة ، يسمى بدهن زيت الزيتون ، وهو ينبوع حياتنا .

إن كنا لم نتعرض لطقس المعمودية لكنه تحدث عن العمل الروحى للمعمودية فى حياة المؤمنين من خلال الطقس ذاته .

رابعاً : سر الزواج

لم يشر القديس إلى ليتورجيا الزواج أو طقسه ، لكنه وهو مهتم بالدفاع عنه ضد الغنوسيين الذين حقروا من شأنه وازدروا به ، بل وجعله بعضهم من صنع الشيطان ، أوضح لنا مفهوم الزواج والحياة الزوجية .

١- رأى فى الحياة الزوجية أو الحياة العائلية ، سرّ الكنيسة ، سرّ اجتماع العائلة فى المسيح يسوع ، إذ يقول : ، من هم الاثنان أو الثلاثة الذين يجتمعون

---

(1) Paed 1 : 6 .　　(2) Paed 1 : 6 .

معاً باسم المسيح فيحل الرب فى وسطهم ؟! أليس هؤلاء هم الرجل وزوجته وإبنهما ، فيرتبط الرجل والزوجة معاً بواسطة الله ، (١) .

هكذا رفع الزواج من العقد الاجتماعى الذى يعقده الفتى والفتاة إلى سرّ مقدس ، يتممه الله نفسه ، فيعيش أفراد العائلة أو البيت الجديد معًا فى المسيح يسوع – رفع الوحدة الزوجية فوق العلاقات الجنسية وإن كان لم يحقر منها ولا رفضها .

لقد أعطى للبيت المسيحى قدسية خاصة ، فجعل منه ، الكنيسة التى فى البيت ، ، فيحل السيد المسيح وسطها خلال الصلوات العائلية ، وبركات الصلاة قبل الأكل وبعده ، واجتماعهم معاً فى حياة نقية .

٢– فى دفاعه ضد الهراطقة (فى الكتاب الثالث من المتفرقات) جذب أنظارنا نحو السيد المسيح وقد صار عريساً للكنيسة زوجته ، دون أن يحقر من شأن الزواج (٢) ، مؤكداً قدسية الزواج من تعاليم الرسل وايليا وصموئيل والسيد المسيح نفسه . وذكر الرسول بطرس كمثال إنه كان متزوجًا ، والقديس فيلبس الشماس كان له بنات متزوجات (٣) .

٣– فى دفاعه عن الزواج لم يمتدحه لأسباب سلوكية فحسب ، وإنما وجد فيه واجباً يلتزم به البعض من أجل رخاء البلاد وكمال العالم وانجاب الأطفال (٤) ، لكن ليس الكل ملتزم بالزواج ولا الكل ملتزم بالبتولية .

٤– رفع من شأن الزواج إلى كونه عمل شركة مع الخالق : ، هكذا صار الانسان على صورة الله يشترك فى خلقة الانسان ، (٥) . ولا يقف الزواج عند الانجاب بل أيضًا هو سرّ الحب المشترك والتعاون الذى يربط الزوجين معًا برباط أبدى ، لا يحله حتى الموت !

٥– تحدث عن شركة الزوجين ومساواتهما : ، الجنسان يحملان ذات

---

(1) Strom 3 : 10 .
(2) Strom 3 : 6 .
(3) Ibid .
(4) Strom 2 : 23 .
(5) Paed 2 : 10 .

الفضيلة . فإن كان الههما واحد ، سيدهما واحد ، كنيسة واحدة ، ضبط للنفس واحد ، اتضاع واحد ، طعام مشترك ، يحملان نيراً متساوياً فى زواجهما ، يشتركان فى التنفس والنظر والسمع والمعرفة والرجاء والطاعة والحب ، حياتهما مشتركة ، خلاص مشترك ، حب مشترك ، وتداريب مشتركة ، (١) .

٦- هل كان القديس أكليمنضس متزوجاً أم بتولاً ؟ لقد رأى فى الغنوسى (المسيحى الأمثل) أن يتزوج ينجب أولاداً ويسلك فى حياة عالية ، ليغلب التجارب التى يتعرض لها الشخص الأعزب (٢) ، فهل كان القديس متزوجاً ؟

يرى جون فيرجسون (٣) من باب الحدس أنه كان متزوجاً ، مدللاً على ذلك بأنه كتب عن الحياة الزوجية بنظرة تعاطف ، وأوضح أنه ارتبط بأناس متزوجين أكثر من البتوليين (٤) . وكتب عن اهتمام الزوجة بالشخص فى وقت المرض (٥) ، وعن الحياة الأسرية فى أيام الشتاء مما يظهر أنه اختبر الحياة الزوجية . لكن غالبية المؤرخين يؤكد حياته البتولية . يقول Quasten (٦) : أنه قد سلك البتولية إذ لم يتزوج ، حباً فى الرب ، (٧)، وقد قال بين الحين والآخر: ، إننا نمدح البتولية والذين وهبهم الله اياها ، (٨) . لقد اقتنع أن : ، من يبقى بمفرده لكى لا يحرم من خدمة الرب يربح مجداً سماوياً ، (٩) . لكنه حين قارن بين المتزوج والأعزب رأى فى المتزوج اسمى من الأعزب ، ربما لأنه أراد الدفاع ضد الغنوسية (١٠) .



---

(1) Paed 1 : 4 .
(2) Strom 7 : 12 .
(3) J. Ferguson : Clement of Alexandria, p.18 .
(4) Strom 2 : 23 .
(5) Paed 2 : 9, 10 .
(6) Patrology, vol 2, p.35 .
(7) Strom 3 : 7 : 59 .
(8) Strom 3 : 1 : 4 .
(9) Strom 3 : 12 : 82 .
(10) Strom 7 : 12 : 70 ANF, vol 2, p. 543 .

الايمـــان

الايمان والحياة الروحية

الايمان هـو بدء الحياة المسيحية (١) ، وهو سّر قـوة الله العاملة فـينا ، إذ يقـول :

« الايمان هو قـوة الله ، قوة الحق . كمثـال قيل « لو كان لكم ايمان مـثل حبة خردل تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل » مت ١٧ : ٢٠ ، كـمـا قيل « بحسب ايمانكمـا ليكن لكمـا » مت ٩ : ٢٩ . فنال انسان الشـفـاء بالايمان ، وقام آخر إذ آمن انسان أنه يقوم » (٢) .

إن كان الايمان هو بدء انطلاق حياتنا المسيحية ، فإننا لكى نتعلم داخل الكنيسة يلزمنا أن نتطهر ونحمل الطبيعة الجديدة بالمعمودية . فبها ننال غفران الخطايا مجاناً وندخل دائرة النور ، عندئذ فى امكاننا أن نسلك الحياة الصالحة أو الشريرة .

أما وقد قبل المؤمن المعمودية ، فإنه كـغنوسي حقيقى يلزمه أن يقتات بالسيد المسيح نفسه ، الغذاء الروحى لأولاد الكنيسة . يتناول جسد السيد ودمه الأقدسين حتى ينمو على الدوام .

الصـلاة أيضـًا هى عنصـر أساسى فى حـيـاة الغنوسى ، الذى وإن التـزم بصلوات السـواعى ، لكنه يليق به أن يدرك أن صـلاته لا يحـدها زمن ولا تختـصـر على مـوضع معين ، إنما تكون حياته كلها صلاة (٣) . وهى فـعّالة وعاملة حتى وإن كانت صامتة ، أما موضوعها فهو الشكر الدائم لله والتشفع عن الآخرين متشبهاً بالمخلص .

الايمان والتوبة

إن كان الايمان هو بدء الحياة المسيحية وملازم للغنوسى كل أيام حياته ، فإن الايمان هو واهب التوبة للانسان التى هى طريق ملكوت .

---

(1) Strom 2 : 2 . (2) Strom 3 : 11 . (3) Strom 4 : 7 .

فى هذا يقول : « التوبة هى من عمل الايمان . لأنه إن لم يؤمن الانسان إلى من قد استعبد نفسه للخطية فلن يكف عنها ، وإن لم يؤمن بالعقوبة التى يسقط تحتها العاصى وأن الخلاص هو نصيب من يسلك حسب الوصية ، فإنه لن يصلح حاله » (١) .

الايمان والرجاء

الايمان يسند المؤمن ويدفعه نحو الرجاء فى الخيرات الأبدية ... « الرجاء أيضاً يعتمد على الايمان ... لأن الرجاء إنما هو انتظار الخيرات . هذا الانتظار إنما يقوم على الايمان » (٢) .

الايمان بين الحب والخوف

يحمل الايمان جانبين : الحب والخوف ، كل يكمل الآخر .

« إننى لا أخاف الأب كخوفى من الحيوان المفترس ، إذ أخافه وأكرهه ، لكننى أخاف الأب وأحبه فى نفس الوقت . كذلك عندما أخاف العقاب إنما هو حب لنفسى خلال الخوف . فمن يخاف أن يعصى أباه إنما يحب نفسه . طوبى للذى له الايمان ، فإنه يحمل الحب والخوف (معًا) . فإن الايمان هو قوة للخلاص ، وهو سند للحياة الأبدية » (٣) .

الايمان والفضائل

« الفضائل تتبع الواحدة الأخرى . فلست فى حاجة إلى تكرار ما سبق أن برهنته أن الايمان يترجى خلال التوبة ، والخوف خلال الايمان ، والصبر وممارسة هذه الأمور مرتبط بالحب ويتكمل بالمعرفة » (٤) .

الايمان وحرية الارادة

الايمان هو عمل الارادة الحرة ، من عمل النفس الحرة ، لها أن تؤمن أو لا تؤمن ، إذ الارادة – فى رأيه – أسمى ، وقوات العقل خاضعة لها (٥) .

---

(1) Strom 2 : 6 .
(2) Strom 2 : 6 .
(3) Strom 3 : 12 .
(4) Strom 2 : 9 .
(5) Strom 2 : 77

« الغنوسى الحقيقى يخلق نفسه » ،

« يختار الايمان أو يرفضه » (١) بكمال حريته .

ومع هذا فإن هذه الحرية الانسانية والعقل هما هبة الهية ، لا يقدران أن يقدما للانسان حياة الشركة مع الله دون عون الله .

بمعنى آخر إن كان الايمان من صنع الارادة الحرة ، ففى الحقيقة هو هبة الهية (٢) . إنه يشبه لاعب الكرة الذى له الحرية أن يمسك بالكرة أو يرفض ، لكنه لا يقدر أن يمسك بها ما لم تقذف إليه (٣) . هكذا يمكننا أن نمسك بالايمان أو نرفضه ، لكننا فى حاجة إلى يد الله تقدمه لنا .

الايمان والمعرفة

١- الايمان هو طريق المعرفة الحقة ،

أما الاعتماد على الأفكار الذاتية المقاومة للايمان فتدفع إلى الجهل :

يقول سفر الأمثال : « على حكمتك لا تعتمد . فى كل طرقك أعرفها ، هى تقوّم سبلك ، فلا تعثر رجلك » أم ٣ : ٥ ، ٦ ، ٢٣ . بهذا عنى أنه يلزمنا أن نظهر أعمالنا مطابقة للعقل (الحكمة) ، فنختار ما هو نافع من كل ثقافة . فإن طرق الحكمة متنوعة وتقود بصدق إلى طريق الحق . الايمان هو الطريق ...

أما قوله : « على حكمتك لا تعتمد » فيعنى ألا تقبل الأفكار الشريرة المضادة لتدبير الله ، إنما « اتق (خف) الله » أم ٣ : ٧ ، الذى وحده قوى ...

قيل فى سفر الحكمة : « هو أعطانى المعرفة الصادقة بالأكوان لأعرف نظام الكلمة ... وقوى الجذور » حك ٧ : ١٧ ، ٢٠ . فبه يفهم العلم الطبيعى الخاص بظواهر الكون المحسوس . ويستمر فى القول مشيراً إلى معرفة الأمور العقلية أيضاً ، قائلاً : « وما هو خفى أو ظاهر أعرفه ، لأن الحكمة العاملة الكل علمتنى » حك ٧ : ٢٠ .

---

(1) Strom 3 : 9.

(2) Strom 2 : 4, 3 : 7 .

(3) Strom 2 : 6 .

ممارسة الايمان تصير معرفة بطريقة مباشرة ، وتستقر على أساس وطيد (١) .

يقول أيضاً : « من يؤمن بالكلمة يعرف الأمور على حقيقتها ، لأن الكلمة هو الحق » (٢) .

« الغنوسى يثبت بالايمان ، أما من يظن نفسه حكيماً فلا يمس ما يخص الحق » (٣) .

٢- السيد المسيح هو سر المعرفة :

« إن كان الرب هو الحق والحكمة وقوة الله » ... لذلك فإن الغنوسى الحقيقى هو الذى يعرف الرب ويعرف الآب بواسطته ... « فإن شفاة البار تعرف العلويات » أم ١٠ : ٢١ (الترجمة السبعينية) (٤) .

« ليست معرفة بدون ايمان ، ولا ايمان بدون معرفة ... الابن هو المعلم الحقيقى عن الآب . إننا نؤمن بالابن لكى نعرف الآب ، الذى معه أيضاً الابن.

مرة أخرى ، لكى نعرف الآب يلزمنا أن نؤمن بالابن ، أنه ابن الآب .

معرفة الآب والابن ، بطريقة الغنوسى الحقيقى ، إنما هى بلوغ للحق بواسطة الحق ...

حقاً ، قليلون هم الذين يؤمنون ويعرفون (٥) .

فى أكثر من موضع يؤكد القديس أن كل بحث عقلى يبقى غير أكيد وأعمى بدون نعمة المعرفة التى توهب لنا من قبل الله الآب بواسطة ابنه (٦) .

٣- النمو فى الايمان وكمال المعرفة :

يوجد ايمان عام لجميع المؤمنين ، هو ايمان البسطاء ذهنياً ، هذا الايمان هو أشبه باللبن ، المعرفة غير الكاملة . لكن قليلون لا يكتفون باللبن بل يطلبون

---

(1) Strom 2 : 2 .
(2) Strom 2 : 4 .
(3) Strom 3 : 11 .
(4) Strom 3 : 11 .
(5) Strom 5 : 1 .
(6) Strom 5 : 12 .

الطعام القوى (١) ، يدخلون من ايمان إلى ايمان ، ومن عمق إلى عمق ، فيكون لهم الايمان فى حياتهم أشبه بحبة خردل تدخل بالنفس إلى الحياة الجديدة ، وتنمو من يوم إلى يوم حتى تصير شجرة عظيمة جداً ، عليها تستقر النفس فى كمال المعرفة (الغنوسية) حيث تنعم بالحياة السماوية وتتمتع بالاعلان الواضح للحياة العتيدة (٢) ، وتكون لهم رؤية « الوجه للوجه » . بمعنى آخر يعبر خلال الايمان إلى كمال المعرفة ، التى هى فوق الايمان .

هذا هو هدف الغنوسى أن يتعرف على الله (الحق) ويراه (٣) وجهاً لوجه ، أى يعبر إلى كمال المعرفة خلال الايمان ، وذلك خلال خبرة الحياة النقية والتأمل الدائم . فإن كنا قد عبرنا من الوثنية إلى الايمان ، فيليق بنا أن نعبر من الايمان إلى المعرفة (٤) ، لنرى الله ونعرفه ، هذه المعرفة هى هبة الهية نتقبلها خلال الابن ، وذلك بقبولنا إياه وتشبهنا به ، أى خلال نقاوة القلب ، نعاين الله وندرك ما يبدو للآخرين غير مدرك (٥) .

بالابن ننعم بالحب فندرك الله الذى هو حب ، لأنه الشبه يعرف بالشبه (٦) . فالله غير المنظور لا يدركه المنظور ، والروحى لا يدركه المادى ، والمنظم لا يدركه المشوش . لذلك فإن غير المؤمن يبقى أعمى وأصم فى ادراكه الحق ، أما الذى يدخل بالايمان إلى الحياة الطاهرة الروحية المنظمة فيعرف الحق ...

٤- الايمان والعلم ،

« يمكن للانسان أن يكون مؤمناً وهو غير متعلم ، ونحن نؤكد أنه يستحيل للانسان أن يدرك الأمور المتعلقة بالايمان دون تعلم . فلكى نتبنى الأمور الحسنة ونرفض عكسها لا يتحقق ذلك بالايمان وحده ، وإنما بالايمان ملتحم مع المعرفة . فحيث لا يكون للجهل وجود فى التدرب والتعلم تصير هناك

---

(1) Paed 1 : 6 .
(2) Strom 5 : 3 .
(3) Strom 2 : 10 .
(4) Strom 7 : 10 .
(5) Strom 6 : 8 .
(6) Strom 5 : 13 .

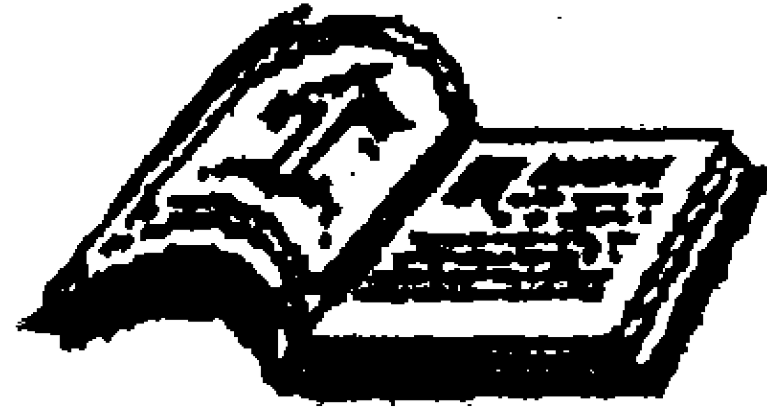
معرفة للأمور الالهية والأمور البشرية » (١) .

٥- الايمان والخلاص :

قرار الايمان له جانبان هامان ، فهو ضروري للخلاص كما أنه ضروري للمعرفة . فقد رأينا أهميته في المعرفة ، إذ يراه عنصر حيوي في حياة الغنوسي كما التنفس ضروري ليحيا الانسان في العالم ، بدونه يستحيل اقتناء المعرفة وادراك الحق (٢) . بالايمان يتقبل الانسان بكمال حريته امكانية المعرفة رافضاً الجهل .

أما بالنسبة للخلاص ، فالايمان هو قوة الخلاص وسلطان الحياة الأبدية » (٣) .

بالايمان يترك الغنوسيون الشهوات فيصيرون روحيين أمام الرب (٤) . أما الذين يرفضون الايمان فإنهم يفعلون ذلك لأنهم لا يريدون ضابطاً لشهواتهم (٥) .



---

(1) Paed 1 : 6 .

(2) Strom 2 : 6 .

(3) Strom 2 : 53 .

(4) Paed 1 : 31 .

(5) Prot 61 .

٥

العلامة أوريجانوس

« بلغت مدرسة الاسكندرية أوج عظمتها فى عهد أوريجانوس (١) ، خليفة القديس أكليمنضس . وهو المعلم والباحث الممتاز فى الكنيسة الأولى ، شخصيته لا يشوبها عيب ، يحمل فى تعليمه دائرة معارف ، ويعتبر أحد المفكرين الأصليين الذين شاهدهم العالم » (٢) . « يرى البعض فى أوريجانوس أعظم فكر يحمل عمقاً ظهر فى تاريخ الكنيسة » (٣) .

وصفه القديس جيروم هكذا : « أعظم معلم للكنيسة بعد الرسل » نقلا عن القديس ديديموس ، وقد وضعها فى مقدمة ترجمة « عظات حزقيال » لمعلمه العظيم (٤) .

لقب العلامة أوريجانوس بـ « أدمانتيوس » أى « الرجل الفولاذى » ، اشارة إلى قوة حجته التى لا تقاوم وإلى مثابرته .

طفولته

يعتبر أوريجانوس ابن مصر الأصيل ، يبدو أنه ولد فى الاسكندرية حوالى عام ١٨٥م . اهتم به والده ليونيدس Leonides (٥) فهذبه بمعرفة الكتاب المقدس ، وقد أظهر الابن شغفًا عجيبًا فى هذا الأمر (٦) ، إذ يروى عنه يوسابيوس : « تهذب فى الأسفار الالهية منذ الطفولة ... لأن والده علاوة على أنه قدم إليه الثقافة الواسعة العادية ، فإنه لم يجعل من دراسة الأسفار الالهية أمراً ثانوياً ... بل كان يطلب منه أن يحفظ جزءاً معيناً كل يوم ثم يتلوه عليه .

ولم يكن هذا العمل مضنياً على الولد ، إذ كان شغوفاً جداً بهذه الدراسات . ثم أنه لم يكتف بدراسة الأمور السهلة والواضحة فى الأقوال المقدسة ، بل كان

---

(١) أوريجين يعنى « ابن حورس ، اله الشمس المصرى » .

(2) Quasten : Patrology, vol 2, p.37 .

(3) Carl S. Meyer : The Church, p. 32 .

(4) Jerome : Praef. in Hom. Orig. in Ezech

(٥) ليونيدس تعنى « ابن الأسد » .

(6) J. Lebreton : History of the Primitive Church, 1948, vol 4, p.773 .

يطلب المزيد ، وكان ينكب على التأملات العميقة وهو بعد في هذا السن (الصغير) حتى كان كثيراً ما يربك أباه بأسئلته عن المعنى الحقيقي للأسفار الالهية .

أما والده فقد كان يوبخه - حسب الظاهر - قائلاً له ألا يبحث فوق حدود سنه ، أو يذهب إلى أبعد من المعنى الظاهر . أما في الحقيقة فكان مغتبطاً جداً، يشكر الله مصدر كل صلاح ، الذي حسبه أهلاً أن يكون أباً لصبي كهذا .

ويقال أنه كثيراً ما كان يقف بجوار الصبي وهو نائم ، ويكشف صدره كأن روح الله قد استقر في داخله ، ويقبله بوقار معتبراً نفسه بأنه قد تبارك بذريته الصالحة (١) .

استشهاد ليونيدس

إن كان أوريجانوس قد تأثر بالكتاب المقدس بفعل تربية والده له ، فإن العامل الثاني الذي كان له كبير الأثر على حياته وكتاباته هو « الاستشهاد » ، فقد عاش في بيت له نفسية الشهيد ، الكل مستعد أن يقدم حياته شهادة للمسيح. كما عاصر الاضطهاد الذي أثاره سبتيموس ساويرس عام ٢٠٢م ، والذي كان أكثر عنفاً على الكنيسة المصرية (٢) ، حتى ظن كثيرون أن هذا الاضطهاد هو علامة على مجيء « ضد المسيح » (٣) .

ألقي القبض على ليونيدس ووضع في السجن ، أما أوريجانوس الذي لم يكن بعد قد بلغ السابعة عشر من عمره فكان يتوق بشغف أن ينال اكليل الاستشهاد مع والده . وفي اللحظة الحاسمة منعته أمه من تحقيق رغبته

---

(١) يوسابيوس : تاريخ الكنيسة ٦ : ٢ : ٧ - ١١ .
راجع ترجمة القس مرقس داود ، القاهرة ١٩٦٠ .
خصص يوسابيوس الكتاب السادس كله عن حياة أوريجانوس بجانب ما ذكره في الكتب الأخرى.

(2) W. Fairweather : Origin & Greek Patristic Theology, Edinburg 1901, p. 37 .

(3) Benjamin Drewerly : Origen & Doctrine of Grace, London 1906, Intr .

باخفاء كل ملابسه حتى يلتزم البقاء في المنزل (١) ليرعى شئون إخوته الستة . فأرسل إلى أبيه يحثه على الاستشهاد ، قائلاً له : « احذر أن تغير قلبك بسببنا ! » .

معلم الأدب

إذ قطعت رأى ليونيدس وصودرت ممتلكاته لحساب الخزانة الحكومية أصبح أوريجانوس وعائلته في عوز . لهذا التجأ أوريجانوس إلى سيدة غنية جداً رحبت به ، لكنه لم يحتمل البقاء كثيراً ، لأن معلماً هرطوقياً يدعى بولس الأنطاكي استطاع أن يؤثر عليها ببلاغته فضمته إلى بيتها ، وتبنته ، وأقامته فيلسوفاً خاصاً بها ، وسمحت له أن ينشر هرطقته بالقاء محاضرات في بيتها .

لم يستطع أوريجانوس – وهو بعد صغير السن – أن يشترك في الصلاة مع هذا الهرطوقي متمسكاً بقوانين الكنيسة (٢) ، فترك البيت وعكف على تدريس الأدب الدنيوي والنحو لينفق على نفسه وعلى عائلته .

وجد أوريجانوس في تدريسه للوثنيين الأدب والنحو فرصته للشهادة للايمان المسيحي قدر ما تسمح الظروف ، فكان يعلن عن مركز اللاهوتيات بين الكتابات اليونانية . بهذا اجتذب أوريجانوس بعض الوثنيين الذين جاءوا يطلبون أن يسمعوا منه عن التعاليم المسيحية من بينهم بلوتارخس الذي نال اكليل الاستشهاد وأخوه هيراقليس (ياروكلاس) الذي صار بطريركاً على الاسكندرية .

أوريجانوس ومدرسة اسكندرية

إذ تركت مدرسة اسكندرية بلا معلم بسبب الاضطهاد ، ورحيل القديس أكليمنضس ، عين البابا ديمتريوس أوريجانوس رئيساً للمدرسة ، وهو بعد في الثامنة عشر من عمره ، وذلك لما رآه فيه من غيرة على الكرازة وقدرة على

---

(1) F. F. Bruce : The Spreading Flame, 1970, p. 179 .

(٢) جاء في أوامر الرسل (٨ : ٣٤) : « لا يصلي أحد من القديسين مع أحد من الهراطقة ، حتى ولا في البيت ، لأنه أي شركة للنور مع الظلمة ؟! » .

بعليم الموعوظين . كان لهذا المركز كرامته ، لكنه لم يخلو من المخاطر ، لأن الاضطهاد الذى بدأ بمنشور سويرس عام ٢٠٢م . لم يزل قائماً يهدد بصفته الخاصة الذين يتحولون إلى الايمان المسيحى ومعليمهم .

على أى الأحوال أوقف أوريجانوس كل نشاط له وباع كتبه الثمينة المحبوبة لديه (١) ، ليكرس حياته بالكامل للعمل الجديد الذى أوكل إليه كمعلم للموعوظين .

لقد تتلمذ على يديه كثيرون نذكر على سبيل المثال القديس ألكسندروس أسقف أورشليم الذى كان يتطلع إلى أوريجانوس كمعلمه وصديقه ، خليفة الأستاذين المبجلين بنتينوس وأكليمنضس بل وأعظم منهما . ففى اليوم التالى لنياحة القديس أكليمنضس كتب ألكسندر لأوريجانوس هكذا : « إننا نعرف جيداً الأبوين الطوباويين اللذين سلكا الطريق قبلنا وسنلحق بهما سريعاً : بنتينوس الطوباوى والمعلم القدير وأكليمنضس المبجل معلمى ومعينى ، وأيضاً آخرين مثلهما ، وقد تعرفت خلالهما عليك ، إذ أنت هو ممتاز معهما ، يا معلمى وأخى » (٢) .

وإننى أود أن أشير هنا إلى دور العلامة أوريجانوس فى تطور المدرسة :

١- ألقى العلامة أوريجانوس بنفسه بكل طاقاته لا لدراسة الكتاب المقدس والتعليم به فحسب ، بل وفى تقديم حياته مثلاً للحياة الانجيلية . فى هذا يقول تلميذه القديس غريغوريوس صانع العجائب (٣) : «لقد جذبنا بأعماله التى فعلها أكثر من تعاليمه التى علمنا اياها » . ويخبرنا المؤرخ يوسابيوس : « كان سلوكه يتفق مع تعاليمه ، وكانت تعاليمه تتفق مع حياته . لذلك فإن القوة الالهية التى كانت تعمل فيه قد دفعت الكثيرين جداً إلى غيرته » ، وأضاف أيضاً : « كان يكبح جماح نفسه على قدر استطاعته بحياته الفلسفية الصارمة ، أحياناً

---

(1) Eusebius : H. E. 6 : 3 : 9 .

(2) Eus. H. E. 6 : 14 : 8 - 9 .

(3) Ibid 6 : 3 : 7, 9 : 10 .

بتدريب نفسه على الصوم ، وأحياناً بالاقلال من النوم فى حدود معينة . ويسبب غيرته المتأججة لم يدم على فراش قط ، وإنما كان يفترش الأرض .

وفوق هذا كله فكر فى ضرورة تنفيذ كلمات المخلص الواردة فى الانجيل والتى ينصح فيها عدم اقتناء ثوبين أو استعمال أحذية (مت ١٠ : ١٠) ، أو الاهتمام بالمستقبل (مت ٦ : ٣٤) ، .

لقد حاول أن يقود تلاميذه وسامعيه فى ذات طريق النسك وآلاماته الذى سار فيه منذ شبابه .

بجانب حياته النسكية اهتم بممارسة الصلاة بكونها جزء لا يتجزأ من الحياة النسكية ، تسنده فى تحرير النفس ودخوله إلى الاتحاد مع الله بطريقة أعمق . يرى فى الصلوات أمراً ضرورياً لنوال نعمة خاصة من قبل الله لفهم كلمة الله (١) .

رأى أن الانسان يطلب الاتحاد مع الله خلال حفظ البتولية (٢) ، فينسحب عن العالم وهو بعد يعيش فيه (٣) ، مقدماً تضحية فى أمور الترف قدر ما يستطيع (٤) ، محتقراً المجد البشرى (٥) .

وبسبب حضور النسوة يستمعن محاضراته ، ولكى لا تحدث عثرة رأى أن ينفذ حرفياً ما ورد فى الانجيل أن أناساً خصوا أنفسهم من أجل ملكوت الله (مت ١٩ : ١٢) ، لكنه يبدو أنه قدم توبة على هذا الفعل (٦) . وقد استخدمها البابا ديمتريوس ضده .

٢- فى البداية ركز أوريجانوس على اعداد الموعوظين وتهيئتهم للعماد ، لا بتعليمهم الايمان المسيحى فحسب ، وإنما بتقديم التعاليم الخاصة بالحياة

---

(1) Hom. Jer. 6 : 3 .

(2) In Num. hom. 11 : 3 .

(3) In Levit. hom. 11 : 1 .

(4) Ibid 15 : 2 .

(5) In Joan. 28 : 23 .

(6) On. Matt. 19 : 12 .

المسيحية العملية أيضاً . ففى حديثه مع الموعوظين الداخلين للمعمودية نراه يقول (١) : « إن أردتم نوال المعمودية يلزمكم أولاً أن تتعلموا كلمة الله ، وتقطعوا عنكم كل جذور الرذائل . وتصلحوا حياتكم القفرة البربرية وتمارسوا الوداعة والاتضاع ، عندئذ تتهيأون بقبول نعمة الروح القدس » .

كما يقول أيضاً : « اذهبوا توبوا أيها الموعوظين ، إن أردتم قبول المعمودية لمغفرة الخطايا ... اظهروا ثمر التوبة المقبول (مت ٣ : ٨) . عيشوا فى حياة طاهرة إلى حين ... وتعالوا لتنالوا غفران الخطايا » (٢) .

٣- لم يقف عمل العلامة أوريجانوس عند تهيئة الأعداد الضخمة المتزايدة الجالسة عند قدميه لنوال سرّ العماد وإنما كان عليه بالحرى أن يهيئهم لقبول اكليل الاستشهاد . فكل من يقترب إليه إنما بالحرى يجرى نحو خطر الاستشهاد .

وصف يوسابيوس الدور الذى قام به أوريجانوس فى وقت الاضطهاد هكذا : « برز اسمه بين قادة الايمان ، وذلك بسبب اللطف والرعاية والرقة التى أظهرها نحو الشهداء والقديسين ، سواء كانوا معروفين لديه أو غرباء . كان يرافقهم فى السجن ويمكث معهم أثناء المحاكمة ، بل يبقى معهم حتى لحظات الموت ... غالباً عندما كان يذهب إلى الشهداء يهتم بهم ويحييهم بقبلة دون أى اعتبار لما ينتج عن ذلك ، فكان الوثنيون المحيطون بهم يثورون عليه ويكادوا أن يهجموا عليه ليضعوا حداً لحياته ... » (٣) .

روى أبيفانيوس (٤) أن رعاع الوثنيين أمسكوه يوماً وهو سائر فى الطريق وحملوه بضجيج شديد إلى هيكل سيرابيوم الشاهق ، وحلقوا رأسه ، ووضعوا عليها قلنسوة وألبسوه حلّة بيضاء على طريقة كهنتهم رغماً عنه ، ثم أخرجوه خارج الهيكل وأصعدوه على القمة الكبرى التى أعلى السلم ، وأعطوه سعف النخل ، وأمروه أن يقوم بتوزيعه على عبدة الأوثان المجتمعين حوله ، وكانوا

---

(1) Hom. Levit 6 : 2 .

(2) Hom Lue. 21 .

(3) Eus. H. E. 6 : 3 : 3 - 7.

(٤) منسى يوحنا ص٣٤ .

يسخرون به مصفقين . فأسرع أوريجانوس يلوح بالأغصان وينثرها على المتجمهرين وهو يقول بصوت عظيم : « هلموا خذوا هذه الأغصان لا برسم الأوثان بل باسم يسوع المسيح خالق الانسان » ، فصرّوا بأسنانهم عليه وأرادوا قتله ، لكن الرب أنقذه من أيديهم .

هكذا نشأ أوريجانوس فى أسرة كان لها شرف أن ينعم الأب بالاستشهاد ، وتلمذ كثيرين صاروا شهداء ، ودخل إلى مشاركة الشهداء أتعابهم ... وحتى بعد أن انتهت موجة الاضطهاد بقى ذهنه يحمل ذكريات الاستشهاد ، إذ يقول : « وجد وقت كان فيه الناس مؤمنين بحق ، حيث كان الاستشهاد هو عقوبة حتى لمن يدخل الكنيسة ... حيث وقفت الكنيسة كلها دون أن تتزعزع. كان الموعوظين يتلقون التعاليم وسط الاستشهاد وموت المسيحيين الذين يعترفون بايمانهم حتى النهاية ، وحين كان هؤلاء الموعوظين يغلبون المحاكمات ملتصقين بالله الحى بغير خوف » .

٤- اهتم أوريجانوس بتعميق الفكر الدراسى ، فإذ كان جمهور تلاميذه يلتفون حوله من الصباح حتى المساء رأى أوريجانوس أن يقسمهم إلى فصلين، واختار تلميذه هيراقليس - المتحدث اللبق - ليدرس المبتدئين المبادئ الأولى للتعاليم المسيحية ، أما هو فكرّس وقته فى تعليم المتقدمين اللاهوت والفلسفة معطياً اهتماماً خاصاً بالكتاب المقدس .

٥- لعل أعظم أثر لأوريجانوس على مدرسة الاسكندرية هو ابرازه التفسير الرمزى للكتاب المقدس . فقد كرّس حياته كلها لهذا العمل ، حتى نسب هذا المنهج التفسيرى لمدرسة الاسكندرية ولأوريجانوس ... الأمر الذى نعود إليه بشئ من التفصيل فيما بعد .

٦- إن كان أوريجانوس قد تتلمذ على يدّى القديس أكليمنضس الذى صالح الايمان مع الفلسفة اليونانية ، لكن أوريجانوس المبشر أكثر منه فيلسوف دخل بالمدرسة إلى مرحلة جديدة هى ابراز أهمية الفلسفة كطريق لكسب الفلاسفة لكن فى شئ من الحذر ... وسنعود بمشيئة الله إلى نظرته للفلسفة فيما بعد .

١- حوالى عام ٢١٢م زار أوريجانوس روما فى أثناء أسقفية زفيرينوس Zephyrinus (١) ، وفى حضرته ألقى القديس هيبوليتس مقالاً عن كرامة المخلص ، وبعد اقامة قصيرة هناك عاد إلى الاسكندرية .

٢- قام بعدة رحلات إلى بلاد العرب ، أولها حوالى عام ٢١٤م ، حيث ذهب إليها بناء على دعوة من حاكم تلك البلاد الذى كان يرغب فى التعرف على تعاليمه (٢) ، كما دعى إلى العربية عدة مرات ليتناقش مع الأساقفة (٣) وقد أشار المؤرخ يوسابيوس إلى اثنين من هذه المناقشات ، نذكر منهما أنه فى عام ٢٤٤م انعقد مجمع عربى لمناقشة وجهة نظر الأسقف بريلوس Beryllus فى شخص السيد المسيح . انعقد هذا المجمع على مستوى واسع أدان الأسقف بسبب قوله أن الله أقنوم واحد ، وقد حاولوا باطلاً اقناعه أن يعود إلى الايمان المستقيم (٤) . أسرع أوريجانوس إلى العربية ونجح فى اقناع الأسقف الذى يبدو أنه بعث إليه رسالة شكر (٥) ، وصار من أكبر المدافعين عنه .

على أى الأحوال هذا الارتباط بين أوريجانوس والعربية إنما هو امتداد لارتباط العلامة بنتينوس بها (٦) .

٣- حوالى عام ٢١٦م إذ نهب الامبراطور كاركلا Caracalla مدينة الاسكندرية وأغلق مدارسها واضطهد معلميها وذبحهم ، قرر أوريجانوس أن يذهب إلى فلسطين . هناك رحب به صديقه القديم الاسكندر أسقف أورشليم كما رحب به ثيؤكتستوس Theoctistus أسقف فلسطين ، اللذين دعاه أن يشرح الكتاب المقدس فى اجتماعات المسيحيين فى حضرتهما .

(1) Eus. 6 : 14 : 10 . (2) 6 : 14 : 15 : 6 .

(3) C. Knetschmar : Origens Und dei Arber, Zeilsch. Theolo. Kirsh 50 (1953) p.258 - 280 .

(4) Fairweather, p. 60 .

(5) Jerome : Catal c. 60, Socrate 6 : 39 .

(6) J. Daniélou : The Christian Centuries, vol 1, p. 184 .

غضب البابا ديمتريوس الاسكندرى جداً ، لأنه حسب عادة الكنيسة الاسكندرية لا يستطيع العلمانى أن يعظ فى حضرة الأسقف ، فأمره بعودته إلى الاسكندرية سريعًا . وبالفعل أطاع أوريجانوس بطريركه فى خضوع ، وبدت الأمور تسير كما كانت عليه قبلاً ، لكن هذا الحدث صار مقدمة لصراع أوشك أن يحدث بعد عدة سنوات (حوالى ١٥ عاماً) .

وقد أورد المؤرخ يوسابيوس دفاع الأسقفين الاسكندر وثيؤكتستوس عن نفسيهما ، جاء فيه : « جاء فى رسالته أنه لم يسمع عن أمر كهذا من قبل ، ولا حدث إلى الآن أن وعظ علمانيون في حضرة أساقفة . ولست أدرى كيف يقرر أمراً غير صحيح ، لأنه متى وجد أناس قادرون على تعليم الأخوة يحثهم الأساقفة القديسون على وعظ الشعب . هذا ما حدث فى لارانـدا عندما طلب ذلك نيون من يولبس ، وفى أيقونية عندما أمر كلسس بولينوس ... والأرجح أن هذا حدث فى أماكن أخرى لا نعلمها » (١) .

٤- مع بداية حكم أسكندر ساويرس (٢٢٢ - ٢٣٥م) ، أرسلت ماميا Mammaea والدة الامبراطور حامية حربية تستدعى أوريجانوس لأنطاكيا كى يشرح لها بعض الأسئلة . وكما ورد فى يوسابيوس أن أوريجانوس بعد أن لبث معها فى القصر الامبراطورى بعض الوقت أظهر لها فيه أشياء كثيرة لمجد الله وأوضح لها سمو التعاليم الالهية ، أسرع فى العودة إلى مدرسته (٢) .

٥- أرسل العلامة أوريجانوس إلى اليونان (٣) لضرورة ملحة تتعلق ببعض الشئون الكنسية ، وبقى عامين غائباً عن الاسكندرية . ذهب إلى أخائية ليعمل صلحاً ، وكان يحمل تفويضاً كتابياً من بطريركه . وفى طريقه عبر بفلسطين ، وفى قيصرية سيم قساً بواسطة أسقفها (٤) . فقد بدى للأساقفة أنه لا يليق بمرشد روحى مثل أوريجانوس بلغ أعلى المستويات الروحية والدراسية يبقى مجرد علمانى . هذا وقد أرادوا أن يتجنبوا المخاطر التى يثيرها البابا

(1) Eus. H. E. 6 : 19 : 17, 18 .

(2) Ibid 6 : 21 : 3, 4 .

(3) Fairweather, p. 50 .

(4) Eus. H. E. 6 : 23 : 4 .

ديمتريوس بسماحهم له أن يعظ وهو علمانى فى حضرتهم .

وقد اعتبر البابا هذه السيامة أكثر خطأ من التصرف السابق ، حسابا اياها سيامة باطلة لسببين :

ا – أن أوريجانوس قد قبل السيامة من أسقف آخر غير أسقفه ، دون أخذ تصريح من الأسقف التابع له .

ب– إذ كان أوريجانوس قد خصى نفسه ، فهذا يحرمه من نوال درجة كهنوتية ، فإنه حتى اليوم لا يجوز سيامة من يخصى نفسه .

ادانته

لم يحتمل البابا ديمتريوس هذا الموقف فدعى لانعقاد مجمع من الأساقفة والكهنة بالاسكندرية . رفض المجمع القرار السابق مكتفين باستبعاده عن الاسكندرية (١) .

لم يرضى البابا بهذا القرار فدعى مجمعاً من الأساقفة وحدهم عام ٢٣٢م، قام باعلان بطلان كهنوته واعتباره لا يصلح بعد للتعليم ، كما أعلن عن وجود بعض أخطاء لاهوتية فى كتاباته ، نعود إليها فيما بعد إن شاء الرب .

كتب البابا الاسكندرى القرار وبعث به إلى كل الايبارشيات . فدعى Pontiss أسقف روما مجمعاً أيد القرار ، وهكذا فعل كثير من الأساقفة . فيما عدا أساقفة فلسطين والعربية وأخائية وفينيقية وكبدوكية الذين رفضوا القرار (٢) .

ومع أن أوريجانوس قد أخطأ فى قبوله الكهنوت بدون تصريح من أسقفه ، كما قبله رغم أنه كان قد أخصى نفسه ، لكن كثير من المؤرخين يروا فى أوريجانوس الرجل النبيل الذى أطاع القرار متحاشياً كل انقسام ، أطاع بروح مسيحية لا تحمل شيئاً من الأنانية ، معتبراً استبعاده عن الأرض الغالية عليه

---

(1) H. M. Gwatkin : Early Church History, London 1909, vol 2, p. 192 .

(2) Jerome : Epist. 33 : 4 .

جداً أكثر من أى بقعة أخرى على الأرض ليست بالتضحية الكبرى من أجل حفظ وحدة الكنيسة . فبالرغم من وجود أصدقاء لهم سلطانهم فى الاسكندرية وفى الخارج ، وكان يمكنه أن يقود حركة مضادة للبابا لكنه أبى أن يفعل شيئاً من هذا . فى هدوء ترك الاسكندرية شاعراً أنه لن يوجد من يقدر أن يفصله عن كنيسته المحبوبة ، إذ يقول : « يحدث أحياناً أن انساناً يطرد خارجاً ويكون بالحق لايزال فى الداخل ، والبعض يبدو كما لو كانوا فى الداخل مع أنهم فى الحقيقة فى الخارج » (١) .

كانت هذه العاصفة التى ثارت ضد أوريجانوس بلا شك صفعة مرعبة ، ومع ذلك فإننا نراه وهو يتحدث عنها يتكلم باتزان ، إذ يقول فى مقدمة الكتاب السادس عن انجيل يوحنا (٢) : « بالرغم من العاصفة التى هبت ضدنا فى الاسكندرية أكملت المجلد الخامس (من انجيل القديس يوحنا) لأن يسوع أمر الرياح والأمواج . لقد بدأت فعلاً فى المجلد السادس حين طردت من أرض مصر . منذ ذلك الحين والعدو يضاعف عنفه ، فينشر رسائله الجديدة ، التى هى بالحق غريبة عن الانجيل ، هكذا يطلق علينا الرياح الشريرة قادمة علينا من مصر . وكان للعقل أن يشير علينا أن نستعد للمعركة لكن لا يمس هذا الأمر سلامنا إلى حد كبير فيعود الهدوء إلى ذهننا حتى نقدر أن نكمل أعمالنا السابقة الخاصة بدراسة الكتاب المقدس .... » .

غير أن أوريجانوس اضطر أن يدافع عن نفسه ضد الاتهامات الخطيرة التى وجهت ضده . فقد أورد روفينوس فى كتابه De Adulteratione شذرة طويلة من خطاب كان قد وجهه أوريجانوس إلى أصدقاء له فى الاسكندرية يشكو فيه من الملفقين الذين غيروا بعض فقرات من كتبه وشوهوها . ومن الذين نشروا فى العالم المسيحى كتباً مزورة ليس من العسير أن نجد فيها ما يستحق السخط .

كذلك يعرفنا القديس ايرونيموس بوجود خطاب آخر كتبه أوريجانوس

(1) Hom Levit 14 : 3 .

(2) In Joan 6 : 1. 8 : 11 .

إلى أسقف روما فابيانوس يتهم فيه صديقه امبروسيوس بأنه تسرع ونشر أحد كتبه فى وقت غير مناسب وقبل أن يكمله ، لعله قصد بهذا كتاب المبادئ De Principiis (١) ، الذى أثار سخط الكثيرين عليه حتى بعد وفاته بقرون .

وجاء في ميمره الخامس والعشرين على انجيل القديس لوقا : « أنه من دواعى سرور أعدائى أن ينسبوا لى آراء لم أكن أتصورها ولا خطرت ببالى » .

مدرسة جديدة

إذ ترك أوريجانوس الاسكندرية واستوطن فى قيصرية فلسطين فرح به الاسكندر أسقف أورشليم وثيؤكتستوس أسقف قيصرية ، وحسباه « معلمهما الوحيد ، وسمحا له أن يفسر الأسفار المقدسة ويقوم بتعليم الكنيسة كلها » (٢) .

حثه الأسقف ثيؤكتستوس على انشاء مدرسة للاهوت هناك ، رأسها قرابة عشرين عاماً . فى هذه المدرسة تتلمذ القديس غريغوريوس العجائبى لمدة خمس أعوام .

وبناء على طلب الأسقف كان أوريجانوس يشرح الكتاب المقدس من على أمبن الكنيسة فى قيصرية على الأقل مرتين كل أسبوع : الأربعاء والجمعة (٣) ، وبعد قليل كان يقوم بهذا العمل يومياً ، وأحياناً أكثر من مرة فى اليوم الواحد.

هذا العمل لم يدفع بأوريجانوس إلى الكبرياء والتشامخ بل بالعكس كان يدرك أن الكارز يلزمه أولاً وقبل كل شئ أن يكون رجل صلاة . وفى مرات كثيرة حينما كان يقف أمام عبارة صعبة يتوقف عن الكلام ويطلب من سامعيه الصلاة من أجله لينال فهماً أفضل للنص (٤) .

اضطهاد مكسيميان

خلال الاضطهاد الذى أثاره مكسيميان التجأ أوريجانوس إلى كبادوكية

---

(١) د. أرشيدياكون وهيب عطا لله جرجس (حالياً نيافة الأنبا غريغوريوس) أوريجينوس (١) : مقدمة ص٦ .

(2) Eus. H. E. 6 : 27. Jerome : Epis. 41 .

(3) In Num. Hom. 15 : 1, In Jesu Nave Home. 20, In 1 Sam. Hom. 2 .

(4) In Gen Hom. 2 : 3 .

قيصرية . فى هذا الاضطهاد ألقى القبض على صديقيه القديمين : امبروسيوس وبروتوكتيتوس كاهن قيصرية ، ووضعا فى السجن . كتب أوريجانوس إليهما مقالاً : « الحث على الاستشهاد » ، نظر فيه إلى الاستشهاد كأحد البراهين على صحة الحق المسيحى ، وكاستمرار لعمل الخلاص .

أطلق سراح صديقيه وعاد أوريجانوس إلى قيصرية فلسطين .

سافر أوريجانوس إلى أثينا عن طريق بيثينية ، حيث قضى عدة أيام فى نيقوديمية ، وهناك تسلم رسالة من يوليوس أفريقانيوس ، يسأله فيها عن قصة سوسنة إن كانت جزءاً أصيلاً من سفر دانيال ، وأجابه أوريجانوس برسالة مطولة بعثها إليه من نيقوديمية .

وفى أيام دقيوس Decius (٢٤٩ - ٢٥١) ، ثار الاضطهاد مرة أخرى ، وألقى القبض على أوريجينوس . تعذب جسده ، ووضع فى طوق حديدى ثقيل وألقى فى السجن الداخلى ، وربطت قدماه فى المقطرة أياماً كثيرة ، وهدد أن يعدم حرقاً (١) .

احتمل أوريجانوس هذه العذابات بشجاعة ، وإن كان لم يمت أثناءها ، لكنه مات بعد فترة قصيرة ، ربما كان متأثراً بالآلام التى لحقت به .

قبل أن يموت أرسل إليه البابا الاسكندرى ديدنسيوس الذى خلف هيراقليس، رسالة « عن الاستشهاد » ، لعله بذلك أراد أن يجدد العلاقة بين العلامة الاسكندرى أوريجينوس وكنيسة الاسكندرية .

وفى عام ٢٥٤م رقد أوريجانوس فى مدينة صور بفلسطين وكان عمره فى ذلك الحين ٦٩ عاماً (٢) ، وقد اهتم مسيحيو صور بجسده اهتماماً عظيماً فدفنوه ازاء المذبح وغطوا قبره بباب من الرخام نقشوا عليه : « هنا يرقد العظيم أوريجانوس » ، وقد شاهد الكاتب غليوم الصورى هذا القبر والباب الرخامى فى أواخر القرن الثانى عشر (٣) .

---

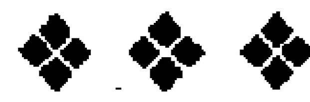
(1) Eus. H. E. 6 : 39 : 5 .

(2) Eus. H. E. 7 : 1 .

(٣) رئيس أساقفة صور ، ولد حوالى عام ١١٣٠م وتنيح عام ١١٨٣م .

الأحداث التى تمت بخصوص أوريجانوس (1)

ولد بالاسكندرية	حوالى ١٨٥
استشهاد والده	٢٠٢ – ٢٠٣
رئاسته مدرسة الاسكندرية	٢٠٤
اخصاء نفسه ، تحول امبروسيوس	٢١٠ – ٢١١
زيارته روما	٢١٢
رحلته الأولى إلى بلاد العرب	٢١٤
زيارته إلى فلسطين	حوالى ٢١٦
مقابلته مع ماميا بأنطاكية	(فى بدء حكم ساويرس ٢٣٢ – ٢٣٥)
سفره إلى اليونان ، سيامته كاهناً فى قيصرية فلسطين	٢٣١
انعقاد مجمع بالاسكندرية يحرم أوريجانوس	٢٣٢
اضطهاد مكسيميان	٢٣٥
التجاء أوريجين إلى كبادوكية قيصرية	
زيارته الثانية لأثينا وتصادمه مع Plotinus و Longinus	٢٤٣
زيارته لبلاد العرب	حوالى ٢٤٥
احتماله الآلام أثناء اضطهاد دقيوس بقيصرية فلسطين	٢٤٩
تحركه إلى صور ومقابلته مع بروفيرى	٢٥٣
وفاته بصور	٢٥٤



(1) See R. P. C. Hason : Origen's Doctrine of Tradition, London 1954, p. 25 - 27 .

كتابات أوريجانوس

كتابات العلامة أوريجانوس قد سحبت قلوب الكثيرين ، فلم يكن أوريجانوس بالكاتب الفيلسوف ، لكنه أولاً وقبل كل شئ الرجل الكنسى ذا فكر متسع وقلب مملوء غيرة نحو الايمان المسيحى الانجيلى . لعله كان أول كاتب مسيحى قد عرفناه نشأ بالتأكيد فى بيت مسيحى أصيل ، مثله مثل القديس ايريناؤس الذى لم يأت إلى الكنيسة من الخارج . لهذا وجد أوريجانوس فى الايمان المسيحى مركزاً للحق من خلاله يتطلع إلى كل شئ (١) .

غيرته المتقدة جعلت منه كاتبًا خلاّقاً : « فقد خلق الكثير من أشكال الأدب الدائم فى الفكر المسيحى ، وساهم أكثر من غيره فى تثبيت أشكاله أو توجيه تطور الأدب الذى لم يوجده » (٢) .

قال عنه دانيلو : « يمكن القول بأن كتابات أوريجانوس تشير إلى فترة حاسمة فى كل ميادين الفكر المسيحى . فقد بحث فى تاريخ نسخ الكتاب المقدس المتنوعة ، كما أن تعليقاته على المعانى الحرفية والروحية للعهدين القديم والجديد ، جعلته مؤسسًا الدراسة العملية للكتاب . هو أول من وضع النظرة اللاهوتية العظيمة ، وأول من حاول تقديم تفاسير منهجية للأسرار المسيحية . إنه أول من وصف الطريق الذى تسلكه النفس فى رجوعها لله ، وبهذا يكون أول مؤسس للاهوت الحياة الروحية . كذلك نتساءل إن كان يعتبر هو السلف - إلى حد ما - لظهور الحركة الرهبانية الكبرى فى القرن الرابع » (٣) .

إمبروسيوس وكتابات أوريجانوس

تعرف أوريجانوس على صديق غنى يدعى امبروسيوس ، من عائلة

---

(1) Hans Von Campenhausen : The Fathers of the Greek Church, p. 38 .

(2) Louis Bouyer : The Spirituality of the N. T. & The Fathers, 1960, p. 280 .

(3) J. Daniélou : Origen, N. Y 1955, p. VII .

طيبة ويشغل مركزاً ممتازاً ويعتبر أحد المعترفين فى أثناء اضطهاد مكسيميان كما رأينا قبلاً .

إذ التقى أوريجانوس بامبروسيوس جذبه إلى الايمان المستقيم وأظهر له فساد هرطقة فالنتينوس التى سقط فيها . وإذ أعجب امبروسيوس بصديقه ضغط عليه أن يكتب وأمده بأكثر من سبعة سكرتيريين فى دورات بجانب الكثير من النساخ وبعض الفتيات اللواتى يجدن الكتابة (١) .

أما سبب ضغط امبروسيوس عليه ليكتب فقد أوضحه أوريجانوس نفسه ، قائلاً : « اليوم ، تحت ستار الغنوسية (المعرفة) وضع الهراطقة اضداد كنيسة المسيح المقدسة الكثير من المجلدات فى التفسير ، تظاهروا فيها بشرح الكتابات الانجيلية والرسولية . فإن التزمنا الصمت ولم نعارضهم بالتعاليم الصادقة الحقيقية يجتذبون الأرواح الضعيفة ، الذين بسبب حرمانهم من القوت الصحى يتمسكون بالطعام الممنوع الذى هو بحق غير نقى ودنس » (٢) .

ضياع الكثير من كتاباته

للأسف ضاع الجزء الأعظم من كتابات العلامة أوريجانوس بسبب الصراعات المرة التى نشبت بسبب أرثوذكسيته ، فلم تكن مجرد قراءة أعماله محرمة وإنما مجرد الاحتفاظ بها كان يحسب عملاً غير شرعى .

أما معظم ما تبقى من كتاباته فهى ليست فى الأصل اليونانى بل جاءت إلينا خلال الترجمات اللاتينية ، خاصة التى قام بها روفينوس أسقف أكويلا والقديس جيروم .

القائمة الكاملة لكتابات أوريجانوس التى أضافها يوسابيوس إلى سيرة صديقه ومعلمه بامفيليوس قد فقدت . ويقدر جيروم مقالات أوريجين ألفين (٣)،

(1) Eus. H. E. 3 : 23 : 2, 3 .

(٢) وجد فى كتاب الفيلوكاليا (In Joan 5 : 8)

(3) Daniélou. Origen, 1953, p. X - XII .

أما عند أبيفانيوس فستة آلاف (١) . شهد جيروم عن كثرة كتاباته بقوله : « من منا يقدر أن يقرأ كل ما كتبه ؟ » .

الترجمات اللاتينية

الترجمات اللاتينية لأعمال أوريجانوس غير دقيقة ، خاصة التى قام بها روفينوس ، فقد أراد أن يقدم مؤلفه للناطقين باللاتينية ، فلم يتردد عن أن يختصر بعض العبارات التى بدت له مطوّلة ، وأن يضيف شروحات من عنده حسبها ضرورية . كما اعتقد روفينوس أن كتب أوريجانوس امتدت إليها أيدى الهراطقة وحرفوها ، فرأى من حقها أن ينقيها مما بدت له غير أصيلة .

أولا : النصوص النقدية

يعتبر كتابه هكسابلا Hexapla « السداسيات » أول محاولة قامت على مستوى علمى فى دراسة نصوص العهد القديم . وهو عمل ضخم كرّس له أوريجانوس حياته كلها (٢) . فقد نسق ست أعمدة متوازية تشمل النصوص التالية :

أ – النص العبرى للعهد القديم .

ب – النص العبرى بحروف يونانية .

جـ– الترجمة السبعينية (اليونانية) .

د– الترجمة اليونانية لسيماخوس ، وهو أبيونى (٣) . قام بعمل الترجمة حوالى نهاية القرن الثانى للقارئ غير اليهودى . لهذا اهتم أن تكون اللغة اليونانية سليمة بغض النظر عن التقيد بحرفية الترجمة من النص العبرى . وجد أوريجانوس هذه الترجمة لدى الطوباوية جوليانا بقيصرية كبادوكية إذ

---

(١) رسالة ٨٤ : ٨ إلى باكيوم بروما .

(2) Quasten. Patrology, vol 2, p. 44 .

(٣) يوسابيوس ٦ : ١٧ . كان الابيونيون يصرون على أن السيد المسيح ابن يوسف ومريم ، مجرد انسان ، يشددون على حفظ الناموس بطريقة يهودية . وقد هاجموا انجيل متى .

التجأ إلى بيتها ومكث فيه عامين من وجه الاضطهاد (١) . أغرم القديس جيروم بهذه الترجمة .

هـ- الترجمة اليونانية لأكيلا من بنطس ، وهو مسيحي تهوّد ، عاش في أوائل القرن الثاني . ترجمته حرفية على حساب اللغة اليونانية . وضعها لمقاومة استخدام المسيحيين للترجمة السبعينية . ترجع هذه الترجمة لحوالي عام ١٢٨م .

و- الترجمة اليونانية لثيؤدوتيون ، وهو يهودي من أفسس ، قام بالترجمة حوالي عام ١٨٠م . تمسك بحرفية اللغة ، لكنها ليست في دقة ترجمة أكيلا .

هذا وقد أضاف أوريجانوس ترجمات لم يعرف اسماء القائمين بترجمتها ، وضمها إلى السداسيات ، حتى أظهر أيضًا « التساعيات Enneapla » ، حيث وجدت تسع أنهر في بعض الأسفار .

ثانيًا : التفاسير

كرّس أوريجانوس ساعات طويلة كل يوم للصلاة والدراسة ، فجاءت تعليقاته وعظاته على الكتاب المقدس هائلة ، شملت تقريبًا كل حقل الكتاب المقدس ، أخذت ثلاث أشكال أدبية :

أ - ملاحظات مختصرة Scholia ، غالبيتها ملاحظات نحوية بخصوص بعض العبارات الغامضة والصعبة .

ب- عظات على فصول أو عبارات منتخبة من الكتاب المقدس ، ألقيت في اجتماعات ليتورجية لتثقيف الشعب .

جـ- تعليقات تحوي تفاسير رمزية وجوانب عقيدية ، لاتزال هذه التعليقات لها أهميتها في مجال التفسير .

بمعنى آخر جاءت أعماله التفسيرية تحوي خليطًا غريبًا من ملاحظات

(1) Budge : The Paradise of Fathers, N. Y. 1972, p. 166 .

أدبية ونصوص وتاريخ وتفسير المعانى لغوياً وملاحظات لاهوتية وفلسفية (١) .

ويلاحظ أن أعماله هذه كشفت عن قدراته فى الكتاب المقدس ، فكان يتحدث ويكتب بطلاقة وبتوسع ، فجاء تفسيره لعبارة « فى البدء كان الكلمة » يضم مجلداً كاملاً .

فى أعماله هذه لم يهتم كثيراً بالتعميق اللفظى ... فإننا نجده « يحتقر المعلمين الذين لا يريدون أن يفعلوا شيئاً سوى أن يجمعوا العبارات المعروفة والجمل المودية » (٢) .

ثالثاً : الكتابات العقيدية *Dogmatic Writings*

ا – عن المبادئ (De Prircipiis (Peri Archon

للأسف الأصل اليونانى لهذا العمل مفقود ، كذلك ترجمة القديس جيروم له الدقيقة ، والذى بين أيدينا هو ترجمة روفينوس اللاتينية التى كما شهد المترجم نفسه أنه غيّر فى النص لينقيه من العبارات الغامضة (٣) .

احتل هذا الكتاب أهمية كبرى بين كتابات العلامة أوريجانوس لسببين :

١– يعتبر هذا العمل أول محاولة قدمت لايجاد منهج للاهوت المسيحى (٤). فإذا انشغل أوريجانوس كثيراً بالدفاع عن العقيدة المسيحية المستقيمة (الأرثوذكسية) ضد الهراطقة الغنوسيين ، رأى الحاجة ماسة لا بالرد على نقاط منفصلة ، وإنما ضرورة تقديم وجهة نظر للايمان المستقيم تحمل طبيعة هذا الايمان بطريقة شاملة وملتحمة ، من خلالها تجد أسئلة الغنوسيين الاجابة (٥) . فعالج هذا العمل الفكر المسيحى من جهة : الله والخليقة والخلاص

---

(1) Quasten : Patrology, vol 2, p. 48 .

(2) In Ezech. Hom. 3 : 3 .

(٣) توجد بعض فقرات باليونانية فى كتاب « الفيلوكاليا » وفى منشورين للامبراطور جوستينيان الأول .

(4) Drewery, p. 6 .

(5) H. Chadwick : Early Church, p. 104 .

والوحى الإلهى ... قدمه للدارسين وليس للثقافة الشعبية العامة . فجاء العمل كأول محاولة مسيحية فيها تحكم الفلسفة فى خطة الخلاص (١) .

٢- وجد مقاوموا أوريجانوس فى هذا العمل المادة الغزيرة لاتهامه بالهرطقة ، سواء فى حياته أو بعد رقاده حتى بقرون طويلة ، وهنا لا ننسى ما أعلنه القديس جيروم من أن أوريجانوس كتب إلى فابيانوس أسقف روما يوضح له أن بعض الأشياء الواردة فى عمله (غالبًا ما يقصد به هذا العمل) تخالف وجهة نظره ، وأن صديقه امبروسيوس قد تسرع فى نشرها بغير ارادته (٢) .

كتب هذا العمل فى الاسكندرية ما بين عام ٢٢٠م وعام ٢٣٠م ، فى أربع كتب حوت المواضيع التالية :

١- الله وعالم الأرواح .

٢- العالم والانسان ، وخلاص الانسان ومصيره .

٣- الحرية الانسانية ونصرة الخير النهائية .

٤- الكتاب المقدس وتفسيره .

تحدث فى الكتاب الأول عن الله وحدانيته وروحانيته ، كما أوضح خطأ مرقيون وغيره من الغنوسيين من جهة التمييز بين إله العهد القديم وإله العهد الجديد . تحدث أيضاً عن الثالوث القدوس وعلاقتهم بالخليقة . تحدث عن الآب أنه عامل فى كل الخليقة ، والكلمة « اللوغوس » المولود قبل كل الخليقة يعمل فى الخليقة العاقلة ، أما الروح القدس فيعمل فى الخليقة العاقلة المقدسة فقط . ثم تحدث عن الملائكة ، أصلهم وجوهرهم وسقوط الملائكة .

فى الكتاب الثانى عن العالم المادى وخلقة الانسان كنتيجة لسقوط الملائكة فإن الانسان هو روح ساقطة ليست جسداً مادياً . ثم تحدث عن تجسد اللوغوس لخلاص الانسان ، عقيدة القيامة والدينونة والحياة الأخرى .

---

(1) Farrar, vol 1, p. 347 .

(2) Jerome : Epist. 41 .

وفى الكتاب الثالث تحدث عن اتحاد الجسد بالنفس أنه يعطى فرصة للجهاد والنصرة . فى هذا الجهاد يسند الانسان الملائكة أو القوات الصالحة ، بينما تقاومه الشياطين ، وفى هذا يبقى الانسان فى حيرته . لقد ركز على « الحرية الانسانية » ورافعاً غنها بقوة ضد الغنوسيين الذين يحطمونها .

وفى الكتاب الرابع قدم التعاليم الأساسية مع بعض اضافات ، كما تحدث عن الكتاب المقدس كمصدر للايمان ، والوحى وتفاسيره الثلاثة (الحرفية والأخلاقية والروحية) .

ب- مناقشة مع هيراقليدس (١) Heraclides

وجد بين مجموعة من أوراق البردى التى اكتشفت فى طور بجوار القاهرة عام ١٩٤١م مخطوط يرجع لحوالى نهاية القرن السادس ، يحوى نص المناقشة التى دارت بين أوريجانوس والأسقف هيراقليدس . وهى تمثل سجلاً كاملاً لمناقشة واقعية حدثت فى كنيسة بالعربية فى حضور الأساقفة والشعب حوالى عام ٢٤٥م . ويبدو من المناقشة أن أوريجانوس كان يتكلم وهو فى سلطة المعلم .

فى الجزء الأول منها تدور المناقشة حول الآب والابن ، فيشير أوريجانوس إلى الكتاب المقدس ليظهر ماذا يعنى أن الاثنين هما واحد .

آدم وحواء هما اثنان لكنهما جسد واحد (تك ٢ : ٢٤) .

(الانسان البار) المرتبط بالرب يصير معه روحاً واحداً (كو ٦ : ١٧) .

أما ربنا ومخلصنا ففى علاقته بالآب ، إله المسكونة ، ليس معه جسداً واحداً ، ولا روحًا واحداً (بالمعنى الوارد فى كو ٦ : ١٧) ، « بل ما هو أعظم من الجسد والروح ، هما الله الواحد » .

وفى نهاية المناقشة يعالج موضوع خلود النفس ، حيث يسأله الأسقف فى هذا الشأن ، ويجيبه أوريجانوس بأن النفس هى خالدة من ناحية وقابلة للموت

---

(1) Quasten : Patrology, vol 2, p. 62 - 64 .

من ناحية أخرى ، إذ هناك ثلاثة أنواع من الموت : موت الخطية (رو ٦ : ٤) ، وموت عن الله (خر ١٨ : ٤) ، والموت الطبيعى . فالنفس لا تسقط تحت الموت الأخير ، الموت الطبيعى ، ولو أن الذين يعيشون فى الخطية يشتهونه ولا يجدونه (رؤ ٩ : ٦) . لكن النفس تخضع للموت الأول أو الثانى ، بهذا يمكننا أن نسميها قابلة للموت .

جـ- عن القيامة

يمكن اعتبار عمله « عن القيامة Peri Anastasius » مقدمة لعمله الضخم « عن المبادئ الأولى » (١) . أشار إليه فى هذا العمل طالباً الرجوع إليه حيث تحدث فى أمر القيامة بتوسع كبير (٢) . وأشار المؤرخ يوسابيوس إلى كتابين له فى هذا الموضوع (٣) ، كذلك جيروم ... وللأسف فقد هذا العمل ، ولم يبق منه إلا مقتطفات فى أعمال بامفيلوس Pamphilus (٤) وميثوديوس أسقف فيلبى (٥) ، وجيروم (٦) . ويروى لنا ميثوديوس أن جيروم غيّر رأيه الذى أورده فى كتاب « المبادئ » عن القيامة ، وذلك فى أواخر حياته رافضاً فكرة التعرف المادى للشخص المقام ببشريته وجسده وكل تفاصيله ...

د- المتفرقات Stromata, Miscellaneous

هذا العمل مفقود ، إلا شذرات قليلة منه اقتبسها جيروم باللاتينية (٧) . وقد أشار المؤرخ يوسابيوس (٨) إليه ، أنه يحوى عشر كتب سجلها فى الاسكندرية قبل رحيله منها .

---

(1) Edgar J. Goodsbeed : A History of Early Christian Literature, Chicago 1966, p.139 .

(2) De Principis 2 : 10 : 1 .

(3) Euseb. H. E. 6 ; 24 : 2.

(4) Apol. pro Orig. 7 .

(5) De Resurr .

(6) Contra Joh. Hier. 25 : 26 .

(7) Schaff : Hist. of Christian Church, vol 2, p. 796 .

(8) Euseb. H. E 6 : 24 : 3 .

يشير العنوان إلى موضوعات متنوعة لم تناقش بترتيب خاص .

رابعًا : أعماله الدفاعية *Apologetical Works*

أهم أعماله الدفاعية هو « ضد كلسس Contra Celsus » ، وهو مقال مكون من ثمان كتب في اجابة مطوّلة ضد كلسس - كتبه في أواخر حياته حوالي عام ٢٤٨م ، موجود بكامله . ويعتبر أحد أعماله القيمة جداً الخصبة . كما يعتبر مصدراً هاماً في تاريخ المسيحية في الكشف عن الصراع بين المسيحية والوثنية (١) .

كلسس هذا في نظر أوريجانوس كان أبيقورياً ، لكنه كانت له أفكار أفلاطونية ، وهو صديق الخطيب لوقيان Lucian (حوالي ١٢٠ - ٢٠٠م) . بجانب معرفته بفلسفات عصره كان كلسس في الواقع رجل دولة أكثر منه كاتب ، غيور على الامبراطورية الرومانية ومهتم بالحفاظ على شرائعها وتقاليدها .

إذ أراد الهجوم على المسيحية قرأ العهدين « القديم والجديد » ، كما قرأ كتابات اليهود ضدها ، وعرف كتابات الغنوسيين ، حتى ظن أنه عرف كل شئ عن المسيحية ، فكتب عمله « True Discourse » حوالي عام ١٧٨م ، مستخدماً كل وسيلة تعلمها للهجوم على المسيحية . هذا العمل مفقود ، لكن مقال أوريجانوس حفظ الكثير من نصوص الهجوم .

ا - في هجومة بدأ بتقديم يهودي ، هاجم شخص يسوع المسيح ، متهمًا القديسة مريم بالزنا ، كما استخدم انكار بطرس وخيانة يهوذا وموت يسوع كمتناقضات للاهوته ، فقد رفض التجسد والصلب ، كما جعل من القيامة خدعة .

ب- هاجم اليهودية والمسيحية معًا ، فسخر بفكرة المسيّا ، كما أتهم السيد المسيح أنه تعلم السحر في مصر .

(1) Quasten : Patrology, vol 2, p. 56 .

جـ- هاجم فكرة « ما فوق الطبيعة » التى تقوم عليها المسيحية واليهودية معاً ، ويرى أن الصراع بين المسيحية واليهودية نوعاً من الغباء .

د- هاجم فكرة « الوحى الالهى » وأنكر العقاب الأبدى متهماً المسيحيين أنهم ورثوا الجهل والقسوة عن آبائهم اليهود ، ودعاهم غير متعلمين وعبيد ونساء وأطفال وسخفاء .

هـ- فى رأيه أن الله لا يهتم بالانسان أكثر من اهتمامه بالقرود والحشرات ... وفى مجمله لم يحمل مشاعر دينية قوية .

و- مدح التعاليم المسيحية السلوكية وتعاليم اللوغوس ، وفى رأيه أن يترك المسيحيون يعيشون بشرط أن يتخلوا عن عزلتهم السياسية والدينية ويخضعوا لتقاليد الدولة الدينية . فقد كان متخوفاً من عزلتهم أن تسبب شقاقاً فى الدولة وانهيار للامبراطورية الرومانية . لهذا دعاهم لمساندة الملك والعمل معه فى تحقيق العدل ، والمحاربة من أجله ، وأن استدعى الأمر أن يكونوا فى الحرب تحت قيادته أو من ينيبه عنه ، وذلك لتدعيم شرائع الدولة ودينها (١) .

لم يقرأ أوريجانوس هذا العمل ، الذى كان أثره على مصر وفلسطين لا يذكر (٢) . ولولا أن امبروسيوس صديقه قرأ الكتاب وشعر بخطورته فأرسل إليه يطلب أن يفنده لما علمنا شيئاً عنه .

فى البداية كان رأيه أنه لا حاجة لتفنيده وأن حياة السيد المسيح وسلطانه يعرفها الجميع ، وهو خير شاهد ضد ما كتبه كلسس ، وأن هذا العمل لن يهز ايمان أى مسيحى (٣) . لكنه عاد واستجاب لطلب صديقه فكتب الرد بنظرة روحية ثاقبة ومهارة عظيمة وفكر ناضج يحمل قوة (٤) . وجاء رده يحوى اقتباسات كثيرة من الكتّاب الوثنيين ، ولعله بهذا أثبت أنه كان من حيث علمه منافساً كبيراً لخصمه الوثنى كلسس .

---

(1) Contra Cels. 8 : 73 - 75 .

(2) Lebreton, vol 4, p. 821 .

(3) Contra Cels. Pref 3 .

(4) Fairweather, p. 110 - 111 .

وجّه أوريجانوس مقاله لا للمؤمنين تمامًا ، بل للذين ليس لهم معرفة بالايمان المسيحى أو الذين قال عنهم الرسول بولس (رو ١٤ : ١) أنهم ضعفاء فى الايمان (١) .

فى هذا العمل أوضح الآتى :

ا – لو قرأ كلسس النبوات ودرس الكتاب المقدس بعهديه كما يجب لما قال أنه يعرف « كل شئ » ... « نحن الذين درسنا هذه الأمور دراسة عن قرب لا نستطيع أن نجرأ ونقول أننا نعرف كل شئ لأننا نحب الحق » (٢) .

ب – أجاب على اعتراض كلسس بأن المسيحية ايمان البسطاء ، بأن هذا الايمان البسيط يحمل نوعًا من المعرفة أكده كلمة الله ، وحمل ثماراً حية فى حياة المسيحيين أنفسهم الذين تركوا رذائلهم القديمة . هذا وأن المسيحية تقدم بساطة الايمان للبسطاء ، كما تقدم سمو المعرفة العالية للكاملين ، الله فى محبته للبشر قدم لبناً للأطفال وطعامًا قوياً للبالغين . لقد أراد أن يرفع بالضعفاء إلى « معرفة الله فى حكمة الله » .

جـ – انتقد أوريجانوس كلسس لأنه عبر على النبوات الخاصة بالسيد المسيح دون مناقشتها كما ينبغى ، فقد شهد الأنبياء قبل مجيئه عن ميلاده فى بيت لحم وآلامه ومجيئه الأول والأخير وقيامه والتحول الذى يصنعه ...

د – أكد صدق الأناجيل بما تحمله الرسل من أجل الكرازة به ، كما تحدث الانجيليون عن ضعفاتهم الخاصة وعن تركهم للسيد أثناء الصلب وانكار بطرس ... فلو أن الأناجيل من عملهم الذاتى لما ذكروا شيئاً من هذا .

أكد أوريجانوس كيف أن وعود السيد المسيح قد تحققت ، فالعالم قبل رسالته والانجيل انتشر فى كل المسكونة ، ومن أجله احتمل الكثيرين الاستشهاد .

هـ – أما عن قيامة السيد المسيح فقد أوضح أوريجين أنه صلب علانية ،

---

(1) Contra Celsus Pref 6 .

(2) Ibid 1 : 12 .

ومات أمام الكثيرين ، فإذا ظهر بعد ذلك كانت قيامته حقيقة لا شك فيها . وقد شهد الرسل عنها حتى الموت . ، لو أنهم اخترعوا رواية القيامة ، كيف كانوا يبشرون بها بعد ذلك بقوة حتى أنهم ليس فقط قادوا الآخرين إلى احتقار الموت بل هم أولاً احتقروه ، (١) .

قد يعترض : لماذا لم يظهر بعد قيامته للجميع ؟ أجابه ليس الكل كان مستحقاً لرؤيته ولا كان قادراً على التفرس فيه (٢) ، فليشرح لنا ظهوره لتوما وللتلميذين الذين كانا فى طريقهما لعمواس ... الخ .

تأكدت القيامة أيضاً بالنبوات وبالمعجزات ، وفوق الكل بثمار الخلاص التى قدمتها للجنس البشرى .

و- تحدث عن التحول الذى حدث فى العالم ، وكيف قدمت المسيحية حياة فضلى فعالة فى حياة الناس . يحوّل السيد الخطاة إلى قديسين ... ويغيّر النفس البشرية ويجدد طبيعتها .

ز- أكد أوريجانوس طاعة المسيحيين للحكام ، لكنها ليست طاعة مطلقة ، إنما فى الرب ... فلا يقبلون العبادات الوثنية .

خامساً : كتاباته العملية Practical Writings

ا - عن الصلاة De Oratione

مقال وجهه إلى صديقه امبروسيوس وسيدة غير معروفة تسمى Tatiana ربما أخت امبروسيوس أو زوجته . كتبه ما بين عامى ٢٣٣ و٢٣٤م ، عالج فيه موضوع الصلاة وتحدث عن وسائل الصلاة الحقيقية معطياً توجيهات عملية .

ينقسم هذا المقال إلى جزئين ، الجزء الأول يعالج موضوع الصلاة بصفة عامة (ف ٣ - ١٧) ، والثانى يعالج الصلاة الربانية بوجه خاص (ف ١٨ - ٣٠) . وفى النهاية يطلب من امبروسيوس وتاتيانا أن يكتفيا حالياً بما كتبه فى

---

(1) Ibid 2 : 61 : 1 : 31 .

(2) Ibid 2 : 61, 62, 67 .

هذا الشأن ، واعداً اياهما أن يكتب فى هذا الأمر بطريقة أفضل وأجمل ... لكن يبدو أنه لم يقدر أن يفى بوعده .

هذا العمل أوضح بأكثر جلاء عن بقية كتاباته عمق حياة أوريجانوس وغيرته الروحية .

وأرجو أن أتحدث عن أفكاره بخصوص الصلاة فيما بعد إن شاء الرب .

ب- حثه على الاستشهاد Exhortatio ad Martyrium

كتب هذا المقال فى قيصرية فلسطين عام ٢٣٥م فى بدء اضطهاد مكسيميانوس ، وجهه إلى امبروسيوس صديقه وبروتوكتيوس كاهن فى ايبارشية قيصرية (١) ، اللذين ألقيا فى السجن . فى هذا المقال كشف عن أعذب ما تشتهيه نفسه كل أيام حياته إلا وهو « الاستشهاد » .

يعتبر عمله هذا أكثر حكمة واعتدالاً من مقالى ترتليان والشهيد كبريانوس عن الاستشهاد ، كما قدم براهين لمواجهة الاضطهاد ، على أسس حقيقية عميقة (٢) . أما نظرته للاستشهاد فنعود إليها فيما بعد إن شاء الرب .

جـ- عن القيامة Peri Pascha

حفظ المخطوط الذى وجد بطور عام ١٩٤١ مقتطفات عن مقال لأوريجين عن القيامة .

د- رسائله

اقتبس جيروم أربعة مجموعات مختلفة من رسائل العلامة أوريجانوس . أحدها حوت تسع مجلدات ، لابد أنها هى التى نشرها المؤرخ يوسابيوس (٣) ، والتى شملت أكثر من مئة رسالة .

---

(1) Euseb 6 : 28 .

(2) Farrar, vol 1, p. 438 .

(3) Euseb. H. E. 6 : 36 : 3 .

لا يوجد من رسائله سوى رسالتين كاملتين :

١- الأولى وردت فى كتاب الفيلوكاليا فصل ١٣ ، وهى رسالة موجهة إلى تلميذه السابق القديس غريغوريوس الصانع العجائب ، كتبت ما بين عام ٢٣٨ ، وعام ٢٤٣م بينما كان أوريجانوس فى نيقوميديا .

فى هذه الرسالة يطلب من تلميذه أن يقتطف من الفلسفات اليونانية ما يمكن أن تنتفع به المسيحية ، كما انتفع اليهود بالأوانى الذهبية والفضية التى أخذوها من المصريين فى خدمة الله الحقيقى . كما طالبه بالاهتمام الشديد بدراسة الكتاب المقدس ، وأن يقرع البابا ويسأل خلال الصلاة لكى يتفهم الأسرار الالهية .

٢- الرسالة الثانية وجهها إلى يوليوس أفريقيانوس التى سبق الاشارة إليها كتبها حوالى عام ٢٤٠م من منزل صديقه امبروسيوس بنيقوميديا .

٣- كثير من رسائله المفقودة نسمع عنها فى يوسابيوس ، الكتاب السادس ، ، منها رسالة إلى الامبراطور فيلبس العربى ، وأخرى إلى زوجته سيفيرا ، ورسائل إلى الأسقف فابيانوس .



الكتاب المقدس

كانت فكرة أوريجانوس الرئيسية فى الكتاب المقدس أن اللوغوس حاضر تحت عارض الكتاب المقدس كطعام مشبع للنفس . رآه سرّ الاتحاد السرى مع السيد المسيح ، ينبوع حياته الروحية الشخصية والأداة التى يجاهد بها لبلوغ الكمال ، لهذا كرّس حياته كلها للكتاب ، وللكتاب وحده . حتى يمكننا القول بأنه ليست حياة كرّست بالكامل للكتاب المقدس مثل حياته (١) . وكما يخبرنا المؤرخ الكنسى يوسابيوس أنه كان يقضى الليل معظمه فى دراسة الكتاب (٢) ، بينما يقضى نهاره يشرح ويفسر كلمة الله ... أما صلواته فكان غايتها أن يفتح الله ذهنه ليتعرف أسرار الكتاب الخفية .

هذا ما دفعه إلى دراسة اللغة العبرية ليهيئ نفسه لدراسة النص العبرى للكتاب (٣) ، كما قضى سنوات طويلة فى تجميع النصوص الموجودة فى عصره الخاصة بالعهد القديم مكوناً كتاب « السداسيات Hexapla » للوصول إلى أدق معنى .

وصف القديس غريغوريوس الصانع العجائب امكانياته فى تفسير كلمة الله هكذا : « الروح القدس الذى يوحى للأنبياء ... كرمه كصديق ، وعيّنه كمفسر خاص به .... » ، « له القدرة أن يصغى لله ويفهم أقواله ويشرحها للبشر لكى يفهموها هم أيضاً » (٤) .

خطورة التفسير الحرفى

أوضح أوريجانوس ضرورة الاهتمام بالتعرف على الطريق السليم فى تفسير الكتاب المقدس ، قائلاً : « يليق بنا أن نهتم بالتأكيد من صحة الطريق

(1) Daniélou : Origen, p. 131 .

(2) Eus. H. E. 6 : 3 : 9 .

(3) Jerome. De Vir. Illustr. 54 .

(4) Greg. Thaum. O. P. 15. PG 10 : 1093 c, 1098 a .

فى قراءته وفهمه ، فقد حدثت أخطاء كثيرة إذ فشل كثيرون فى وجود الطريق الصحيح فى تعاملهم مع الأسفار المقدسة » (١) .

عاد فناقش مشكلتين بخصوص العهد القديم واجهتا الكنيسة الأولى :

١- أول المخطئين فى تفسير العهد القديم هم اليهود الذين تمسكوا بحرفية النبوات . « إنهم لم يروا شيئاً من النبوات قد تحقق بطريقة واضحة (حرفية) خلال مجئ ذاك الذى نؤمن به أنه المسيح ، لهذا لم يعرفوه أنه الرب » (٢) . فى رأيهم أن يسوع ليس هو المسيا لأنه لم يحرر المأسورين بطريقة حرفية (أش ٦١ : ١) ، ولا أعاد بناء مدينة الله (زك ٩ : ١٠) ، ولم يجعل الذئب يرعى مع الغنم (أش ٦٥ : ٢٥) ، ولا الثور مع الأسد (أش ١١ : ٧) ، ولا أقام مملكة أرضية ليحكم العالم كله !

٢- الفئة الثانية هى جماعة الغنوسيين . وكلمة غنوسى عند أوريجانوس إنما يعنى بها « هرطوقى » ، هؤلاء تعثروا فى العهد القديم لأنهم فسروا النصوص حرفياً لا روحياً (٣) ، خاصة التى تصف الله أنه غضب أو ندم ... كما حسبوه « الخالق » غير صالح ، من هؤلاء الغنوسيين مرقيون الذى قال عنه أوريجانوس : « مرقيون غير مستعد أن يسمح بأى تفسير رمزى على الاطلاق » (٤) .

يرى أوريجانوس أن هاتين المجموعتين قد بالغتا فى التفسير الحرفى فتعثرتا فى الله وفى كتابه . كما يوجد جماعة أخرى هى البسطاء من المسيحيين الذين وقفوا عند حدود الحرف ، فحرموا أنفسهم من التمتع بادراك أسرار كلمة الله العميقة . لهذا وضع أوريجانوس نظريته قائلاً بوجود ثلاث معان مختلفة فى الأسفار المقدسة : المعنى الحرفى والمعنى الأخلاقى والمعنى الروحى أو الرمزى .

---

(1) De Principiis 4 : 2 : 1 . (2) Ibid .

(3) Ibid .

(4) Comm. on Rom. 2 : 13 .

نظريته فى التفسير

تطبع كلمات الكتاب المقدس فى النفس بأحد طرق ثلاث (١) :

١ – التفسير الحرفى أو المعنى السطحى الواضح ، يأخذ به غير المثقفين . هؤلاء يظنون أنهم يفهمون الكتاب المقدس وإن كانوا فى الحقيقة لا يتمتعون بمعناه العميق غير المحدود ، مكتفين بما هو على السطح .

لقد رأى أنه ليس كل العبارات تحمل المعنى الحرفى كما جاء فى سفر النشيد عن « الثعالب الصغيرة » ...

ويرى أحياناً أن التفسير الحرفى ضرورى ليقدمنا للتفسير الرمزى (٢) دون أن نتوقف عنده . على أنه فى مرات كثيرة حذر من التفسير الحرفى والتوقف عنده كقاتل للنفس : « الحرف يقتل » .

٢ – التفسير الأخلاقى أو السلوكى ، يهذب أناساً فى درجة أعلى من السابقين . يرى فى الكتاب تعاليم أخلاقية وسلوكية .

٣ – التفسير الروحى ، يتهذب به الكاملون ، وهو يحوى ظلال البركات العتيدة .

اعتمد فى نظريته على أن الانسان يتكون من جسد ونفس وروح ، هكذا أعدّ الله الكتاب المقدس بنفس الطريقة لأجل خلاص الانسان . المعنى الحرفى هو الجسد ، والأخلاقى هو النفس ، والروحى هو الروح .

سند نظريته هذه بالرجوع إلى سفر الأمثال ٢٢ : ٢٠ الخ ... حيث جاء فى الترجمة السبعينية : « ألم أكتب إليكم بطرق ثلاث ؟! » (٣) .

وجد أيضاً فى فلك نوح مادة لتحقيق نظريته ، إذ يتكون من ثلاث طوابق :

---

(1) De Principiis 4 : 2 : 4 .

(2) Prat. Origene : Le Theologien et L'exégete Intr. p. XVI .

(3) Hom. Levit. 10 : 2, Hom. Num. 9 : 7, Hom. Jos. 21 : 2 .

الطابق الأسفل يشير إلى المعنى الحرفى ، الذى فيه حفظت الحيوانات ، والطابق الأعلى يشير إلى المعنى الروحى أو السرى mystical ، الذى ضم نوح رجل الله وعائلته ، أما الطابق المتوسط فيشير إلى المعنى الأخلاقى (١) . يليق بالمؤمن أن يرتفع من الطابق الأسفل إلى الطابق العلوى ، أى ينتقل من التفسير الحرفى إلى الروحى ، ومن العالم المحسوس إلى غير المحسوس ، من ابن الانسان إلى ابن الله (٢) .

ويرى أيضاً فى قضيب اللوز ما يؤكد نظريته ، فاللوزة تتكون من :

١- الغلاف الخارجى ، وهو غلاف مرّ يسقط عند نضوج اللوزة ، وذلك كالتفسير الحرفى أو الظاهرى ، هو مرّ وقاتل ، عاق اليهود والغنوسيين عن بلوغ المعرفة الحقيقية .

٢- الغلاف الداخلى ، هو سميك ، نقوم بكسره لكى نأكل ما بداخله ، وهو التفسير السلوكى أو الأخلاقى ، خلال هذا التفسير يدخل المؤمن إلى حالة كسرٍ أو إماتة وذلك بالأصوام والنسكيات والميتات الكثيرة .

٣- الثمرة الداخلية ، حلوة ومشبعة ، تشير إلى التفسير الروحى ، الغذاء الذى يعيش عليه المؤمن لا فى الحياة الحاضرة فحسب بل وفى الدهر الآتى .

هكذا يليق بالخادم أن يكون كهرون الذى أفرخت عصاه قضيب لوز . فالخادم كالعصا الجافة التى لا تحمل حياة فى ذاتها ، لكنه يثمر كلمة الله التى قضيب اللوز ، مقدماً التفسير الروحى طعاماً للمخدومين .

كذلك يرى فى الآبار الثلاثة التى حفرها اسحق اشارة إلى التفاسير الثلاثة، فإن البئرين الأولين كانا مرّين ، أما الثالثة وتسمى « رحبات » فتخرج ماء حلواً ، اشارة إلى التفسير الروحى .

مرة أخرى يتحدث موسى النبى عن كلمة الله بكونها « فرائض وأحكام

---

(1) Hom. Gen. 2 : 6 .

(2) H. Chadwick : Early Church, p. 108 .

وشهادات ، أى حرف وسلوك وروح !

ومع شرحه لنظريته هذه فى أكثر من موضع لكنه كان دائم المقارنة بين التفسير الحرفى والتفسير الرمزى أو الروحى متجاهلاً التفسير الأخلاقى . وفى رأيه ، أن كل الكتاب المقدس له المعنى الروحى ، لكن ليس كله له المعنى الحرفى ، (١) ، وأن بعض العبارات تفسر فقط بطريقة روحية وأخلاقية وليست حرفية ، فقد رأى فى التلميذين اللذين أحضرا للسيد الأتان لدخوله أورشليم إنما يشيران إلى التفسيرين الروحى والأخلاقى (٢) ، اللذين يدخلا بالسيد المسيح إلى القلب . واعتقد أن نظريته هذه قد أشير إليها بالستة أجران التى يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة (يو ٢ : ٦) ، إذ بعضها يمكن أن تفسر بالروحى والأخلاقى (مطرين) ، والبعض تفسر بالتفاسير الروحية والأخلاقية والحرفية (ثلاثة أمطار) .

أخيراً يعلق على حديث السيد المسيح بخصوص الهيكل القديم أنه ، لا يترك حجر على حجر لا ينقض ، ٢٤ : ٢ ، إنما يشير إلى هدم التفسير الحرفى لكلمة الله ليقوم الهيكل الروحى الجديد (٣) !

التفسير الروحى

فهم الكتاب المقدس – عند أوريجين – هو ، فن الفنون ، ، ، علم العلوم ، (٤) . كلمات الكتاب المقدس هى جسده ، أو العنصر المنظور الذى يخفى روحه ، العنصر غير المنظور . هذا الروح إنما هو الكنز المخفى فى الحقل ، مخفى وراء كل كلمة (٥) ، وراء كل حرف ، بل ووراء كل ، يونا ، مستخدمة فى الكتاب المقدس (٦) ... أنه يقول ، كل ما فى الكتاب هو سر ، (٧) .

فى حديث له عن أسرار الكتاب الخفية يقول : ، إذ أحاول تفسير الكتاب

---

(1) Peri Archon 4 : 3 : 5 .
(2) In Joan Comm 10 : 28 .
(3) R. P. C. Hanson : Allegory and Event, 1959, p. 133 .
(4) Comm. Joan 13 : 46
(5) Hom Levit 4 : 8 .
(6) In Jerm. Hom. 39
(7) In Gen. Hom 10 : 1 .

أدرك أن الأسرار بعيدة جداً عن امكانياتى . لكن حتى وإن كنا لا نستطيع أن نشرحها كلها ، إلا أننا نعلم أنها مملوءة سراً ، كلها هكذا ، (١) .

التفسير الرمزى كعطية الهية

يرى أوريجانوس أن التفسير الروحى إنما هو عطية من قبل الله ... فى هذا يقول : « كثيرون يطلبون أن يفسروا الكتب الإلهية ... لكن ليس الكل ينجحون . يندر أن يوجد من له هذه النعمة من قبل الله » (٢) .

« ليس شئ صالح يصدر عن آخر غير الله ، خاصة فهم الكتب المقدسة » (٣) .

« الله يرشد الذين يسمعونه خلال الكتاب المقدس كله وخلال الذين يعلمون، وذلك بواسطة تعمقه » (٤) .

« بالرغم من أن كل الشريعة روحية إلا أن المعنى الروحى لا يعرفه الكل بل الذين أعطى لهم نعمة الروح القدس فى كلمة الحق والمعرفة » (٥) .

« إن كنت محتاجًا إلى عون الله على الدوام ... فإننا نحتاج دائمًا إلى الروح القدس لكى نفهم الكتب المقدسة . الآن هو وقت أن يعيننى ويظهر لى معانى كلماته » (٦) .

لهذا كانت وسيلة أوريجانوس من أجل ادراك الفهم الروحى لكلمات الله صلاته المستمرة وصلاة الغير عنه ، كما يرى تقديس الانسان وحياة الشركة مع الله فى المسيح يسوع بالروح القدس هو أيضاً طريق التمتع بأسرار الكتاب فى هذا يقول :

« إن كنا فى بعض الأوقات لا نفهم ما يقال فإنه يليق بنا أن ننتظر نعمة

(1) In Levit. Hom 4 : 8 .

(2) Note on ps. 199 : 85 .

(3) Sel Ps. 1 : 2 .

(4) Cels. 6 : 57

(5) Principiis : Praef. 8 .

(6) In Ezek. Hom. 11 : 2 .

الله التى تقدم لنا الاجابة على سؤالنا إما باستنارة مباشرة أو خلال وساطة آخرين » (١) .

« لنطلب من الله أن يهبنا كما أن « الكلمة » ينمو فينا نتقبل أيضاً غنى اتساع الذهن فى المسيح يسوع فنكون قادرين على سماع الكلمات المقدسة »(٢) .

وفى رسالة له إلى تلميذه غريغوريوس يقول : « جاهد فى قراءة الكتب الالهية . نعم كن مثابراً ... اقرع فسيفتح لك الباب ... ولا تتوقف عن القرع والسؤال ، فإن الصلاة هى أهم عون لازم لمعرفة الحق الروحى . لهذا قال الرب : « اقرعوا يفتح لكم ، أطلبوا تجدوا ، كما قال : « اسألوا تعطوا ... » .

« ليس الأمر سهلاً على أحد أن يكتشف رموز هذه القصّة (أبيمالك وساره) ... يليق بنا أن نصلى لكى يرفع البرقع عن قلوبنا ، إذ نجاهد متجهين نحو الرب لكى يرفعه . الرب هو الروح . لنصل إلى الرب ليرفع برقع الحرف نفسه فيضئ بهاء الروح » (٣) .

« من يقدر أن يعرف أفكار الانسان إلا روح الانسان الذى فى داخله ؟! هكذا لا يقدر أحد أن يعرف أفكار الله إلا روح الله (١كو ٢ : ١١) . بنفس الطريقة لا يعرف أحد ما قاله المسيح فى الأمثال إلا روح المسيح ... لا يستطيع أحد أن يتأمل الحقائق المخفية فى هذه العبارة إن لم يشترك فى حياة الروح » (٤) .

« يلزمنا أن نذهب إلى القول بأن الأناجيل هى بكور الكتاب ككل ، وانجيل يوحنا هو بكور الأناجيل . لا يقدر أحد أن يفهم هذا الانجيل ما لم يتكئ على صدر يسوع (يو ١٣ : ٢٣) ويأخذ مريم أماً له (يو ١٩ : ٢٧) » (٥) .

لا يقف أوريجانوس عند ادراك المفهوم الروحى للكلمة لكن يهتم أيضاً بفاعليتها فى حياة المؤمنين ... فإن هذا أيضاً لا نقدر عليه بذواتنا إنما بعمل

---

(1) In Isa. 2 : 1 .
(2) In Jerm. Hom. 6 : 3 .
(3) In Gen. Hom. 6 : 1 .
(4) Comm. Mat. 14 : 6 .
(5) Comm Jaan 1 : 4 .

الله فينا ، إذ يقول (١) : « يقول الكتاب المقدس أن الكلمة المنطوق بها وإن كانت تحمل الحق كله ومقنعة فى ذاتها ، لكنها لا تكفى إن لم تصل إلى النفس البشرية ، أى ما لم يوهب المتكلم قوة من الله وتثمر نعمه فيما يقال ، ويهبها الله وحده هذه القوة لتكون فعالة فى الكارزين » .

« لنجاهد أن نتجنب أن نكون غير مؤهلين لنوال الفهم العظيم السامى ، بل بالحرى أن تكون نفوسنا أولاً « موضعاً مقدساً » فيه نتقبل الأسرار المقدسة بواسطة الروح القدس ، الذى به يتقبل كل ما هو مقدس قدسيته » (٢) .

« الأعمال اللائقة بالكاهن لها جانبان : أن يتعلم عن الله بواسطة قراءة الكتاب المقدس والتأمل الدائم فيه ، وأن يعلم الشعب . ليته يعلم ما يتعلمه من الله لا ما ينبع عن قلبه الذاتى (خر ١٣ : ٢) أو ما يأتيه عن فهم بشرى ، بل الأمور التى يعلم بها الروح ... وهكذا إذ يتأمل (قصص العهد القديم) ويتذكرها ليل نهار ، ويستمر على الصلاة الدائمة ، سائلاً الله أن يتفضل ويعلن لنا المعرفة الحقيقية لما نقرأ ، وأن يظهر لنا كيف نحفظ الناموس الروحى فى الفهم والعمل . هكذا نتأهل لنوال النعمة الروحية ، مستنيرين بناموس الروح القدس » (٣) .

من الناموس إلى الانجيل

يرى العلامة أوريجانوس أن الناموس هو ظل الانجيل كما أن الانجيل هو ظل الملكوت العتيد (٤) . بمعنى آخر إننا ندخل إلى الانجيل خلال الفهم الروحى للناموس ، فتتحول مرارته إلى عذوبة الانجيل خلال الصليب ، وذلك على مثال موسى النبى الذى ألقى بالخشبة فى المياه المرة فصارت حلوة .

فى هذا يقول « ألقى الرب ... شجرة فى المياه ، فصارت حلوة . عندما جاءت شجرة يسوع ووجدت تعاليم مخلصى لها مسكناً فىَّ تحولت شريعة

---

(1) Celsus 6 : 2 .
(2) In Levit. Hom. 13 : 6 .
(3) Ibid 6 : 6 .
(4) In Joan. 1 : 7 : 39 .

موسى إلى عذوبة ، صار طعمها لمن يقرأها ويفهمها بحق عذباً » (١) .

وفى احدى تعليقاته على سفر نشيد الأناشيد ، يشرح العلامة العلاقة بين الناموس والانجيل قائلاً :

« عندما جاء المسيح ، بقى أولاً إلى حين على الجانب الآخر من الحائط . الحائط هو العهد القديم الذى جلس السيد خلفه حتى يعلن ذاته لشعبه . أخيراً جاء الوقت وبدأ يعلن عن نفسه خلال النوافذ والشبابيك ، أما النوافذ فهى الناموس والأنبياء والنبوات السابقة . بدأ يصير منظوراً من خلالها . معلناً نفسه للكنيسة التى كانت جالسة فى الداخل ، مستغرقة فى حرفية الناموس . لقد سألها أن تخرج وتتحد به . فإنها إن لم تخرج ، أى إن لم تترك الحرف إلى الروح لا تقدر على الاتحاد بالمسيح ولا أن تكون واحداً مع عريسها . لهذا دعاها وسألها أن تترك المنظورات لأجل الأمور التى لا ترى . هذا هو السبب الذى لأجله سألها أن تترك الناموس من أجل الانجيل » (٢) .

يقول أيضاً : « فى ناموس موسى كان النور مخفيًا ومغطى بحجاب . وعندما جاء يسوع أضاء النور ، لأن الحجاب قد نزع والبركات التى كانت خلال الظلال فى الحرف قد أعلنت فجأة » (٣) .

كما يقول : « كل ما كتب فى الناموس يشير إلى المسيح بالأمثال أو خلال الصورة » (٤) .

وفى عظاته على سفر الخروج يقول : « لقد علم الرسول بولس معلم الأمم فى الايمان والحق (١تى ٢ : ٧) الكنيسة التى جمعها من الأمم كيفية استخدام الناموس المسلم لها من الآخرين ... فإننا لم نصير رسلاً لأننا نقرأ كتاب اليهود ذاته ونستخدم ذات الآلة التى يستخدمونها ، إنما يريد (الرسول) أن يختلف رسل المسيح عن رسل المجمع فى فهم الناموس روحيًا ، هذا الذى لما أساء اليهود فهمه رفضوا المسيح . إن فهمنا الناموس روحيًا نثبت بذلك أنه قد

(1) In Jerm. Hom. 10 : 2 .
(2) Comm. Cant. 3 .
(3) De Principiis 4 : 6 .
(4) Comm. Joan. 13 : 26 .

أعطى لنا لبناء الكنيسة » (١) .

مرة أخرى يرى فى ابنة فرعون التى انتشلت الطفل موسى ، إنما يرمز لكنيسة الأمم التى كان أبوها ظالماً ووثنيًا ، جاءت لتغتسل فى نهر المعمودية من خطاياها . « بحضورها إلى مياه المعمودية تأخذ الكنيسة الناموس (موسى) الذى كان مخبئاً فى سفط من البردى ومطلى بالحمرة والقار ... كان الناموس نائماً فى مثل هذا المكان المطلى بالحمرة والقار ، أسير حواس اليهود الملوثة (والجسدية) حتى جاءت كنيسة الأمم لتجتذبه من وسط الحمرة وتسكنه فى بلاط قصر الحكمة الملوكى . هكذا عبر الناموس من خاصته ، لأنهم لا يعرفون كيف يسمعونه روحياً وهو صغير . انه طفل ويسقى لبن الأطفال . لكن إذ يؤتى به إلى الكنيسة ويدخل البيت يكبر موسى ويتقوى فلا نلبسه ثوب الضعة والحقارة بل كل ما هو عظيم وسام وجميل ! ما هذه العظمة إلا السمو فى الروحيات ، الذى يعطى نمواً سامياً » (٢) .

ويعلق على تحويل مياه « مارة » المرة إلى حلوة على يدى موسى النبى بالشجرة التى كشفها الله له ، قائلاً : « أعتقد أن حرفية الناموس مرة وهى تدعى مارة ... كأس الناموس مرٌ ... لكن إن كنا نرمى فى الناموس شجرة حكمة المسيح الذى يكشف لنا كيف يجب أن نفهم الختان والسبوت وكيف نحفظ شريعة البرص ونميز بين الدنس والطهارة ، حينئذ تصير مياه مارة عذبة ، وتتحول حرفية الناموس إلى عذوبة المعنى الروحى . حينئذ يستطيع شعب الله أن يشرب » .

إن كان أحد يريد أن يشرب من حرفية الناموس ، بعيداً عن شجرة الحياة، أى بعيداً عن أسرار الصليب ، بعيداً عن الايمان بالمسيح والادراك الروحى ، فإنه يفنى من هوْل المرارة . لقد أدرك بولس هذه الحقيقة فقال: « الحرف يقتل » بمعنى أن مياه مارة تقتل إن شربت كما هى قبل أن تصير عذبة » (٣) .

---

(1) In Fxod. Hom 5 : 1 .

(2) Ibid 2 : 4 .

(3) Ibid 7 : 1 .

« إذ يحررنا الانجيل أى العهد الجديد من يدُ الحرف القاتل ويهبنا استنارة معرفة نوع الروح الجديد ، ذاك النور الذى لم تمسه الأجيال ، النور الذى وإن كان يليق بالعهد الجديد لكنه يشرق على الكتاب المقدس بكليته » (١) .

ويعلق على يدى موسى الممتدة على العينين المغلقتين (تك ٤٦ : ٤) قائلاً : « يوسف الحقيقى – ربنا ومخلصنا – ما أن وضع يده الجسدية على عينى الأعمى حتى عاد إليهما البصر المفقود (متى ٢٠ : ٣٤) ، هكذا أيضاً يديه الروحيتين على عينى الناموس – العينان المظلمتان بسبب التفسير الحرفى الذى استخدمه الكتبة والفريسيون – يعود إليهما بصيرتهما . هكذا يمنح الرب النظرة الروحية والفهم للناموس للذين يفتح لهم الكتب المقدسة » (٢) .

« لقد قصد بالأمور التى كتبت فى الناموس والأنبياء أن تكون رموزاً وأشكالاً للأمور العتيدة ، أما الآن فقد جاء الفنان نفسه ، خالق هذه الأمور جميعها ، فوضع الناموس جانباً بكونه مجرد حاو لظل الأشياء الصالحة العتيدة (عب ١٠ : ١) إذ جاء الفنان بالأشياء عينها » (٣) .

« المصابيح نافعة مادام الناس فى الظلام ، لكنها تصير بلا نفع متى أشرقت الشمس . مجد وجه موسى مفيد لنا ، ويبدو لى أنه هو ذات المجد الذى لوجوه الأنبياء . جميل أن نتطلع إلى هذه التى تعيننا على التطلع إلى المسيح الممجد . كنا فى حاجة أن نرى مجدهم قبل أن تكون لنا امكانية رؤية مجده . لكن مجدهم هذا صار شاحباً أمام مجد المسيح الأعظم .

هكذا بنفس الطريقة كانت هناك معرفة جزئية فى البداية ، لكن حصلت المعرفة الكاملة ...

فى الأمور الروحية كل من بلغ مرحلة الطفولة وصار على الطريق نحو الكمال يحتاج إلى معلم وحراس وأوصياء عليه يتعهدونه حتى يأتى الزمان

---

(1) Comm. Joan 1 : 6 .

(2) In Gen. Hom 15 : 7 (on Gen. 46 : 4) .

(3) In Levit. Hom. 10 : 1 .

المعين (غلا ٤) . بالرغم من أنه في هذه المرحلة لا تكون له بعد الحرية أكثر من العبيد لكنه في النهاية يملك كل الميراث . لا يعود يصير تحت وصاية معلم وحراس وأوصياء ، بل يكون قادراً على التمتع بممتلكات أبيه . هذه الممتلكات أشبه باللؤلؤة الكثيرة الثمن (مت ١٣ : ٤٦) التي هي كمال المعرفة . فإذ يحصل الانسان على المعرفة الكاملة التي هي معرفة المسيح - يزيل معرفته الجزئية ، (١) .

يرى أوريجانوس في موت موسى النبي وقيام يشوع بن نون رمزاً لنهاية الناموس كي يملك يسوع . فقد انتهت الذبائح الدموية لكي تظهر ذبيحة المسيح غير الدموية ، وذهب دم الحيوانات التي تلطخ المذبح لكي يحل دم المسيح الثمين .... ، تستطيع أن ترى هذا كله ، فترى موسى عبد الله ميتًا ، ويسوع ابن الله يحمل القوة ، (٢) .

ومع هذا كله لم يقلل أوريجانوس من شأن الناموس بل جعل له مجده الذاتي كنوع من المعرفة ، تتناسب مع الانسان في مرحلة الطفولة حتى تدخل به إلى المعرفة الفائقة التي للمسيح يسوع ، الناموس صالح ومفيد وليس كما ادعى الغنوسيون أنه شرير ، لكن الخطأ هو التفسير الحرفي له .

خلال الانجيل نفهم الناموس روحياً ، وبنعمة المسيح ندرك السر المخفي فيه .

في هذا يقول :

، الكنز المخفي في حقل هو المعاني المتنوعة التي تستنبط خلال الحكمة المخفية في سرٍ . هذه المعاني التي حجبت خلال الأمور التي تضرب نظرنا ... الأمور الخاصة بالسماء وملكوت السموات قد رسمت في الكتب المقدسة ، (٣) .

(1) Comm : Matt 10 : 9, 10 .

(2) In Jos. 2 : 1 .

(3) Comm. Matt 10 : 5 .

« لقد حررنا الانجيل أى العهد الجديد من النظام القديم ، أى الحرف . هكذا فى نور المعرفة ظهر سمو النظام الجديد ، نظام الروح (رو ٧ : ٦) الذى وإن كان ينتمى بالحق للعهد الجديد لكنه مخفى فى الكتب الأخرى أيضاً » (١) .

« إذ نسمع كتب موسى تقرأ بواسطة نعمة المسيح يرفع الحجاب ونبدأ نفهم أن الناموس روحى .

حسناً ، إن كنا قادرين على فهم الناموس هكذا ... مدركين أنه روحى كما يقول بولس : فالسبب فى هذا كما يبدو لى أن الذى يقرأ الناموس لنا هو الرب يسوع نفسه . هو الذى يقرأه لكل البشر حتى يسمعوا ، مهيئاً إيانا لا أن نتبع الحرف الذى يقتل بل نفهم الروح الذى يهب حياة (٢ كو ٣ : ٦) . هكذا يقرأ يسوع الناموس لنا عندما يعلن لنا أسرار الناموس . نحن لا نحتقر ناموس موسى لأننا ننتسب للكنيسة الجامعة ، لكننا لا نزال نقبله بشرط أن يقرأه لنا يسوع . إن قرأه لنا يسوع نأخذه فى معناه السليم . إذ يقرأه لنا نمسك معناه الروحى . التلميذان اللذين قالا : ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا حين كان يكلمنا على الطريق وحين كان يفسر لنا الكتب (لو ٢٤ : ٣٢) ، قد فهما المعنى الروحى للناموس .

أظنكم تتفقون معى بأنه لأن يسوع هو الذى فسره لهما حين كان يقرأه لهما موضحاً لهما ما قد كتب عنه فى موسى والأنبياء (فهما الناموس روحياً) » (٢) .

أخيراً فإن أوريجانوس يوضح أن الروح القدس هو الذى يفتح كلمات الناموس والأنبياء المغلقة والمختومة وإلا بقيت الحقائق محبوسة لا يمكن فتحها (٣) .

رفض اليهود العبور للانجيل

إن كان الناموس هو القائد للانجيل خلال التفسير الروحى ، لكن تمسك

---

(1) Comm. Joan 1 : 6 .

(2) In Jos. Hom 9 : 8 .

(3) Comm. 1 Cor : 11 .

اليهود بالحرف أفقدهم العبور إلى الانجيل ، أما الأمم فنجحوا فيما فشل فيه اليهود ، إذ يقول : « رأى اليهود كل الأنبياء مصابيح ، لكن إذ قام شمس العدل لم يعرفوه . الشعوب الأممية السالكة في الظلمة قد رأت النور ... رأوا النور خلال الأنوار التي رآها اسرائيل (أي خلال الأنبياء) » (١) .

الحاجة إلى العبور

« بالتطلع إلى التاريخ يميز أوريجانوس ثلاث نواميس متتالية كاعلانات لله : الناموس الطبيعي ، الناموس الموسوي ، الانجيل (الناموس الروحي) . كما يوجد ناموس رابع يأتي فيما بعد هو « الانجيل الأبدي » (٢) .

كأن البشرية تعيش في حالة عبور مستمر ، عبرت من الناموس الطبيعي إلى الناموس المكتوب الموسوي ، ومنه إلى الناموس الروحي الانجيلي ، وهي تنتظر الدخول إلى الحياة الأبدية التي يحكمها الانجيل الأبدي . خلال هذه النظرة يرى أنه يليق باليهود ألا يحزنوا لعبورهم من الناموس الموسوي إلى الانجيل ، إذ هو انطلاق من الرمز إلى الحق ذاته ، وخروج من أورشليم الأرضية للدخول إلى السماوية .

في هذا يقول : « حضور الحق ، ينتهي الرمز والظل ، فإذ بني الهيكل في أحشاء العذراء بالروح القدس وقوة العلي (لو ١ : ٣٥) ، خرب الهيكل المبني من الحجارة . فإن ذهب اليهود إلى أورشليم ورأوا المدينة الأرضية يطلبون السماوية . يليق بهم أن ينظروا إلى فوق ليجدوا أورشليم السماوية التي هي أمنا جميعاً (غلا ٤ : ٢٦) . فبصلاحه أخذ الله منهم ميراثهم الأرضي لكي يطلبوا السماوي » (٣) .

البسطاء والكاملون

إذ نتحدث عن منهج أوريجانوس في تفسير الكتاب المقدس واهتمامه الشديد بالمعرفة الروحية . نود أن نوضح أن أوريجانوس قد أتبع مسلك معلمه

---

(1) Comm. Matt 16 : 3 . (2) C. Bigg, p. 250 .

(3) In Jos. Hom 17 : 1 .

القديس أكليمنضس فى نظرته للجهل كأشر الخطايا . وأن السيد المسيح جاء ليخلصنا من خطايانا التى أعظمها الجهل ... جاء ليعلن الحق . خلال هذه النظرة رأى البعض فى أوريجانوس أنه قد اهتم بمعرفة الله خلال السيد المسيح معلن الحق أكثر من اهتمامه بالخلاص من الخطية (١) ... لكن الحقيقة أنه قد ارتبط الاثنان معاً فى ذهنه ، فالخلاص من الخطية هو دخول إلى معرفة الله مخلص البشرية !

اهتمامه بالمعرفة الحقة والتفسير الروحى الخفى وراء سطور الكتاب المقدس جعله يقسم المسيحيين إلى قسمين : البسطاء عقلياً والكاملين . أساس هذا التقسيم هو أن البسطاء عقلياً من المسيحيين يكتفون ببساطة الايمان دون النفاذ إلى السِّر الخفى ، فهم وإن كانوا على يقين الخلاص لكنهم لا يبلغون الكمال .

خلال هذه النظرة كتب أوريجانوس فى رده على كلسس يقول : « إننا نضع الانجيل أمام كل أحد حسب شخصيته وميوله لكى يتقبل ما يناسبه » (٢)، أى ينعم به البسطاء بطريقة غير التى ينعم بها الكاملون الأولون ، يقفون عند المعنى السطحى الواضح ، أما الكاملون فيعرفون ما وراء الرموز ، ويدركون الأسرار الخفية .

بمعنى آخر ميَّز أوريجانوس بين المسيحيين الذين لهم الايمان وحده ، والذين مع الايمان دخلوا إلى المعرفة . وكما يقول Harry Wolfson : أن أوريجانوس قد قبل وجود اختلاف عظيم بين المعرفة الملاصقة للايمان ، وبين الايمان وحده (٣) .

أوضح هذا التمييز بين البسطاء عقلياً والكاملين فى تعليقه على « خبزنا

---

(1) M. A. Smith : From Christ to Constantine, 1970, p. 112 .

(2) Contra Celsus 6 : 10 .

(3) Welfson : The philosophy of the Church Fathers, 1956, vol 1 (Faith, Trinity, Incarnation) p. 106 .

اليومى epiousies أعطنا اليـومـى ، (١) ، قـائلاً بأن الكلمـة يقـدم ذاته كلبن للمسيحيين الذين هم أطفال ، وكخضروات للضعفاء وكغذاء قوى للمصارعين الذين انشغلوا فى معركـة حية . الخبز الحىّ هو الطعام الروحى العقلى الذى نشترك فيه مع الملائكة ونمنح نوعاً من الحياة الالهية . هكذا تطلع أوريجانوس إلى جماهير المؤمنين كتلاميذ لظلال الكلمة التى لا تدرك معرفة الكلمة كما هو خلال السماء المفتوحة ، أما الكاملون فيدركونه (٢) ... لهذا يليق بالمسيحى ألا يقف عند الايمان وحده بل يجاهد فى المعرفة ليصير كاملاً .

مـرة أخـرى يرى أوريجـانوس أن البـسطاء فى الذهن يفـسـرون الكتـاب المقدس تفـسيراً أخلاقيـاً سلوكيـاً ، أمـا الكاملون فيتمـتعون بتفـسيره الروحى مدركين للاهوتيات (٣) .

فى حديثـه عـن المرأة السامـرية يرى فى بئر يعقوب معنى سرياً إلا وهو « الكتاب المقدس » يشرب منه المتعلمون مثل يعقوب وأولاده كما يشرب منه البسطاء وغير المتعلمين مثل قطيع يعقوب (٤) .

هذا ويعـتبـر أوريجانوس أول من ميّز بين المؤمنين إلى سـالكين بالحـياة العاملة والسالكين فى الحياة التأملية ، معطياً مرثا ومريم فى انجيل معلمنا لوقا كمثلين لهاتين الحياتين (٥) .

وفى دعوة السيد المسيح لتلميذى يوحنا « تعاليا وأنظرا » يو ١ : ٣٩ ، يرى أوريجـانـوس (ربمـا « تعـاليـا » هى دعـوة للعمل ، بينمـا « أنظرا » هى دعـوة للتأمل) (٦) ، وكان السيد يدعو البشرية للحياتين معاً : الحياة العاملة والحياة التأملية الكاملة .

---

(1) De Oratione 27 .

(2) Joseph C. Mc Lelland : God the Anonymous, 1976, p.112 .

(3) In Lev 13 : 3. P G 12 : 547 .

(4) Fragments from Comm. on S T . Joan, no 80

(5) In Joan t 13, c 6 .

(6) In Joan. t 2, c. 29 .

يقف العاملون في الدار الخارجية ، أما المتأملون فيدخلون هيكل الله (١) .

ويلاحظ أن هذه النظرية - كما يبدو من كلمات أوريجانوس نفسه قد وجدت لها معارضين ، إذ جاء في عظاته :

« يقال لي : لا تستعمل أذن المجاز ، لا تفسر بالرموز » (٢) .

« إذ شرعت في فحص كلمات الأقدمين وأن أطلب المعنى الروحي لها ، وإذ بذلت جهدي في ازالة القناع عن الشريعة وأن أظهر أن ما هو مكتوب إنما هو مجاز ، أحفر آبارًا . لكن أصدقاء الحرف يرمونني في الحال بالاتهامات . إنهم ينصبون لي الفخاخ . إنهم يقدمون لي ضغائن واضطهادات » (٣) .

الكرازة بالكتاب المقدس

الله هو الذي يتكلم معنا حين نقرأ الكتاب المقدس أو نسمع كلماته عن طريق الوعظ ، إذ يقول « بالنعمة الالهية ينصح الله سامعيه ، سواء عن طريق الكتاب المقدس كله أو عن طريق المعلمين » (٤) .

أوريجانوس والمصادر اليهودية

تسلم المسيحيون عن اليهود ليس فقط الكتاب المقدس ، وإنما أيضًا الكثير من تقاليدهم بعد أن أعطوها فهمًا جديدًا وعمقًا روحيًا وفكرًا يليق بالايمان المسيحي . وقد اهتم كثير من الباحثين بدراسة أثر اليهودية على أعمال أوريجانوس نذكر منها :

١ - في عام ١٩٨١ تحدث أدلف فون هارناك عن أثر اليهوديات والكتابات السامرية على كتابات أوريجانوس (٥) .

---

(1) In p. 3 . 133. P G 12 : 165 .

(2) In Levit. Hom 6 : 8 .

(3) In Gen. Hom 13 : 4 (cf. Num. Hom. 12 : 2, Psal. Hom. 5 : 1, Luc. Hom 23) .

(4) Contra Celsus 6 : 57 .

(5) Adolf Von Harnack : Der Kirchengeshich tliche Ertrag der exegetischen Arbeiten des Origenes .

٢- وفى عام ١٩٢٥ جمع ج. باردى فى مقاله « التقاليد اليهودية فى أعمال أوريجانوس » سبعين عبارة لأوريجانوس يرى أنها مقتبسة على التقاليد اليهودية (١) .

٣- وفى عام ١٩٥٦ قارن باييـر بين بعض كتابات أوريجانوس وملاحظات حاخامية عن الاضطهاد والاستشهاد وعن العلاقات مع الوثنيين ، جاءت هذه المقارنة بالعبرية وترجمت عام ١٩٦١ إلى الانجليزية (٢) .

٤- اهتم نيقولاوس دى لانج بهذه العلاقة فى بحثه عن أوريجين واليهود (٣) .

لقد قرأ الكثير من التفاسير اليهودية وكتابات الهراطقة والسامريين وعلق عليها بقوله : « حاول الكثيرون أن يفسروا الكتب المقدسة من أعضاء الكنيسة ومن الذين هم فى الخارج - هراطقة (غنوسيون) ويهود وسامريون - لكنهم لم يعبروا عن جميعها حسناً » (٤) .

لقد اهتم على وجه الخصوص بدراسة الأفكار الحاخامية وتفاسيرهم للكتاب المقدس ، حتى يرى البعض أن كتاباته تعتبر مصدراً مفيداً فى التعرف على بعض هذه الأفكار فى عصره (٥) .

وفى تفسيره للاسماء العبرية الواردة فى الكتاب المقدس ، يخبرنا أنه تعلم الكثير من تفاسير بعض العبرانيين ، وأن الحاخامات وضعوا ملاحظات هامة فى عظاتهم على تفسير الاسماء (٦) .

وفى رده على الغنوسى الذى أنكر واقعية فلك نوح قائلاً : إن المقاييس

---

(1) Revue Biblique : Les traditions Juves dans l'oeuvre d'Origens .

(2) Y. Baer : Israel, the Christian Church and the Roman Empire .

(3) Nicolas De Lange : Origen and the Jews, Cambridge, 1976 .

(4) Origen : Sel Pss. J. Daniélou : Origen, p. 174 .

(5) Nicholas De Lange, p. 8

(6) Ibid, p. 7 .

المذكورة عنه لا تكفى لايواء الكثير من الحيوانات وما يلزمها من الطعام ، أجاب : « اخبره شيئًا تعلمته عن معلمى وعن رجال آخرين عقلاء لهم دراية كبيرة بالتقاليد العبرية ... » (١) .

وفى حديثه عن الحرف « T » قال : « استشرت بعض اليهود لأرى إن كانوا قد تعلموا شيئًا عن حرف « T » . وقد عرفت منهم الآتى : أشار واحد منهم أن حرف « T » هو آخر الاثنين وعشرين حرفًا للأبجدية العبرية . وأن الحرف الأخير هو رمز لكمال من تقودهم فضيلتهم إلى النوح والبكاء عن خطايا الشعب ، والترفق بالخطاة . وقال آخر أن حرف « T » كان رمزاً للذين يحفظون الناموس ، لأن العبرانيين يسمون الناموس « توراة » أول حرف لها « T » . والثالث انسان آمن بالسيد المسيح ، قال لى أن حرف « T » وضع فى الأبجدية أصلاً كرمز للصليب ونبوة ، علامة أن المسيحيين سيحملونه على جباههم ويرشمونه قبل البدء فى أعمالهم ، خاصة قبل الصلاة وقراءة الكتاب المقدس » (٢) .

وفى تعليقه على العبارة الواردة فى حزقيال (١٤ : ١٤) أن نوح ودانيال وأيوب يخلصون ، يتساءل ما السبب فى تجاور هؤلاء الثلاثة معًا ، ويجيب قائلاً : « مرة سمعت رجل يهودى يفسر هذه العبارة قائلاً بأن هؤلاء الثلاثة قد أشير إليهم لأن كل منهم مر بمراحل ثلاث : مرحلة سعادة ثم مرحلة اضطراب، فسعادة مرة أخرى . فكر فى نوح قبل الفيضان حيث لم يكن العالم بعد قد مسه مياه الطوفان ، وفى نوح وقد عانى العالم من الهلاك وصار منعزلاً مع أولاده والحيوانات فى الفلك فى آمان ، ثم فكر فيه أيضًا بعد الطوفان حيث ترك الفلك وزرع الكرمة وصار فى طريقه إلى اعادة العالم من جديد » (٣) .

---

(1) In Gen. Hom. 2 : 2 .

(2) Sel Ezk 8. P G 13 : 800 d .

(3) In Ezk. Hom. 4 : 8 .

لقد عرف أوريجانوس من التقليد اليهودى أن يوسف تزوج أسينات فى مصر (١) ، وأن اسمى الساحرين اللذين قاوما موسى هما يمنيس وممبريس (٢) .

وبجانب معرفته للتقاليد اليهودية أشار إلى بعض الكتابات اليهودية الأبوكريفا مثل سفر أخنوخ (٣) ، وعهد الاثنى عشر بطريركًا (٤) ، وموت موسى (٥) .

تأثره بفيلون الاسكندرى

عرف أوريجانوس فيلون اليهودى الاسكندرى ، الذى استخدم الرمزية فى التفسير وقد امتدحه هكذا : « كسب فيلون احترام المتعلمين بمجلداته الكثيرة عن ناموس موسى » (٦) ، « رجل عاش قبلنا ، كتب كتباً دعيت : الرموز فى الكتب المقدسة » (٧) .

أخذ عن فيلون أن الكتاب المقدس ، إذ هو موحى به من الله لا يمكن أن يكون فيه شئ غير نافع ... لذا يلزمنا أن ندخل إلى المعانى العميقة المختفية وراء المعنى الظاهرى الذى يبدو أحياناً كأنه غير نافع (٨) .

أعطى أوريجانوس أمثلة كثيرة لذلك ، منها :

١ - « هل يقدر انسان صائب الحكم أن يفترض أن أيام الخليقة الثلاثة الأولى لها مساء وصباح حيث لم يوجد شمس ولا قمر ولا نجوم ؟

هل يقدر أحد أن يكون ليس بعاقل حتى يظن أن الله صنع (بنفسه) فردوسًا فى منطقة على الأرض وغرس أشجاراً كفلاح أو وضع فى ذلك

---

(1) Sel. Gen. PG 12 : 136 a .

(2) Comm. Gen 3, Comm. Joan 2 : 31 .

(3) Comm. Joan 6 : 42, Hom. Num. 28 : 2 .

(4) In Jos. Hom 15 : 6 .

(5) Ibid 2 : 1 .

(6) Comm Matt 15 : 3 .

(7) Ibid 17 : 17 .

(8) De Principiis 4 : 2 : 9 .

الفردوس شجرة حياة ، يمكن أن تراها العين أو تدركها الحواس ، نأخذ منها الحياة خلال أكل ثمرها بأسناننا ؟!

عندما يقول الكتاب أن الله اعتاد أن يتمشى فى الجنة مساءاً أو أن آدم اختفى وراء شجرة ، ليس من أحد يسأل – على ما أظن – أن هذه الأمور مجرد قصص ... فإنها وضعت بطريقة رمزية لتشير إلى أسرار معينة ، (١) .

ب– ، إن نظرنا إلى أمور مشابهة فى العهد الجديد ، فإنه من المضحك أن نمتنع عن تحية من نلتقى بهم فى الطريق (لو ١٠ : ٤) . فإن من يظن أن الرب قصد من الرسل أن يفعل ذلك يكون غير عاقل .

بنفس الطريقة ، لا يستساغ تقديم الانسان خده الأيمن لمن يعامله بقسوة (لو ٦ : ٩) . لأنه عندما يريد انسان أن يصفع أحداً على وجهه يضرب بيده اليمنى الخد الأيسر ، إلا إذ كان أشولاً .

كذلك يستحيل أن تفقأ عينك متى تعرضت لخطية (متى ٥ : ٢٩ ، ١٨ : ٩) ، (٢) .

وقد رأى أوريجانوس – مثل فيلون – أن كل ما فى الكتاب المقدس يحمل معنى عميقاً .

تأثر أوريجانوس بفيلون فى رمزية الأرقام ، وإن كان القديس أكليمنضس الاسكندرى له نظام متكامل فى رمزية الأرقام .

كذلك تأثر بفيلون فى تطبيق الجانب الرمزى على الحياة السلوكية . ففى عظاته على سفر التكوين يرى فى الخليقة رمزاً للنفس البشرية . فالرجل والمرأة يمثلان جانبين من النفس إن صار فى اتفاق أنجبا أطفالاً أى الدوافع الصالحة . ويرى الاسماك والطيور والحيوانات التى يسيطر عليها الانسان هى الأعمال التى تصدر عن القلب والنفس (الطيور) ورغبات الجسد وحركاته (السمك والحيوانات) (٣) .

---

(1) De Princ. 4 : 3 : 1 . (2) Ibid 4 : 3 : 3 .

(3) Origen : In Gen 1 : 17. Philo.: Leg. Ael 2 : 4 : 11 .

الأرقـام

رأينا أن أوريجانوس اهتم بكل ما ورد في الكتاب المقدس من أرقام وألوان واسماء بلاد واسماء أشخاص ونباتات وحيوانات ... وقد ظهر ذلك بوضوح في تفسيره لسفر نشيد الأناشيد ، وقد اقتبست الكثير من كلماته في عرضي لتفسير هذا السفر (١) . كما أرجو أن أعرض بعضاً من أقواله عند تفسيري للأسفار الأخرى .

١- رقـم ٣

يقول موسى النبي لفرعون : « نذهب ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب الهنا » خر ٥ : ٣ .

« مـا هو هذا الطريق الذي يقطعه في ثلاثة أيام للخروج من مصـر والذهاب إلى الموضع الذي ينبغي أن يذبح فيه للرب ؟ إنه الرب نفسه القائل « أنا هو الطريق والحق والحياة » يو ١٤ : ٦ . ينبغي أن تسير ثلاثة أيام في هذا الطريق ، لأنك « إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات (في اليوم الثالث) خلصت » رو ١٠ : ٩ (٢) .

هذه الأيام الثلاثة – عند أوريجانوس – تعني أيضاً كمال النقاوة : نقاوة الأعمال ونقاوة الكلمات ونقاوة الأفكار (٣) ... لهذا يرجو فرعون موسى قائلاً : « لا تذهبوا بعيداً » ، وكأنه وهو يمثل ابليس يريدنا ألا نبتعد عنه مسيرة ثلاثة أيام كاملة ، أي لا يكون لابليس موضعاً في أعمالنا أو كلماتنا أو فكرنا ، إن كنا لا نخطئ بالعمل ، يطالبنا أن نخطئ بالكلام أو حتى بمجرد الفكر (٤) ...

لقد عبر بنو اسرائيل ثلاث مراحل : تركوا رعمسيس ثم سكوت وأخيراً ايثام ... وعندئذ ظهر لهم الله باعلاناته ، يظللهم كسحاب نهاراً وينير لهم الطريق كعمود نور ليلاً . كان لابد أن يدخلوا المرحلة الثالثة كي يستنيروا

---

(١) راجع طبعة ١٩٨٠ ، الناشر : كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج .

(2) In Exod. Hom. 3 : 3 .

(3) Ibid . (4) Ibid .

بالرب ويروا اعلاناته ويعرفوا أسراره ... إذ يدخلوا مجد قيامته ، كقول النبى (١) : « الرب يحيينا بعد يومين . فى اليوم الثالث يقيمنا فنحيا معه ، هو ٦ : ٢ .

اليوم الأولى يمثل آلام المخلص ، والثانى يمثل نزوله إلى الجحيم ، والثالث يمثل قيامته ، لهذا إن كان الرب قد ظهر لهم بعد ذلك فى عمود سحاب ، وبحسب قول الرسول : دخلوا المعمودية (١كو ٦ : ٢) ، فإن ذلك يشير إلى قيامتهم مع السيد المسيح فى اليوم الثالث . « اذن **عندما تقتنى سر اليوم الثالث يقودك الرب ويريك بداية طريق الخلاص** » (٢) .

وفى عظته السادسة على سفر الخروج رأى فى رقم ٣ مدلول طرق الفضيلة فالثمار الصالحة تنتج ١٠٠ ، ٦٠ ، ٣٠ أى ثلاث درجات ، وطريق الفضيلة يكون بالعمل والفكر والكلام ... ويتحدث الرسول بولس عن الأعمال الصالحة : ذهباً وفضة وحجارة كريمة .

وبالعكس فإن طرق عدو الخير أيضًا ثلاثة ، فهو يهاجم العمل والفكر والكلام ، والأماكن غير المثمرة ثلاثة : الطريق الذى يدوسه الناس والأماكن المحجرة والأماكن التى بها شوك . كما يتحدث الرسول عن الأعمال الشريرة : خشباً وعشباً وقشاً .

ابراهيم أب الآباء سار مسيرة ثلاثة أيام ليقدم اسحق ابنه ذبيحة ، فرأى العلامة ... التى هى قيامة السيد المسيح ، فقدم اسحق مؤمناً أن الله قادر أن يقيمه من الأموات (عب ١١) . لهذا يقول السيد : « ابراهيم أبوكم رأى يومى فتهلل » لأنه رأى قيامته .

لعله لذات السبب صامت أستير ثلاثة أيام وثلاث ليال لتختبر قوة القيامة لشعبها الذى وضع تحت الموت . وهكذا صام أهل نينوى ... ويبقى يونان فى الحوت ثلاثة أيام بلياليها ...

٢- « ثم عماد السيد المسيح فى اليوم الخامس من الشهر الرابع كرمز

---

(1) Ibid 5 : 2 . (2) Ibid .

لاتحاد عناصر الجسد الأربعة مع حواس النفس الخمسة » (١) .

٣- أقيم الهيكل فى ٤٦ سنة (يو ٢ : ٢٠) ، لأن رقم ٤ يشير إلى العالم أو المسكونة بعناصره الأربعة (أو جهاته الأربعة) ، ورقم ٦ يشير إلى اليوم الذى خلق فيه الانسان . بهذا يكون الهيكل هو العالم الجديد الذى فيه يتجدد خلقة الانسان (٢) .

٤- رقم ٧ يشير إلى الراحة (٣) ، اليوم الذى استراح فيه الرب . لذلك فإن المرأة السامرية كانت قد تزوجت بخمس أزواج والسادس ليس بزوجها ، وعند البئر قبلت الزوج السابع ، السيد المسيح نفسه ، كعريس لنفسها ، تجد فيه راحتها الأبدية . لقد تركت جرتها ، أى أهتماماتها الجسدية ، وصارت لها الطهارة التى بها تتحقق الزيجة الروحية (٤) .

وشهادات يوحنا المعمدان كانت ٦ شهادات بعدها تدخل السيد نفسه سائلاً: « ماذا تطلبان ؟ » يو ١ : ٣٨ ، أى فى المرة السابعة نلتقى بالرب نفسه سرّ راحتنا خلال سؤاله شخصياً .

كذلك ابن خادم الملك الذى كان مشرفاً على الموت شفى فى وقت الساعة السابعة (يو ١ : ٥٢) ، رمز للراحة (٥) .

٥- « أما تقولون أنه يكون أربعة أشهر ثم يأتى الحصاد . ها أنا أقول لكم ارفعوا أعينكم وأنظروا الحقول أنها قد أبيضت للحصاد » يو ٤ : ٣٥ . يرى اليهود أن الحصاد أى الثمار نقتنيها بعد أربعة شهور أى بعد انحلال الجسد ، لأن رقم ٤ يشير إلى العناصر الأربعة للعالم ... هذا فى رأى الرب خطأ ، لأن الحصاد قد أبيض الآن والثمار تظهر ونحن بعد فى الجسد ، فنحصد فى حقول الكتاب المقدس . نكون مثل بطرس ويعقوب ويوحنا الحصادين الذين تمتعوا بالتجلى وقد التقوا بموسى وايليا الذين بذرا الزرع (٦) ...

---

(1) In Ezek. Hom 1 : 4 .
(2) In Joan t 10, c 22 .
(3) In Joan t 17, c 56 .
(4) Ibid t 13, c. 29 .
(5) Ibid t 17, c 56 .
(6) Ibid t 15,, c 39 - 49 .

أوريجانوس – على خلاف معلمه أكليمنضس – لم يكن بالفيلسوف الذى تحوّل إلى المسيحية ، لهذا لم يكن متعاطفاً مع الفلسفة ، ولا شاركه حماسه الشديد للحكمة اليونانية ، ولو أننا نستطيع بغير مشقة أن نجد فى كتاباته ما تركته المذاهب الفلسفية والحكمة اليونانية من أثر فى نفسه من الناحية الأدبية .

وبقدر ما كان أكليمنضس ميالاً للثقة فى الفلسفة كان تلميذه أوريجانوس يلح على بطلانها وعدم كفايتها متى قورنت بالوحى الالهى بل ويديها ، ربما لأنه كان خائفاً من جمال الأشكال والتعبيرات الفلسفية كفخاخ خطيرة يمكن أن تقتنصه ، وربما كان يشعر أنه ليس لديه الوقت لمثل هذه التفاهات (١) .

لقد درس أوريجانوس الفلسفة ، لكن ليس حباً فى الفلسفة فى ذاتها إنما من واقع رسالته كمبشر حقيقى فى بيئة تعشق الفلسفة ، فدرسها لكى يقدر أن يشرح المسيحية لقادة الفكر فى عصره ويجيب على الأمور الصعبة بالوسيلة التى تناسبهم، مبرزاً الجوانب التى يحتاج إليها هؤلاء القادة من المسيحية (٢) .

وجد أوريجانوس أنه فى حاجة إلى الاستماع لمحاضرات امونيوس السقاس، الفيلسوف الاسكندرى المشهور (١٧٤ – ٢٤٢م) ، الذى نادى بالأفلاطونية ، وعنه علم بلاتينيوس (٢٠٥ – ٢٧٠م) بالأفلاطونية الحديثة . هذا الفيلسوف جذبته مدرسة الاسكندرية اللاهوتية وتحوّل إلى الايمان المسيحى وله عدة كتب فيها .

لقد ربح أوريجانوس عدداً ليس بقليل من تلاميذ المدرسة الفلسفية الوثنية خلال معرفته للفلسفة . لذلك حينما هوجم لدراسة فى الفلسفة كتب هكذا : « عندما كرّست نفسى تماماً للكتب المقدسة ، وذاعت شهرتى فى الخارج بسبب كفاءتى ، وعندما جاءنى هراطقة وأناس درسوا اليونانية خاصة

---

(1) H. Chadwick : The Early Church, 1969, p.

(2) J. Daniélou, Origen, 1955, p. 73 .

الفلسفة ، بدا لي أنه من الضروري أن أفحص تعاليم الهراطقة وأقف على ما يقوله الفلاسفة من الحق . في هذا أمتثل ببنتينوس الذي قبلي قد ألمّ بقدر ليس بقليل من المعرفة وأفاد كثيرين بواسطتها (١) .

أما نظرته للفلسفة فيمكن أن نلخصها في النقاط التالية :

١ - في رأيه أن « كل حكمة هي من الله » (٢) ، سواء كانت معرفة خاصة بالفلسفة أو الرياضيات أو الطب أو الموسيقى » (٣) ، لهذا لا نعجب إن كان يمتدح الفلسفة أحياناً . فيقول على سبيل المثال في رسالة بعث بها إلى القديس غريغوريوس صانع العجائب أن الفلسفة اليونانية أشبه بالجواهر التي حملها بني اسرائيل من مصر لكنهم بدلاً من أن يستخدموها في تزيين الهيكل صنعوا بها العجل الذهبي ، وفي موضع آخر يرى أن موسى النبي قد قبل مشورة حميه يثرون الكاهن الغريب ، هكذا : « إن وجدنا كلمة حكمة علي شفتي وثني لا نزدري بها في الحال من أجل الناطق بها ، فإنه ليس من الصواب أن نبتلع بالكبرياء محتقرين كلمات الحكماء بحجة وجود الشريعة التي أعطيت لنا من قبل الله . وإنما بالحرى يليق بنا أن نختبر ونقبل ما هو صالح كقول الرسول » (٤) .

لكنه في نفس الوقت يحذرنا من الفلسفة لأن الوثنيين قد أفسدوها بادخال أخطائهم إلى الحق الذي فيها فلم تعد تعلم شيئاً عن ارادة الله (٥) .

يقول أيضاً : « قليلون هم الذين حملوا غنائم مصر وصنعوا منها أثاث لخيمة الاجتماع » .

أشار أوريجانوس إلى الأخطاء التي في الأنظمة الفلسفية وسعى أن يحفظ

---

(1) Eus. H. E 6 : 19 : 12, 13 .

(2) In Num. Hom 18 : 3 .

(3) In Gen. Hom 11 : 2 .

(4) Henri De Lubac : Origen, on First Principles, N. Y 1966, p. XVI .

(5) In Ps. Hom. 36 ;3, 6 .

تلاميذه منها ، وفوق هذا كله كان حذراً لئلا ينحرفوا وراء تعليم فاسد أو معلم غريب يقودهم إلى نسيان السيد المسيح ، أو على الأقل يقلل من اخلاصهم الشديد له . كان الرسول بولس هو مثله فى ذلك ، وكأنه كان يردد كلماته : « من يفصلنا عن محبة المسيح ؟! » ، مضيفاً إلى ذلك : « أستطيع القول بكل ثقة أنه لا محبة الحروف الدنيوية ولا سفسطة الفلاسفة ولا أخطاء المنجمين الخاصة بدورات الكواكب ، ولا تأليه الشياطين الكاذبة ولا أى علم آخر خاص بالمستقبل مستخدماً خداعات شريرة تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا » (١) .

أما تحذيراته فجاءت هكذا :

« لا تقتات بطعام الفلسفة المخادع . فإنه قد يبعدك عن الحق » (٢) .

« إذا امتنعنا عن أن نطلب لمرضانا عوناً من فلسفة أبيقور والأطباء الأبيقوريين الذين خلبوا عقولهم ، ألا نكون محقين فى ذلك ؟! إننا بهذا ننقذهم من المرض القاتل الذى سببه أطباء كلسس بانكارهم العناية الالهية واعتبارهم اللذة هى الخير الأعظم . كذلك أود أن أمنع الذين جذبناهم إلى معتقداتنا من العودة إلى استخدام أدوية الفلاسفة الآخرين ... » (٣) .

أما العامل الثانى الذى أحجم أوريجانوس عن الثقة فى الفلسفة فهو عجزها عن اصلاح حياة من يتبعها . فأفضل الوثنيين وأحكمهم يقدمون تعاليم صالحة ويكتبون عن الخير الأعظم بطريقة سامية لكنهم فى حياتهم العملية يسقطون تحت الملذات المنحطة ويشاهدوا الاحتفالات العامة المملوءة جهالة (٤) .

٢- انشغل أوريجانوس بالمشاكل الخاصة بالفلاسفة ، نذكر على وجه الخصوص موضوع العناية الالهية أو علاقة الله بالانسان ، مشكلة الحرية الانسانية الخ ...

---

(1) In Judic Hom 3 : 3, cf. Ibid 5 : 5. Lebreton p. 805, 806 .

(2) In Levit. Hom. 10 : 2 .

(3) Contra Celsus 3 : 75 .

(4) Ibid 6 : 3 .

٣- كما نراه من خلال القديس غريغوريوس صانع العجائب كان يؤمن بمبدأ الاختيار ، يختار من كل فلسفة ما يراه حقًا فيه ، ولا يرتبط بفلسفة معينة. لكنه بكل تأكيد كان يميل بالأكثر إلى الأفلاطونية ، خاصة في وجود النفس قبل الجسد ، وقوة التأمل في جعل النفس متشبهة بالله ... لكنه مع هذا عالج هذه الأمور كرجل لاهوتي كنسي وليس كفيلسوف .

قرأ أفلاطون في نصوصه الأصلية ، بل « كان بالتأكيد يقرأ أفلاطون دائمًا » (١) .

لقد وبخ أتباع أرسطو لانكارهم فاعلية الصلاة (٢) وعدم ايمانهم بالرؤى والمعجزات (٣) .

٤- اعتاد أوريجانوس أن يبدأ تعليمه بالخطابة ، بعد ذلك يقدم المعرفة العلمية مثل : الطبيعيات والرياضيات والفلك (٤) .



(1) Eus. H. E. 6 : 19 : 5 .

(2) Cont Cels. 2 : 13 .

(3) Cels 1 : 43 , 7 : 3 , 8 : 15 .

(4) On Paneg 6 : 8 .

الايمـان والمعرفـة

الايمان

جاء فـى انجـيل مـعلمناً مـتى عن ايمان قـائد المئـة : « فلمـا سـمع يسـوع تعـجب ، وقـال للذين يتـبـعون : الحق أقـول لكم لم أجد ولا فـى اسرائيل ايماناً بمقدار هذا » ٨ : ١٠ .

ويعلق العلامة أوريجانوس على ذلك قائلاً :

« أنظر أى أمر عظيم هو هذا الذى يعجب به يسوع ابن اللّه الوحيد ! فإن الذهب والغنى والممالك والسلاطين فى عينيه كظلال أو كزهرة عشب تذبل . ليس أمر من هذا يحسب عـجيبًا فى عينى اللّه أو عظيمًا أو ثمينًا إلا الايمان وحده !.إنه يعجب بالايمان ويكرمه ، ويحسبه مقبولاً لديه » .

وعلـى العكـس فـإن عـدم الايمـان يقف عـائـقًا أمـام اللّـه فى حـيـاتنا إذ يقـول :

« لم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم ايمانهم (مت ١٣ : ٥٨) . هذا يعلمنا أن القـوات تعـطى للـذين لـهـم الايمـان ، لأن « مـن لـه سيـعطى ويـزداد » مـت ١٣ : ١٢ . أما بالنسبة لغير المؤمنين ليس فقط لا تعطى لهم قوات وإنما كما كتب مـرقس : « لـم يقـدروا أن يعملوا شيئاً » . اسمع أيضاً الكلمات التالية : « لم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة... » مر ٧ : ٥ . لم يقل إنه « لم يرد أن يصنع »، بل « لم يـقدر أن يصنع » ، وكأن صنع المعجزات يتطلب تعاون من لـه الايمـان بـالـذى يصنـع القـوات . لكـن هـذا العـمل يتـعطل بسـبب عـدم الايمـان .

أنظر اذن إذ قيل له: « لماذا نحن لم نقدر أن نخرجه (الروح الشرير) ؟ » . أجاب : « لعدم ايمانكم » مت ١٧ : ١٩ ، ٢٠ . وأيضاً إذ بدأ بطرس يغرق قال له : « يا قليل الايمان لماذا شككت ؟ » مت ١٤ : ٣١ . والمرأة التى تنزف دم لم تسأل الشفاء لكنها فكرت فى نفسها أنها إن لمست هدب ثوبه تشفى فى الحال . وإذ عـرف المخلص وسـيلتـهـا فى العـلاج قـال : « من الذى لمسنى ... لأنى

علمت أن قوة قد خرجت منى » لو ٨ : ٤٥ ، ٤٦ ... (١) .

الايمان العامل

الايمان ليس مجرد فكر نظرى فى ذهن الانسان ولا مجرد كلمات ينطق بها ، إنما هو قبول عملى لعمل الله فينا ، وتجاوبنا معه . فالايمان الحىُّ ايمان عامل .

« من الواضح أن من يموت وهو فى خطيته لا يؤمن بالمسيح حقيقة حتى وإن قال أنه مؤمن به ! لأن من يؤمن بعدل المسيح لا يصنع ظلماً ، ومن يؤمن بحكمته لا يتصرف أو يتكلم بغباوة ، وهكذا بالنسبة للأمور الأخرى الخاصة بالسيد المسيح ، فإنك تجد أن من لا يؤمن بالمسيح يموت فى خطاياه مادام يسلك بطريقة تضاد ما يراه فى المسيح » (٢) .

الايمان والمعرفة

مع ما للايمان من عظمة حتى يعجب بها السيد المسيح ، وقوة حتى تنقل الجبال ، وفى غيابه يتعطل عمل الله فينا ، لكن هذا الايمان ينقلنا إلى المعرفة التى تهب للنفس كمالاً . غاية الايمان الوحيدة هى الدخول إلى الآب خلال « الكلمة » الذى هو واحد مع الآب ، أى الدخول إلى معرفة الآب خلال الاتحاد بالابن الذى وحده يعرف الآب (٣) .

بهذا فإنه بالتجسد صار لنا – خلال الايمان – أن نتعرف على الالهيات ، غير أن اتحادنا مع الكلمة المتجسد للدخول بنا إلى حضن الآب والتعرف عليه لا يلغى شخصية المؤمن وارادته .

غاية المعرفة

إن كان طريق المعرفة هو الايمان بالكلمة المتجسد والاتحاد معه لهذا فإن

---

(1) Comm. Matt 10 : 19 .

(2) In Joan t 19 .

(3) In Joan 1 : 16. PG 14 : 59 - 62 .

المعرفة عند العلامة أوريجانوس كما عند معلمه القديس أكليمنضس غايتها دخول النفس إلى « الكمال » ، أى عودتها إلى حالتها الأصلية . فالنفس تسمى « بسيكى » مشتقة عن « بسيكوس » أى « برد » ، إذ صارت النفس باردة ، فقدت حرارتها الأصلية بسبب تغربها عن الله . لكن بالاتحاد مع الابن الوحيد تدخل إلى معرفة الآب ورؤيته فتصير « روحاً vov's » مرة أخرى .

يرى أوريجانوس أن النفس تدخل إلى الكمال ، بتنقيتها من كل ما هو مادى وارتفاعها فوقه ، إن دخلت بالتأمل فى الله أو بالمعرفة إلى الكمال اللائق ، إذ تتأله بما تتأمل فيه (١) .

درجات المعرفة

يليق بالمؤمن الحقيقى ألا يستكين إلى حدود معينة فى المعرفة ، إنما يطلب من يوم إلى يوم أن يدخل إلى كمال المعرفة .

هيكل سليمان بأقسامه يوضح درجات الكمال التى يدخل فيها المؤمن ، فالأبواب التى تفصل الهيكل عن الدار الخارجية هى أبواب المعرفة ، حيث يدخل الانسان أولاً إلى التأمل فى الجسديات والروحيات ، أما الدخول إلى قدس الأقداس فهو يمثل معرفة الله نفسه (٢) .

ويرى أسفار سليمان الحكيم تمثل طريق المعرفة ، فسفر الأمثال يحوى وصايا أخلاقية تمثل المرحلة الأولى من المعرفة خلال الجهاد السلوكى الأخلاقى ، وسفر الجامعة يعلن بطلان العالم ممثلاً المرحلة الثانية من المعرفة، أى التعرف على أسرار الخليقة ، أما سفر نشيد الأناشيد فيمثل زيجة النفس مع اللوغوس الالهى الذى يدخل بالنفس إلى كمال المعرفة . هذه هى المرحلة الثالثة ، فيها تتعرف النفس على الآب فى اللوغوس ، ومن خلال هذه المعرفة يبلغ الانسان الكمال المسيحى ، فى هذه المرحلة يصير الله هو الكل فى الكل ، أى يكون الله هو الكل فى كل شئ فينا ، فيتنقى الذهن العاقل تماماً من كل

---

(1) Ibid 32 : 17. PG 4 : 817 A .

(2) In Ps. 117. PG 12 : 1581 .

دنس الرذيلة ، ويغتسل من كل وصمة الخبث ، ويصير له الادراك والفهم والتفكير على شبه الله . عندئذ لا يرى إلا الله وحده ، مقتنياً اياه ، وممتثلاً به كنموذج ومقياس لكل حركاته . بهذا يكون الله هو الكل فى الكل (١) . يدخل الانسان إلى حالة اتحاد مع الله فيصير معه ، فكراً واحداً ، كقول الرسول بولس .

وفى العظة ٢٧ على سفر العدد يفسر أوريجانوس محطات الشعب فى البرية كمراحل تدريجية لبلوغ معرفة الله والتمتع برؤيته . يرى فى خروج الشعب صورة رمزية لخروج النفس التى تخلص تدريجيًا من المتعلقات الأرضية . ففى البداية خلال التجارب تندمج مع الخبرات الأولية فى الالهيات ويهبها اللوغوس راحة خلال الرؤى أو الزيارات الالهية ، لكن فى مرحلة أسمى وعلى مستوى أعلى تبطل الرؤى ويترك المجال للمعرفة لاستنارة التدبير العقلى لها ، فتستعد النفس للتاوريا (التأمل) ... وأخيراً تدخل مرحلة الاتحاد مع اللوغوس ، وتتم الزيجة الروحية معه ، فتتحرر من الجسديات وترتفع فوق الادراكات العقلية وتدخل السمويات (٢) . بهذا تصبح النفس أيقونة حية لله نفسه، تتشبه به ، وتتعرف عليه وتراه .

المعرفة والحب

طبيعى إذ يربط أوريجانوس بين المعرفة والاتحاد مع اللوغوس كل منهما يسند الآخر ويؤدى إليه ، لذا لا يفصل المعرفة عن الحب الذى هو سرّ اتحادنا مع الله فى اللوغوس . إنه يؤكد أن المعرفة تزيد الحب وتلهبه أكثر فأكثر (٣) .

المعرفة والنقاوة

المعرفة هى طريق كمال النفس ونقاوتها حتى تتشبه بابن الله خلال اتحادها به ، ومن ناحية أخرى فإن كمال المعرفة نبلغه حين تكون قامتنا كما

---

(1) De Principiis 3 : 6 : 1   PG 11 : 333 .

(2) Contra Celsus 4 : 20. PG 11 : 1320 - 1 .

(3) De Principiis 3 : 6 : 3. PG 11 : 356 .

يقول الرسول : « لا أحيا أنا بل المسيح يحيا فيّ » . لذا فإننا مادمنا نسلك في الخطية وغير كاملين لن تكون معرفتنا كاملة بل جزئية ...

هكذا حملت المعرفة جانبًا عمليًا ... فهي ليست أفكار في الذهن أو فلسفة يعتنقها الانسان بل حياة اتحاد مع الله في ابنه وسلوك بنقاوة كاملة في اللوغوس .

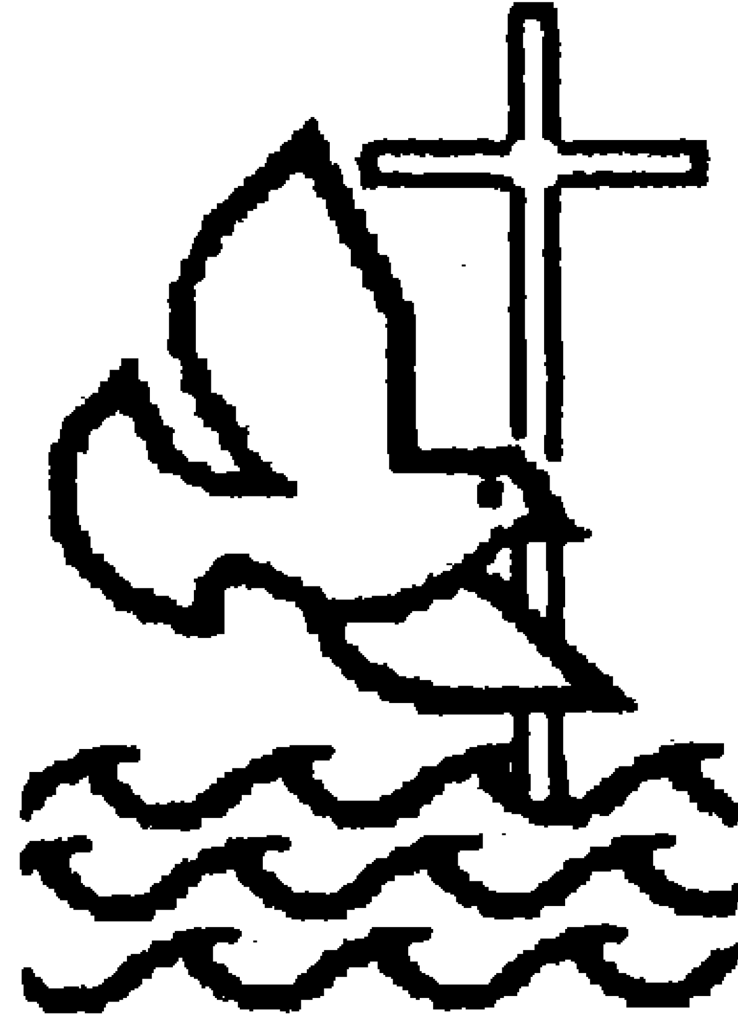
المعرفة والحواس الروحية

توسع في عرض فكرة الحواس الروحية أو الحواس المتجلية وذلك عند حديثه عن ادراك الحقائق الالهية . في كتاباته تظهر لأول مرة في كتابات الآباء فكرة الشرارة النورانية (الاشراق) في النفس (١) .

الشهادة للحق

المعرفة المسيحية معرفة حكيمة تعلن الحق نقيًا من كل شائبة وتشهد له بحكمة في الوقت المناسب .

في هذا يقول : « أنتم ترون أنه من الخطورة ليس فقط أن ننطق بشئ غير الحق بالنسبة لله ، لكن أيضاً أن نعلن عن الحق في وقت غير مناسب » (٢) .



---

(1) Ibid 1 : 1 : 5 . PG 11 : 124 .

(2) In Ezek. Hom 1 : 11 .

النعمة الالهية

تعريفها :

أوريجانوس كغيره من الآباء الشرقيين لا يعطون تعاريف للنعمة الالهية أو غيرها من المصطلحات اللاهوتية ، إنما يهتمون بالتمتع بها والحديث عن اقتنائها وفاعليتها فى حياة المؤمن .

وقد حاول Benjamin Brewery فى كتابه « أوريجين وتعليم النعمة » أن يستنبط تعريفًا للنعمة الالهية من خلال كتابات أوريجانوس الكثيرة فجاء هكذا (١) :

« النعمة هى قوة الله المودعة فى يدّى الانسان مجاناً » .

لكنها لا تعطى بدون شرط ،

وهى تهيئ الانسان بالروح القدس لتقدمة الخلاص للتمتع بالحياة الأبدية الجديدة النهائية ،

المعلنة والمدبرة فى الكتاب المقدس ،

بواسطة يسوع المسيح ،

والمقدمة للعالم كله » .

هى نعمة الله المقدمة للانسان ، إذ يقول : « تأتى النعمة إلينا من قبل الله، ونحن نمتلئ بعطاياه » (٢) . وهى عطية مجانية إذ « ليس شئ من عطايا الله للبشرية يعطى كوفاء لدين ، بل كلها تعطى من قبيل نعمته (المجانية) (٣) » . هذه العطية لا تقدم بدون فإن « نعم الله تعطى للذين تهيأوا لنوالها بالايمان والفضيلة » (٤) .

---

(1) Origen and the Doctrine of Grace, London 1960, p. 48 .

(2) In Ezek. Hom 6 : 6 .

(3) Comm Rom 22 on 4 : 4 .

(4) Comm Joan. frag 44 on 3 : 27 .

نعمة الآب

حدثنا العلامة أوريجانوس عن نعمة الله حديثًا عمليًا تخلل كتاباته ، فحدثنا عن محبة الآب التي تتجلى في :

١- خلقنا خلال كلمته « اللوغوس » .

٢- يهتم بنا ويرعانا ... مهتماً بالخليقة كلها :

أولاً : خلقنا خلال كلمته « اللوغوس »

« حقيقة وجودنا لا يمكن أن تكون ثمرة أعمالنا ، وإنما هي من عمل نعمة خالقنا » (١) .

« في البدء خلق الله السموات والأرض (تك ١ : ١) . ما هو البدء لكل شئ إلا ربنا ومخلص الجميع ، يسوع المسيح ، بكر كل الخليقة (كو ١ : ١٥) .

هذا هو البدء ، أي كلمته ، الذي به خلقت السموات والأرض (يو ١ : ١) .

كلمة « البدء » هنا لا تعني « زماناً » معيناً ، إنما تعني « في المخلص » ، لأنه لم يكن في ذلك يوجد زمان قبل أن يوجد العالم ، لكن الزمن ابتدأ بوجود الأيام التي لاحقت الخلقة » (٢) .

ثانيًا : العناية الالهية

يطول الحديث بنا إن تعرضنا لأقوال العلامة أوريجانوس عن رعاية الله الآب بنا والتي تظهر في اهتمامه وعنايته بالعالم كله من أجلنا ، حتى بالحيوانات غير العاقلة ، كما يهتم بخلاصنا وأبديتنا . من أجل ذلك قدم لنا الكتاب المقدس الموحى به ، ودبر التجسد الالهي وآلام السيد وموته وقيامته وصعوده ومجيئه الأخير ، كما يهتم بالكرازة بين الأمم ويرعى كنيسته . تظهر أيضًا عنايته بالانسان فيما وهبه من حرية ارادة ليشاركه أعماله ، مقدمًا له

---

(1) Comm. Rom. 4 : 5 .

(2) In Gen. Hom 1 : 1 .

حياة التطهير والتقديس ، وأعده لكى يتعرف عليه ... الأمور التى نعود إليها حين نتحدث عن نعمة الابن والروح القدس .

فيما يلى مقتطفات من كلماته عن العناية الالهية :

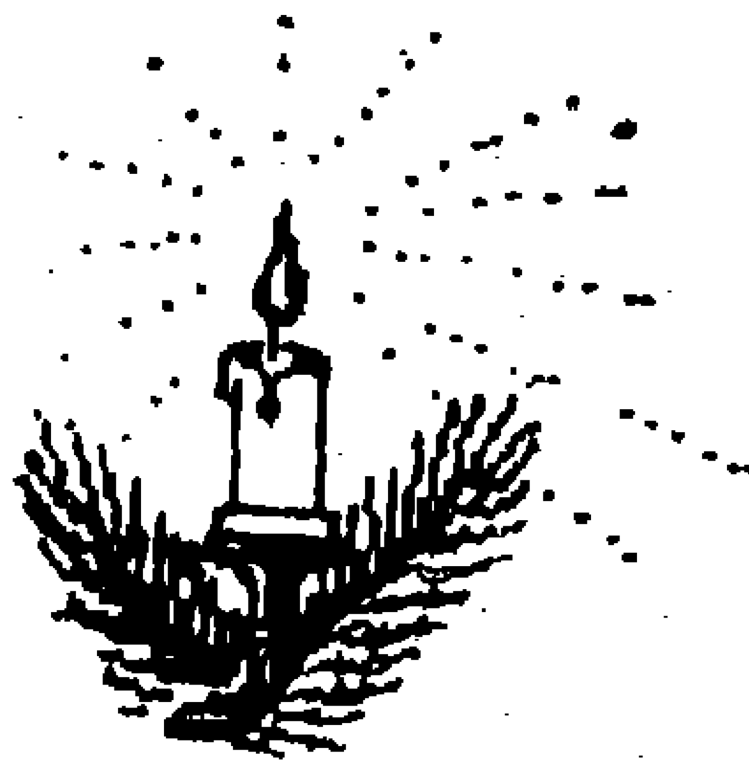
« أنه بعنايته يهتم بنا يوميًا ، بصفة عامة وعلى وجه الخصوص ، علنًا وخفية ، حتى وإن كنا لا ندرك ذلك » (١) .

« أننا نعترف بعقيدة أكيدة وثابتة ، أن الله يعتنى بالأشياء القابلة للموت ، وليس شئ مما فى السماء أو على الأرض ليس تحت عنايته » (٢) .

« العناية الالهية تضم الخليقة العاقلة أولاً ، ولكن نتيجة لذلك فهى تضم الحيوانات غير العاقلة لأجل نفع الانسان » (٣) .

« ما يحدث فى حياة البشر ... لا يتم بمحض الصدفة ولا بطريقة عشوائية ، وإنما بهدف سام محسوب ، يضم حتى شعر الرأس (متى ١٠ : ٣٠). هذا الأمر لا يخص القديسين فحسب كما يظن البعض وإنما يشمل كل البشر . فإن العناية الالهية تمتد لتشمل العصفورين اللذين يباعا بفلس (متى ١٠ : ٢٩)، سواء فهمنا العصفورين بطريقة روحية أو رمزية » (٤) .

« تحتضن العناية الالهية كل شئ ، حتى أن شعور رؤوسنا محصاة لدى الله » (٥) .



---

(1) Sel Ps. 144 : 1 .

(2) In Gen. Hom 3 : 2 .

(3) Contra Celsus 4 : 74 .

(4) Princ 2 : 11 : 5 .

(5) Contra Celsus 8 : 70 .

نعمة الابن الوحيد

أولاً : علاقة شخصية مع الابن الوحيد

كثيراً ما يتحدث العلامة أوريجانوس عن الابن وحيد الجنس المتجسد قائلاً : « يسوعي » و « ربي » و « مخلصي » ... هذا التلامس الشخصي صار عادة في حياته حتى أنه كثيراً ما يدخل هذه الكلمات خلال مقتطفاته من الكتاب المقدس . حقاً كان العلامة ترتليان أيضاً يستخدم كلمة « مسيحي » ، لكن أوريجانوس يستخدم هذه الكلمات ليؤكد وجود علاقة شخصية حية يعيشها مع يسوعه وربه ومخلصه . أما ترتليان فقد أراد أن يميز بين « مسيحه » الذي هو السيد المسيح كما تعرفه الكنيسة ، و « مسيح الهراطقة » كما أرادوا تصويره (١) .

لقد أحب أوريجانوس يسوعه ، بكونه مشبع لكل احتياجات نفسه ، يقدم ذاته لها خبزاً وشراباً ولباساً وبراً وقداسة وسلاماً وحكمة وحقاً وخلاصاً وباباً وطريقاً وراعياً وعصا وحمل الله ورئيس الكهنة ... الخ . بمعنى آخر لا يدع القلب محتاراً إلى شئ ، فهو وحده دون غيره يستحق أن يدخل القلب ويملك فيه ... لأن في غيابه عقم للبر وفقدان للسلام وخسارة لكل شئ !

يرى أن المؤمن يلتقي بالسيد المسيح خلال الوحدة وصمت القلب ، يلزمه البحث عن يسوعه بغيرة ومثابرة ، وإن احتاج الأمر يحتمل آلام مبرحة وأحزان ليحيا معه إلى الأبد . إذ يقول (٢) : « لنبحث عنه بتعب كثير ، وبعذاب الروح ، عندئذ نستطيع أن نجد ذاك الذي نبحث عنه . فإنه ليس باطلاً كتب « هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين » لو ٢ : ٤٨ . من يبحث عن يسوع لا يبحث عنه بتراخ أو عجلة ولا لفترة عابرة ، كما يفعل كثيرون فلا يجدونه . إنما لنقل له : « إننا نطلبك معذبين » ، عندئذ يجيب نفوسنا المجاهدة والمحتملة

---

(1) Henri De Lubac : Origen, On First Principles, N. Y., 1966, p. XII, XIII .

(2) In Luo. Hom 18 .

الآلام فى البحث عنه ، قائلاً : « ألا تعلمى أنه ينبغى أن أكون فى ما لأبى ، لو ٢ : ٤٩ .

اسم يسوع

تكشف لنا كتابات أوريجانوس عن اعتزاز الكنيسة الأولى باسم يسوع كسًر قوة يتمسك به المؤمن ليعيش غالباً ومنتصراً على الخطية والشيطان وكل قوات الظلمة .

يقول : « باسمه كثيراً ما تطرد الشياطين من البشر ، خاصة إن ردد بطريقة سليمة وبكل ثقة .

عظيم هو اسم يسوع ، الذى له فاعليته حتى إن استخدمه الأشرار أحياناً .

اسم يسوع يشفى المتألمين ذهنيًا ، ويطرد أرواح الظلمة ، ويهب شفاءً للمرضى » (١) .

ثانيًا : ألقابه تعلن عن نعمه

لقد رأى القديس أكليمنضس الاسكندرى – معلم أوريجانوس – أن الألقاب الالهية جميعها تعجز عن أن تعبر عن الله كما هو ، فهو فوق كل الألقاب والاسماء . إنما قدم لنا اسماء له لأجل ضعفنا البشرى حتى نقدر أن نتعرف عليه وندرك عمله فينا وعلاقته بنا . أما أوريجانوس فقد أوضح فى تعليقاته على انجيل القديس يوحنا أن المخلص أظهر ذاته بألقاب كثيرة تعلن عن أعماله التى يقدمها لنا لاشباع احتياجاتنا ، فقد صار كل شئ لنا . فما كان يعلن نفسه أنه « النور » لولا أننا دخلنا إلى الظلمة وصرنا فى حاجة إلى النور . وما كان يدعى « البكر من الأموات » كو ١ : ١٨ . لو لم ندخل إلى تراب الموت . وما دعى « الراعى » إلا لأننا صرنا كغنم فى حاجة إلى رعاية ... وقد ختم حديثه بالقول : « حقًا طوبى للذين وهم فى حاجة إلى ابن الله صاروا كأنهم لا يحتاجون إليه كطبيب يشفى المرضى أو راعى ، إنما يطلبونه بكونه الحكمة

---

(1) Contra Celsus 1 .

والكلمة والبر وغير ذلك من الألقاب الأخرى التى لقب بها من أجل الناضجين حتى يتمتعوا بنعمته السامية » .

يقول أيضاً : « بالرغم من أن المسيح واحد فى جوهره لكن له ألقاب كثيرة تشير إلى سلطانه وأعماله ، يفهم أنه النعمة والبر والسلام والحياة والحق والكلمة ... » (١) .

« من يطلب يسوع يطلب كلمة الله وحكمته وبره وحقه وقوته ، لأن المسيح هو كل هذه » (٢) .

« إننا نطلب (فهم الله) فى المسيح يسوع وحده ... لأنه هو المعلن عن الله . أنه حكمة الله وقوته وبره وتقديسه وخلاصه » (٣) .

« مادام المخلص هو البر والحق والقداسة ... فهو أيضاً الاحتمال ، لهذا يستحيل أن يصير أحد باراً أو قديساً بدونه ، ولا يقدر أحد أن يحتمل الأتعاب بغير المسيح » (٤) .

وفيما يلى بعض الألقاب التى دعى بها السيد المسيح من أجلنا :

١- *يسوع هو الانجيل* ..

الانجيل ليس حروفاً وكتابة ، ليس بالمادة المحسوسة إنما « علينا أن نحوّل ما هو محسوس إلى ما هو روحى » (٥) ... الانجيل هو يسوع المسيح نفسه الذى وحده يقودنا لمعرفة الآب ويهبنا قوة القيامة من الأموات ، أى يحقق لنا الأخبار السارة التى وعدنا بها وأعلنت لنا .

يقول : « الآن نتطلع إلى ما تقوله الأناجيل خلال المواعيد السارة ... هذه الأخبار السارة التى نطق بها الرسل ببساطة هى يسوع . لقد أعلنوا أمراً صالحاً واحداً هو القيامة ، وما هى القيامة إلا يسوع القائل : « أنا هو القيامة » (٦) .

---

(1) Comm. Rom. 5 : 6 . (2) Comm 32 .
(3) In Jerm Hom. 8 : 2 . (4) Ibid 17 : 4 .
(5) ANF. vol 9. p. 302 . (6) Ibid .

٢- يسوع هو النور

السيد المسيح هو النور الحقيقى الذى يشرق على النفس التى جلست فى الظلمة زماناً طويلاً ، يشرق كشمس البر فيجعل منها نهاراً ، لتعمل عمل الرب مادام الوقت نهار ... يضئ عليها فيغير طبيعتها ويجعل منها نوراً للعالم .

« فى افتتاحية الانجيل الذى أمامنا (القديس يوحنا) يتحدث عن يسوع نور الناس ، إذ يقول : « فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس ، والنور يضئ فى الظلمة ، والظلمة لم تدركه » يو ١ : ٤ ، ٥ . كما يقول فى نفس الموضع : « كان النور الحقيقى الذى ينير كل انسان آتيًا إلى العالم » يو ١ : ٩ . وفى اشعياء جاء عنه أنه نور الأمم : « جعلتك نوراً للأمم لتكون خلاصاً إلى أقصى الأرض » أش ٤٩ : ٦ ...

الشمس هى نور العالم المحسوس ... وجدت فى اليوم الرابع كما جاء فى موسى ، حيث أضاءت الأرض ، لكنها ليست بالنور الحقيقى . أما المخلص فهو الذى ينير الخليقة العاقلة ، لترى بأذهانها الأمور بنظرة لائقة . هو نور العالم العاقل ، أو قل هو نور عالم النفوس العاقلة الموجودة فى العالم الملموس ، ونور الكائنات الأخرى الموجودة وراء هذا العالم ، والتى يعلن لها أنه مخلصنا ...

يمكننا القول بأن الشمس التى توجد النهار العظيم ... إذ يتحدث عن هذا النهار بالنسبة للذين يتمتعون بنوره ، قائلاً لهم أن يعملوا « مادام نهار ، لئلا يأتى ليل لا يستطيع أحد أن يعمل ، مادمت فى العالم فأنا نور العالم » يو ٩ : ٤ ، ٥ .

عندئذ يقول لتلاميذه : « أنتم نور العالم » ، « فليضئ نوركم قدام الناس » متى ٥ : ١٤ ، ١٦ . بهذا نرى الكنيسة العروس وقد شبهها بالقمر والنجوم ، إذ صار التلاميذ نوراً مستمداً من الشمس الحقيقية ، قادرين على انارة الآخرين » (١) .

« ربنا يسوع ، كلمة الله ، الذى جاء إلى العالم وأضاء بنوره لخلاصنا

---

(1) ANF, vol 9, p. 310 f .

نحن الذين كنا قبلاً ظلمة ، هو بعينه الذى أنار الأنبياء قديماً بالحكمة الالهية ، إذ يقول : « يليق بنا أن نضيف أيضاً أن الكلمة ينير الأنبياء بالحكمة الالهية ، إذ جاء إليهم وهو كائن مع الله على الدوام ، لأنه هو الله » (١) .

هذا النور فعّال فى حياتنا البشرية إذ « كلمة الله هو حياة الناس ونورهم لا يكف عن أن يضئ طبيعتنا التى فى ذاتها ظلمة وبلا شكل » (٢) .

« يليق بنا إذ نتقبل نوره يكون لنا أعمال النور ، فإن « من له النور يشترك فى أعمال النور ، ويكون له الفهم الحقيقى . وعلى العكس فإن تعبير « الظلمة » ينطبق على الأعمال الشريرة والمعرفة التى تبدو كأنها معرفة وهى ليست كذلك » (٣) .

بالمسيح يسوع أيضاً النور الحقيقى نتقبل الحق ونرفض الظلمة ونطردها ... « إننا نطرد ظلمة التعاليم الشريرة بواسطة نور الكلمة ... فإنه يفتح أعيننا لنعرف النور من الظلمة ونختار الوقوف فى النور بكل وسيلة » (٤) .

لقد أكد العلامة أوريجانوس أن النفس المؤمنة وهى تتقبل السيد المسيح تصير « نوراً » لكن ليس هو فى طبيعتها الذاتية ، إذ يقول :

« يشرق النور على ظلام النفوس المؤمنة مبتدئاً بالايمان ومقترباً إلى الرجاء . أما القلوب العالمية (المحبة للعالم) فلا تقدر أن تدرك النور مشرقاً على أجسادها وذلك بسبب الخداع والجهل ...

ما كان يمكن للطبيعة البشرية أن تضئ بطاقاتها الذاتية حتى ولو لم تكن قد أخطأت ، لأنها ليست بطبيعتها نوراً ، لكنها تشترك فى النور . هى قادرة أن تكون حكيمة لكنها ليست الحكمة ذاتها ، وذلك كما أن الهواء لا يعطى من ذاته نوراً ... لكنه يتقبل النور من أشعة الشمس . هكذا الجانب العقلى فى طبيعتنا ،

---

(1) In Joan 2, in princ .

(2) Ctena aurea, St. John, ch 1 (hom 2, in div. loc .

(3) In Joan t 2, ch 20 .

(4) Contra Celsus 6 : 67 .

إذ يحصل على حضرة كلمة الله يعرف الأمور العاقلة ويعرف الله ، لكن ليس من ذاته ، بل من النور الالهى الذى يغرس فيه .

قيل « النور يضئ فى الظلمة » لأن كلمة الله ، الحياة ، ونور الناس ، لا يكف عن أن يشرق فى طبيعتنا التى فى ذاتها تحمل نوعًا من الظلمة وبلا شكل . ولما كان هذا النور غير مدرك لكل الخليقة ، لهذا قيل « والظلمة لم تدركه » (١) .

٣- *يسوع هو الطريق*

يسوع المسيح هو الطريق الآمن الذى به ندخل إلى معرفة الآب ونسكن فى حضنه دون أن يصيبنا ضرر أو نعتاز إلى شئ .

« النمو فى الحكمة يجده الساعون نحو خلاصهم ، فتتحقق رغبتهم خلال فهمهم للحق الذى فى الكلمة الالهى وسلوكهم فى البر الحقيقى . هذا يقودنا إلى ادراك كيف يكون المسيح هو الطريق .

في هذا الطريق (السيد المسيح) لا نأخذ معنا زاداً ولا مذوداً ولا ثوباً ، ولا نحمل عصا ، ولا تكون لنا أحذية فى أرجلنا (مت ١٠ : ١٠) . فإن الطريق نفسه مشبع لكل احتياجات رحلتنا ، من يسير فيه لا يعتاز إلى شئ .

من يسير فيه يلتحف بثوب يليق بدعوة العرس .

وفى هذا الطريق لا يجد الانسان ما يزعجه ، إذ يقول سليمان الحكيم أنه لا يجد « طريق حية على صخر » أم ٣٠ : ١٩ ، وأنا أضيف أنه لا يجد طريقًا لأى حيوان مفترس عليه . لهذا فلا حاجة إلى عصا مادامت لا توجد آثار خليقة معادية .

وبسبب صلابته دعى الطريق صخرة ، حتى لا يمكن لأى كائن ضار أن يلحق به » (٢) .

---

(1) Hom 2 in div locis .

(2) ANF, vol 9, p. 360 .

مرة أخرى يقول العلامة أوريجانوس : « لنقف على الطرق كنصيحة (أرميا ٦ : ١٦) وننظر ونسأل عن سبل الرب القديمة ، وننظر أين هو الطريق الصالح ونسير فيه . هكذا فعل الرسل إذ وقفوا وسألوا عن سبل الله القديمة . سألوا الآباء البطاركة والأنبياء وبحثوا فى كتاباتهم ، وإذ فهموها رأوا الطريق الصالح ، أقصد رأوا يسوع المسيح القائل : أنا هو الطريق ، وساروا فيه .

إنه الطريق الصالح الذى يقود الانسان الصالح إلى الآب الصالح . يقود الانسان الذى من كنز قلبه الصالح يخرج الصالحات ، يقود العبد الأمين الصالح .

حقًا إن هذا الطريق ضيق ، إذ لا يقدر كثيرون أن يحتملوا السير فيه ، لأنهم محبون لأجسادهم .

إنه طريق كرب للذين يستخدمون العنف أثناء السير فيه .

يليق بمن يسير فيه ألا يحمل شيئًا ، لأن الطريق نفسه يقدم الخبز وكل ضروريات الحياة .

فى هذا الطريق لا حول للأعداء ولا قوة ، لذا فلا حاجة إلى عصا يحملها الانسان معه ، كما أنه لا يحتاج إلى أحذية لأن الطريق مقدس » (١) .

٤- يسوع هو القيامة

إذ قدم السيد المسيح نفسه « القيامة » ، وهبنا « الحياة الجديدة » التى صارت لنا فيه ، لا لننعم بها فى اليوم الأخير فحسب ، بل نمارسها كحياة حاضرة ... إنه يدخل بنا كل يوم إلى شركة آلامه لكى نختبر أيضاً قوة قيامته ، أو كما يقول :

« إننا على الدوام نحمل فى جسدنا اماتة الرب يسوع » ، وهكذا نحصد الفائدة السريعة : لكى تظهر حياة يسوع أيضًا فى جسدنا المائت » ٢كو ٤ : ١١ (٢) .

---

(1) ANF, vol 9, p. 360 .

(2) ANF, vol 9, p. 312 .

بقيامته من الأموات أعطى لتلاميذه برهاناً عملياً عن القيامة ، فانجذبت أنظارهم إلى الأبدية والقيامة مستهينين بالآلام الحاضرة : « قام مرة من الأموات ، وهكذا نطق بحديث أقنع تلاميذه بحقيقة القيامة ، حتى أنهم أعلنوها للبشرية محتملين الآلام . لقد كانت أنظار التلاميذ مركزة على الحياة الأبدية والقيامة التى أمتثلت خلال الكلام والعمل . وبهذا كانوا يسخرون بكل آلام الحياة الحاضرة (١) .

٥- يسوع هو الحياة

يميز أوريجانوس بين الحياة العامة التى يشترك فيها الانسان مع الحيوانات ، والحياة الحقيقية التى لنا فى المسيح يسوع ربنا . ففى تعليقه على كلمات الانجيلى « والحياة كانت نور الناس » يقول :

« الحياة التى يتحدث عنها هنا ليست الحياة التى تشترك فيها الخليقة العاقلة مع الخليقة غير العاقلة ، بل الحياة المرتبطة باللوغوس الذى فينا ، ننعم بها خلال الشركة معه ، هذا الذى هو من البدء . لهذا يليق بنا أن نميز بين الحياة الخارجية الباطلة والحياة الحقيقية المشتهاة » (٢) .

« الذين لهم شركة مع المسيح يعيشون الحياة التى هى بحق حقيقة ، أما الذين يفكرون أن يعيشوا بعيداً عنه ، فكما أنه ليس لهم النور الحقيقى هكذا لا تكون لهم الحياة الحقيقية » (٣) .

« يقول : أنا هو الحياة ... إذن الذين هم خارج الايمان بالمسيح ليسوا أحياء، إنهم أموات لا يعيشون لله ، بل حياتهم هى حياة الخطية » (٤) .

٦- يسوع هو الباب

« وصف المخلص فى الكتاب المقدس بالباب ، حيث لا يقدر أحد أن يكون

---

(1) Contra Celsus 2 : 77 .

(2) In Joan, t 2, Ch 19 .

(3) ANF, vol 9, p. 313 .

(4) Ibid, p. 333 .

فى الآب ومع الآب ما لم يصعد أولاً خلال لاهوت الابن ، الذى يقودنا بيده الطوباوية إلى الآب نفسه » (١) .

«يسوع المسيح هو المدخل إلى الآب فإنه ، مادام الآب غير منفصل عن الابن ، فإن الآب يأتى إلى الذين يتقبلون الابن » (٢) .

٧- يسوع هو المعلم

إن كان السيد المسيح قد دعى بالطبيب فهو - وإن كان قد شفى مرضى كثيرين - لكنه كان بالأكثر يهتم بشفاء النفس والقلب . جاء لا ليعلم الناس بالكلام والوصايا فحسب ، بل أنار البصيرة الداخلية لادراك الحق ، وقدم ذاته لنا للتحد به فيحملنا إلى تنفيذ الوصية ، خلال امكانياته الالهية ، وأعطانا قوة النصرة على الشر .

لقد أفاض بحق العلامة أوريجانوس - كمعلم وكدارس للكتاب المقدس وناسك ومبشر - فى الحديث عن السيد المسيح كمعلم ، ولا يسعنا المجال إلا نقتطف بعض عبارات قليلة مما وردت خلال أعماله .

« أرسل الكلمة الالهى كطبيب للخطاة ، وكمعلم للأسرار الالهية الذين هم أنقياء بلا خطية » (٣) .

« لاهوت الكلمة فيه قوة لا لتعين المرضى وتشفيهم فحسب ... وإنما لتظهر اعلان السّر للأنقياء فى الجسد والذهن (رو ١٦ : ٢٥) ... هذا الاعلان يضئ لكل انسان كامل وينير ذهنه لمعرفة الحق المعصوم ! » (٤) .

« إنه هو الذى فتح الكتب المقدسة (لو ٢٤ : ٣٢) وأشعل قلوب تلاميذه » (٥) .

« ما كان مخفياً عن الأجيال القديمة ، بل وما كان مخفياً حتى عن موسى والأنبياء أعلن للرسل القديسين أثناء اقامة المسيح (على الأرض) إذ سكب

---

(1) In Joan. t 1, Ch 19, 27 .

(2) Comm Matt 13 : 19 .

(3) Contra Celsus 6 : 67 .

(4) Contra Celsus 3 : 61 .

(5) In Exod. Hom 12 : 4 .

عليهم نور معرفة الكتاب المقدس كله » (١) .

« يسوع ... هو الذى يبدد الشرور التى فى داخلنا ، ويحطم ملكوت الخطية الأكثر شراً ... » (٢) .

« لقد أسر ربنا يسوع ... كل الأرض (يش ١١ : ٢٣) ، بمعنى أنه التقى به جمهور المؤمنين من كل الأرض وجميع الأمم ...

واستراحت الأرض من الحروب (يش ١١ : ٢٣) ... إن تطلعت إلى نفسك كيف أتيت إلى يسوع وتقبلت منه مغفرة خطاياك خلال نعمة المعمودية ، وكيف لا توجد فى داخلك حروب للجسد ضد الروح ولا للروح ضد الجسد (غلا ٥ : ١٧) عندئذ تكون بحق قد استراحت الأرض من الحروب . وذلك إن حملت فى جسدك موت يسوع المسيح (٢ كو ٤ : ١٠) بطريقة بها توقف الصراعات التى فى داخلك ، مقتنيًا اسم « صانع السلام » و « ابن اللّه » متى ٥ : ٩ . لكن هذا لا يتم إلا إذا حاربت معاركك وغلبت أعداءك ، عندئذ تعطى لك الراحة » (٣) .

« المزروعات الصالحة التى تنمو فى النفس البشرية هى من زرع « كلمة الله » الذى كان فى البدء مع الله ، وهى ثمار ملكوت الله ... أما الشيطان فيزرع الزوان ، تعاليم العمل الشرير ... بهذا يكون الحقل ليس كنيسة الله فحسب بل العالم كله (مت ١٣ : ٣٨) لأن ابن الله زرع بذاره الصالحة فى العالم كله ، وأيضاً زرع الشرير زوانه ... » (٤) .

« بدون معونة يسوع لا يكون أحد طاهراً قدام الله ، حتى وإن بدى أنه قد طهر نفسه بتداريب أو أخرى » (٥) .

وفى تعليقه على كلمات سمعان الشيخ عن الطفل يسوع « ها إن هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين » لو ٢ : ٣٤ ، أوضح نوعاً من التعليم يقوم به السيد

(1) Comm Joan. 13 : 48 .
(2) In Josh. Hom. 15 : 14 .
(3) In Josh. Hom 15 : 7 .
(4) Comm. Matt. 10 : 2 .
(5) Comm Joan 32 : 7 .

المسيح إذ يقول: « تأمل إن كان المخلص قد جاء لسقوط البعض وقيام الآخرين، فإنه من المفيد لي عندما أكون في الخطية أن أسقط أولاً وأموت عنها ... إن هذا الأمر هو منحة يقدمها لك المخلص ، أنك تسقط على الأرض . فإنك متى كنت خاطئاً ليهلك فيك ما هو خاطئ لتقوم أنت ، معلناً هكذا : إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه » (٢ تى ٢ : ١١) .

ثالثاً : تجسده

خلال التجسد الالهي صار الكلمة الالهي مشابهاً للناس ، حتى يصير الناس مشابهين له ... إنه يطلب أن يكون عبيده أبناء الله يتشبهون به ويدخلون به إلى حضن الآب .

بالتجسد أيضاً دخل إلى طريق الصليب لغفران خطايانا ، كما قدم لنا الحياة الصالحة الفاضلة كحياة ممكنة بالنسبة خلال اتحادنا معه ، وأخيراً جعل لنفسه مسكناً في داخلنا .

فيما يلي بعض المقتطفات عن كلماته عن فاعلية التجسد الالهي في حياتنا :

« ما كنا نستطيع أن نتمتع بمثل هذه المزايا التي نلناها من اللوغوس لو بقي كما هو عند الآب منذ البدء ولم يتأنس ... لكنه إذ صار انساناً استطعنا أن نقبله ، نقبل هذا العظيم الذي له مثل هذه الطبيعة إن أعددنا له موضعاً مناسباً في نفوسنا » (١) .

« جاء ابن الانسان لكن ليس في مجده ... جاء هكذا ليحمل خطايانا ويتألم من أجلنا . فإنه لا يليق بالمسيح أن يأتي في المجد ويحمل خطايانا ويتألم هنا ، لكنه سيأتي مرة أخرى في المجد بعد تهيئة تلاميذه واعداده‍م خلال ظهوره بلا شكل ولا جمال .

صار مثلهم ليصيروا هم مثله ،« مشابهين صورة مجده » رو ٨ : ٢٩ .

---

(1) ANF, vol 9, p. 384 .

فى مجيئه الأول صار مشابهاً لجسد اتضاعنا (فى ٣ : ٢١) إذ أخلى نفسه وأخذ شكل العبد حتى يصبح البشر إلى شكل الله ويجعلهم على شبهه » (١) .

« الآب نور ، وليس فيه ظلمة البتة (١ يو ١ : ٥) » وهكذا أيضاً المخلص.

لقد أخذ المخلص شبه جسد الخطية (رو ٨ : ٣) ، لكن من الخطأ أن نقول بأنه حمل نوعاً من الظلمة ، لقد أخذ ظلمتنا ليبددها . لذا صار هذا النور نوراً للناس ، يضئ فى ظلمة نفوسنا ، ويدخل إلى حيث رئيس هذه الظلمة يحارب البشرية (أف ٦ : ١٢) .

الظلمة تحارب هذا النور ، كما يظهر مما يحدث مع المخلص وأولاده . إنها تهاجم أولاد النور ... لكنها لن تقوى على ذلك ! » (٢) .

« اقامة المخلص بيننا جعلت كل الصالحات فى أيدينا » (٣) .

« فى مجيئه الأول لم يكن هدفه دينونة البشرية قبل أن يعلمهم ويظهر لهم ما ينبغى عليهم أن يفعلوه ، ولا جاء ليعاقب الأشرار وينقذ الصالحين ، إنما ليبذر فى طريقه العجيب بذار كلمته بقوة الهية معينة بين كل البشر » (٤) .

« لقد عمل الأنبياء كثيراً لاصلاح اسرائيل أما المسيح فجاء ليصلح العالم كله » (٥) .

« قديماً كان اسم الله عظيماً فى اسرائيل وحده ، لكن بمجئ المسيح صار اسمه عظيماً فى العالم كله » (٦) .

« يعطينا الكلمة أن نشاركه نعمته ، ويهبنا بسخائه كرامته ، إذ يطلب منا أن ندعو الله « أبانا » (٧) .

« المخلص هو الرب ... الذى يطلب أن يجعل عبيده مثله ... يعمل فى

---

(1) Comm. Matt 12 : 29 .

(2) In John, t 2 .

(3) In Luc Hom 4 .

(4) Contra Cels. 2 : 38 .

(5) Ibid. 4 : 9 .

(6) Sel. Ps. 47 : 2 .

(7) In Lue. Hom, frag 42 .

عبيده ليجعلهم ممتثلين بربهم ، فلا يعود لهم روح العبودية للخوف بل يتقبلون روح التبنى الذى به يصرخون : أيها الآب أبانا (رو ٨ : ١٥) ، (١) .

« عندما يتقبل الانسان « الابن » (فى المعمودية) ينال فى هذه اللحظة روح البنوة . بهذا فإن التبنى الذى لنا هو من خلال المسيح » (٢) .

« يصير المسيح حاضراً فى كل انسان حسب استحقاقه » (٣) .

رابعًا : صلبه

أعلنت نعم الابن الوحيد خلال الصلب والقيامة ، فقد غلب السيد المسيح ابليس وكل جنوده معطيًا مؤمنيه امكانية جديدة ألا وهى النصرة اليومية فى الحرب الروحية ضد الشيطان والخطية والموت . هكذا حررنا بموته من موت الخطية وعبوديتها وأطلقنا إلى حرية أولاد الله .

فيما يلى مقتطفات من أقواله عن صلب السيد المسيح وفاعليته فى حياتنا:

« ماذا أنتفع إن عرفت أن ملك عاى قد علق على شجرتين ؟! لكننى أنتفع إن عرفت أن ذلك يحمل معنيين فى الصليب الذى علق عليه المسيح حسب الجسد ، هازمًا الشيطان وكل جيشه . بهذا تبنى نفسى خلال فهمى للمعنى السرى (لقصة ملك عاى) ... » (٤) .

« إننا جميعًا خليقة الله ، لكن باع الكل نفسه لخطاياه التى أبعدته عن خالقه . اذن نحن ملك الله الذى خلقنا وإن كنا قد صرنا عبيداً للشيطان ، مبيعين بسبب خطايانا (أش ٥٠ : ١) ، لهذا جاء المسيح واشترانا ثانية (غلا ٣ : ١٣) . كنا عبيداً لذاك السيد الذى بعنا أنفسنا له عندما أخطأنا ، فعاد المسيح وردنا إليه ثانية ، لنكون خاصته ...

يقول قائل : حقًا لقد اشترانا المسيح ثانية إذ دفع الثمن بدمه ، ولكن أى ثمن دفعه الشيطان ليشترينا ؟ ... إن نقود ابليس (التى دفعها) هى الكذب ،

---

(1) Comm. Joan 32 : 10 .

(2) Comm. Eph. 3 .

(3) De Princ. 4 : 4 : 2 .

(4) In Josh. Hom 8 : 6 .

لأنه كذاب وأبو الكذاب (يو ٨ : ٤٤) . فهل تكذب ؟ أنك تتعامل بعملة ابليس .

نقود ابليس هى الزنا إذ مختوم عليه صورته وكتابته (مت ٢٢ : ٢٠) ، فهل سقطت فى الزنا ؟ فأنت إذن تقبل نقود ابليس !

السرقة والشهادة الباطلة والسطو والعنف هذه كلها أموال ابليس الصادرة عن دار سكه . فإنه يشترى ضحاياه بمثل هذه الأموال ويجعلهم عبيداً له ، يتقبلون أصغر عملة من مثل هذا الكنز ! » (١) .

« كان موته ضرورياً لأنه مات مرة عن الخطية ليردد الانسان البار أنه « يتشبه بموته » ، وأنه « يموت معه ليحيا معه » (رو ٦ : ١٠ ، فى ٣ : ١٠ ، ٢تى ٢ : ١١) . أيضاً بالنسبة لدفنه يتشبه به الذين يتشبهون بموته ، فيصلبون معه ويحملون الموت معه كقول بولس : « مدفونين معه بالمعمودية » ونقوم معه (رو ٦ : ٤) » (٢) .

« بهذا الطريق (الموت) أسلم المسيح نفسه للعبودية حتى لا يصير أحد ممن يسلم نفسه للتلمذة له عبداً للموت » (٣) .

« ذبح المسيح العداوة فى جسده ، حينما خضع للموت معطياً للبشرية مثالاً للحرب ضد الخطية حتى الموت . وفى النهاية إذ حل العداوة فى جسده صالح البشرية مع الله بدمه » (٤) .

« المسيح هو الكاهن الحقيقى الأعظم الذى صالحك مع الله (الآب) بدمه » (٥) .

« لا يقدر أحد أن يموت الموت الذى ماته يسوع عنا كلنا لكى نحيا ، لأن الجميع وجدوا فى الخطية ، وهم فى حاجة إلى آخر يموت عنهم ، لا أن يموتوا هم عن غيرهم » (٦) .

---

(١) خروج : عظة ٦ : ٩ (ترجمة مدام عايدة حنا بسطا) .

(2) Celsus 2 : 69 .

(3) Comm. Rom 30 .

(4) Comm. Rom : 9 : 10 .

(5) Hom. Rev. 9 : 10 .

(6) Com. Ser. Matt. 88 .

« عرف ابراهيم أنه رمزاً لصورة الحق القادمة . لقد عرف أن المسيح يولد من زرعه ، ويقدم فدية ذبيحة حقيقية من أجل العالم كله ، وأنه يقوم من الأموات » (١) .

« حمل اسحق خشب المحرقة كان رمزاً لحمل المسيح صليبه (يو ١٩ : ١٧) ، غير أن حمل خشب المحرقة هى من عمل الكاهن ، لذلك فإن المسيح هو الذبيحة والكاهن معاً » (٢) .

« موته عن البشر كان لنفع العالم كله » (٣) .

خامساً : قيامة المسيح

امتزجت كتابات أوريجانوس الخاصة بتفسير العهدين القديم والجديد وكتاباته الدفاعية والعقيدية والعملية بالحديث عن قيامة السيد المسيح ، معلناً نظرة الكنيسة الأولى إلى هذا الحدث بكونه « سر قيامتها المستمرة » وسر حياتها الجديدة . خلال قيامة السيد تقدم الكنيسة كل عبادتها وذبيحة حبها للآب كعبادة مرضية ومقبولة ، كما يترآى المؤمنون كأبرار فى المسيح يسوع القائم من الأموات . خلالها ننعم فى المعمودية بخلع الانسان القديم ونلبس الانسان الجديد الذى على صورة خالقنا . بها نحمل قوة الغلبة والنصرة اليومية على ابليس وجنوده وأعمال الظلمة والجهل والموت ، ونتقبل قوة المسيح المبهجة وأعمال النور والمعرفة والحياة الجديدة غير المائتة !

القيامة - عند أوريجانوس - هى السيد المسيح نفسه ، الذى رآه رجال العهد القديم خلال الظلال والرموز ، والذى يسكن فينا بغير انقطاع !

١- سر الأيام الثلاثة

إذ دخل موسى وهرون عند فرعون قالا له : « إله العبرانيين قد التقانا ، فنذهب سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب الهنا » خر ٥ : ٣ . ولما طلب

---

(1) In Gen. Hom. 8 : 1 .

(2) Ibid 8 : 6 .

(3) Contra Celsus 2 : 16 .

فرعون أن يذبحوا فى أرض مصر (خر ٨ : ٢٥) رفض موسى قائلاً : « نذهب سفر ثلاثة أيام فى البرية ونذبح للرب الهنا كما يقول لنا » خر ٨ : ٢٧ . وكان فرعون يتوسل إليهما : « لا تذهبوا بعيداً » خر ٨ : ٢٨ .

يرى أوريجانوس أنه يستحيل أن تكون هذه الأيام بلا معنى ، وإنما تحمل سراً... فإنه لا يمكن تقديم ذبيحة مقبولة لدى الرب إلا بعد سفر ثلاثة أيام ...

فى العظة الخامسة على سفر الخروج أوضح أوريجانوس أن شعب بنى اسرائيل خرجوا إلى البرية خلال ثلاث مراحل أو محطات : رحلوا من رعمسيس إلى سكوت ثم إلى ايثام وعندئذ فى هذه المرحلة الثالثة يقول الكتاب : « كان الرب يسير أمامهم نهاراً فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلاً فى عمود نار ليضئ لهم لكى يمشوا نهاراً وليلاً . » لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النور ليلاً من أمام الشعب » خر ١٣ : ٢١ ، ٢٢ .

لقد رأى أوريجانوس أن الشعب قد التقى فى اليوم الثالث بقيامة المسيح خلال رمز الأيام الثلاثة ، فصارت لهم قوة اعلانات الله ، واستنارتهم به ، وصار لهم حق التقدم بالذبيحة المقبولة !

يقول : « عندما نقتنى سر اليوم الثالث يقودك الرب ويريك بداية طريق الخلاص (١) » . ويشرح ذلك قائلاً :

« ترك بنو اسرائيل رعمسيس وأتوا إلى سكوت ... » خر ١٢ : ٣٧ .

إن كان أحد يستعد لترك مصر (اشارة للعبودية) ، فليترك أعمال ظلمة هذا العالم ... يلزمه أن يترك أولاً رعمسيس التى تعنى « بلد الفساد » . إن أردت أن يكون الرب قائدك ، يتقدم أمامك فى عمود سحاب وتتقدمك الصخرة (خر ١٣ : ٢١) ، وتأكل المن الروحى (١كو ١٠ : ٣ ، ٤) وتتمتع بالشراب الروحى ، فلترحل عن رعمسيس : « ولا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث

(1) In Exod. Hom. 5 : 2 .

ترجمة الأخت المباركة عايدة حنا بسطا .

يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون ، مت ٦ : ٢٩ . ويتحدث الرب بأكثر وضوح قائلاً : ، إن أردت أن تكون كاملاً فأذهب وبع كل مالك وأعط الفقراء وتعال اتبعني ، مت ١٩ : ٢١ . هذا هو معنى الرحيل عن رعمسيس واتباع المسيح ...

، وأتوا إلى سكوت ، ...

يقول رجال اللغة أن سكوت عند العبرانيين تعني ، خيمة ، ، فبعد الرحيل عن مصر ، وبعد نفض صدأ الفساد والابتعاد عن مجال الرذيلة نسكن في خيام ... فإننا نسكن في الخيام التي لا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها (٢كو ٥ : ٤) . يسكن في الخيام من يركض نحو الله حراً بلا قيود تثقله !

لكن يلزمنا ألا نتوقف هنا بل نكمل الطريق ، يليق بنا أن نرفع الخيمة من سكوت ونسرع إلى ايثام ، التي يمكننا ترجمتها ، علامة ، . لقد أحسن اختيار الاسم ، إذ تسمع بعد ذلك أن الله يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب يهديهم في الطريق ، وليلاً في عمود نور يضئ لهم . هذه العلامة لا نجدها في رعمسيس ولا في سكوت ، وهما المرحلتان الأولى والثانية ، إنما نجدها في المرحلة الثالثة حيث تبدأ اعلانات الله . تذكر ما قد كتب قبلاً أن موسى كان يقول لفرعون : ، نذهب سفر ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب الهنا ، خر ٥ : ٣.

إذن لم يكن فرعون يريد أن يسمح لبني اسرائيل أن يذهبوا إلى مواضع اعلانات الله . لم يسمح لهم بالتقدم للتمتع بأسرار اليوم الثالث . اسمعوا ما يقوله النبي : ، الرب يحينا بعد يومين ، في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه ، هو ٦ : ٢ .

اليوم الأول يمثل آلام المخلص ،

والثاني نزوله إلى الجحيم ،

والثالث قيامته .

وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق ،

وليلاً في عمود نار ليضيئ لهم . فإن أخذنا بقول الرسول أنه قصد بذلك المعمودية (١كو ٦ : ٢) ، يليق بكل من اعتمد بيسوع المسيح أن يعتمد لموته ويدفن معه بالمعمودية للموت (رو ٦ : ٣) ، ويقوم معه في اليوم الثالث ، فينطبق عليهم قول الرسول أن الرب يقيمهم معه ، ويجلسهم معه في السمويات (أف ٢ : ٦) (١) .

مرة أخرى يربط العلامة أوريجانوس ذبح اسحق بقيامة السيد المسيح (٢) ، إذ يقول الكتاب عن ابراهيم « في اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيه وأبصر الموقع من بعيد » تك ٢٢ : ٤ .

« الرسول بولس الذي تعلم بالروح - كما اعتقد - أظهر فكر ابراهيم وخطته بقوله : « بالايمان قدم ابراهيم اسحق وهو مجرب . قدم الذي قبل المواعيد وحيده ... إذ حسب أن الله قادر على الاقامة من الأموات » عب ١١ : ١٧ . لقد قدم لنا الرسول فكر رجل الايمان هذا ، لأن الايمان بالقيامة أنها بدأت فعلاً في اسحق . اذن ابراهيم ترجى أن يقوم اسحق ، وآمن أن ما لم يحدث حتى الآن سيحدث ... وفي أكثر وضوح عرف ابراهيم أنه صورة لحقيقة ستتم في المستقبل ، عرف أن المسيح يقوم من نسله ، ويقدم ذبيحة حقيقية عن العالم كله ، وأنه يقوم من الأموات » (٣) .

« حين أمر بذبح ابنه الوحيد آمن أن الله قادر أن يقيمه من الأموات : آمن أيضاً أن ما يجرى أمامه لا ينطبق على اسحق وحده ، بل يحمل جانباً سرائرياً ، ومملوء بالمعاني المحفوظة عند نزول المسيح ... لهذا قدم ابنه الوحيد بفرح ، إذ لم يرى في ذلك موتاً لمن هو من زرعه (اسحق) بل رأى اصلاحاً للعالم وتجديداً لكل الخليقة واعادة لخلقتها ، وذلك بقيامة الرب . لهذا قال الرب نفسه : « أبوكم ابراهيم رأى يومي فتهلل » يو ٨ : ٥٦ ... » (٤) .

---

(1) Ibid .
(2) In Gen. Hom. 8 : 1 .
(3) In Gen. Hom. 8 : 1 .
(4) Comm. Rom. 4 : 7 .

٢- عضويتنا فى كنيسة الأبكار

إذ أراد توماس كولنز أن يقدم عنواناً لنظرة العلامة أوريجانوس نحو قيامة السيد المسيح وفاعليتها فى حياتنا اختار : « التحول بعد الاتحاد » (١) . فبقيامته أعطانا ليس فقط حق القيامة فى اليوم الأخير ، إنما صنع تحولاً جذرياً فى طبيعتنا وفى حياتنا الحاضرة . وهبنا « الحياة الجديدة المقامة » ، إذ صرنا جسده الحى القائم من الأموات ... وكما أنه هو « البكر بين الأموات » صرنا نحن أبكار الله ، إذ نحن أعضاء جسد البكر ...

ففى حديث له يؤكد أولاً امكانية قيامتنا من الأموات خلال قيامته إذ يقول :

« لو لم يوجد الصليب لما تجردت الرئاسات والسلاطين ، وانهزمت إلى الأبد » (كو ٢ : ١٥) .

ولو لم يمت المسيح لما حدثت قيامته ، ولا قام المسيح بكراً بين الراقدين (١كو ١ : ١٨) .

ولو لم يحدث هذا لما صار لنا رجاء فى القيامة من الأموات » (٢) .

كما تحدث عن تمتعنا بالبكورية خلال اتحادنا به « البكر بين الأموات » قائلاً :

« أما عن نوالنا بركات البكورية ، فقد صار هو البكر من الأموات حتى تكون له الأولوية فى كل شئ ، ويرفعنا نحن الذين نؤمن بقيامته لنكون أبكاراً له ... ذلك إن تمسكنا حقّاً بنعمة هذه البركات حتى النهاية وأعانتنا مراحم ربنا يسوع المسيح نفسه » (٣) .

---

(1) T . P. Collins : The Risen Christ in the Fathers of the Church. Paulist Press, N.Y. 1967, ch 6 .

(2) In Num. Hom 14 .

(3) Ibid 3 : 4 .

٣- الدخول إلى السماويات

في شرحنا سفر نشيد الأناشيد (١) رأينا أوريجانوس يتطلع إلى كنيسة العهد القديم وقد تمتعت بشبه الذهب مع مرصعات من فضة ، أي شبه السمويات وظلالها . لكن ما أن اتكأ الملك على مائدته ، أي ربض على صليبه ورقد عليه وقام حتى وهب الكنيسة الذهب الخالص ، إذ عبر بها من الظلال إلى السمويات عينها ، فلم تعد تطلب الأرضيات والجسديات بل السمويات والروحيات .

في هذا يقول : « قام من الأموات ، وبقيامته لم يعد للذين يتشبهون بقيامته شبه الذهب ، أي يطلبون الجسديات ، إنما يتقبلون منه الذهب الخالص » (٢) .

لهذا لا عجب إن كان العريس القائم من الأموات يوصى كنيسته أن « تقوم » ، أي يدعوها للدخول إلى قوة القيامة وبهائها وسموها ، منطلقة فوق كل الأحاسيس الجسدية ومرتفعة فوق كل شهوات الجسد ... إذ يقول :

« قومي يا قريبتي يا جميلتي يا حمامتي وتعالي .

لأن الشتاء قد مضى والمطر مر وزال ... » نش ٢ : ١٠ .

« يمكننا القول بأن هذا نوع من النبوة أعطى الكنيسة ، إذ يدعوها للتمتع بالبركات العتيدة الموعود بها ...

لقد طلب منها أن تقوم، لأن الزمان قد كمل فعلاً ، وحل وقت القيامة ...

ولما كانت هذه الوصية (قومي) تختم عمل القيامة ، فإنه يدعوها إلى الملكوت بكونه حاضراً ، لتصير بفضل القيامة في بهاء وسمو أعظم ...

إنه ينحني نحوها ويدعوها أن تقوم وتخرج عن الأحاسيس الجسدية وتكف عن بقائها في الجسد ، لكي تستحق سماع الصوت القائل : « أنتم لستم في الجسد بل في الروح » رو ٨ : ٩ (٣) .

---

(١) طبعة ١٩٧٩ تفسير ، نش ١ : ٧ - ١٢

(2) Comm. Cant. 2 : 8 (3) Ibid 3 4

ظهرت فاعلية هذه القيامة فى حياة المؤمنين حتى فى عبادتهم ، فبعد أن كان نظرهم مركزاً نحو الأرض (أورشليم السفلى) ارتفع إلى أورشليم العليا ، إذ يقول « لو أن المسيح لم يقم من الأموات ، بكر الراقدين (١كو ١٥ : ٢٠) ، والذين يتشبهون بموته وقيامته لم يقوموا معه لطلبت مدينة الله التى على الأرض (السفلى) وطلب الهيكل والتطهيرات وما إلى ذلك . لكن لما تمت هذه الأمور (قيامة المسيح وتشبه المؤمنين بقيامته) لم تعد بعد تطلب الأمور الأرضية بل العليا . ولكى يتم ذلك كان لابد أن يذهب المسيح إلى أورشليم الأرضية ويتألم هناك كثيراً من الشيوخ ورئيس الكهنة وكتبة الشعب ، حتى يمجده الشيوخ السمائيون الذين يقدرون أن يتقبلوا نعمه ، وأيضاً رؤساء الكهنة الالهيون الذين سامهم رئيس الكهنة الأوحد ، وكتبة الشعب الذين يكتبون الحروف بروح الاله الحى وليس بحبر . كان لابد أن يقتل فى أورشليم الأرضية ويقوم من بين الأموات ليملك فى جبل صهيون مدينة الله الحى ، أورشليم السماوية ... » (١) .

٤- قيامة حاضرة

يرى أوريجانوس أن قيامة السيد المسيح فى اليوم الثالث وإن كانت قد تمت فعلاً فى اليوم الثالث لكنها أيضًا تحمل معنى آخر ألا وهى أنها تتم تدريجيًا لتبلغ كمالها فى اليوم الثالث أو فى المرحلة الثالثة . ففى المرحلة الأولى قام الرأس يسوع المسيح ... وفى قيامته هذه إذ يدخل بستان (فردوس) الله يقول « لا تلمسينى فإنى لم أصعد بعد إلى أبى ... » يو ٢٠ : ١٧ ... ، أما المرحلة الثانية ربما قصد بها دخولنا إلى « القيامة » والتمتع بقوتها خلال اتحادنا به ونحن بعد فى العالم ، حيث نقول مع الرسول « أقامنا معه وأجلسنا معه فى السمويات » ، وأخيراً « فإن كمال القيامة يتم حين يصعد بكل جسده (الكنيسة كلها) إلى الآب » (٢) .

هكذا يرى فى المسيح الذى هو القيامة « حياة ديناميكية » أى عاملة على

---

(1) Comm . Matt. 20 .

(2) Comm. Joan 21 .

الدوام ... قام أولاً بسلطانه ، ويبقى يهب هذه القيامة لكنيسته فى العالم حتى يدخل بها إلى أحضان أبيه ... فيستريح الرب القائم من الأموات فى كنيسته.

وقد تحدث كثيراً عن قيامة الكنيسة الآن حتى تدخل إلى كمال قيامتها فى يوم الرب ، نذكر من ذلك قوله :

« يبدو لى أن الهيكل وجسد يسوع يحملان تفسيراً واحداً ، فهما يشيران إلى الكنيسة المبنية بحجارة حية ، بيت روحى ، كهنوت مقدس ، تقوم على أساس الرسل والأنبياء ، ويسوع المسيح هو حجر الزاوية الرئيسى ، لهذا دعيت الكنيسة هيكلاً . وهكذا فإن قيامة المخلص من آلام الصليب تحمل سر قيامة جسد المسيح الكلى .

ولما كان جسد يسوع المحسوس قد قدم ذبيحة ... ودفن ثم قام ، هكذا جسد قديسى الكنيسة ، المسيح الكلى ، يصلب معه ... إذ يمتثل كل واحد منهم ببولس فلا يفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح ، الذى من خلاله يصلب العالم ويصلب العالم له ... بل ويدفن مع المسيح كقول الرسول (رو ٦ : ٤) ، وعندئذ يتمتع بنوع هام من القيامة ، قائلاً « قمنا معه » ، ويسلك فى نوع من جدة الحياة ، ولو أنه لم يقم بعد فى القيامة الطوباوية التى يترجاها » (١) .

٥- قيامة المسيح والحياة الجديدة

بقيامة السيد المسيح دخلنا إلى « الحياة الجديدة » التى لنا فيه ، إذ صرنا خليقة جديدة على صورة خالقنا ... حتى أن الرسول بولس حين يصف الآب يهتم بالقول عنه أنه « أقام يسوع ربنا من الأموات » رو ٤ : ٢٣ - ٢٥ ، أكثر من اهتمامه بالقول أنه خلق السماء والأرض ... لماذا ؟

« لأن الوصف الأخير إنما يعنى خلقة ما هو ليس بموجود ، أما الأول ففيه خلاص للذين هلكوا ...

(1) Ibid 20 .

تحقق الأخير بمجرد أمر (قال فكان) ، أما الأول فتحقق خلال الآلام ... » (١) .

هكذا دخلنا بالقيامة إلى « الحياة الجديدة » ، خلالها صار المسيح هو رأسنا ومثلنا بعد أن كان آدم هو رأسنا ومثلنا ، فخرجنا من الحياة الساقطة التي لآدم إلى حياة البر في المسيح يسوع .

في هذا يقول : « لما كان آدم هوّ المثل الأول والرأس لميلادنا الطبيعي صرنا جسداً واحداً من هذه الناحية ، لكن إذ صار المسيح هو رأسنا خلال التجديد الالهي بموته وقيامته صار هو نموذجنا » (٢) .

شرح كيف يكون السيد المسيح نموذجاً لنا ، قائلاً :

« إن كنتم تؤمنون أن المسيح قام من الأموات يلزمكم أن تؤمنوا أنكم أنتم أيضاً تقومون معه .

وإن كنتم تؤمنون أنه جلس عن يمين الآب في السموات ، يليق بكم أن تؤمنوا أنه لم يعد مكانكم في الأرضيات بل في المنظر السماوي .

إن كنتم تؤمنون أنكم قد متم مع المسيح فيليق بكم أن تؤمنوا أنكم تحيون معه ، وإن كنتم تؤمنون أن المسيح يموت عن الخطية ويعيش لله (الآب) هكذا يليق بكم أن تموتوا عن الخطية وتعيشون لله ...

فمن (يفكر في السمويات) يظهر ايمانه بالذي أقام يسوع من الأموات ... مثل هذا الانسان يحسب له ايمانه بحق براً ... أما الذين يؤمنون بالمسيح ولا يخلعون « الانسان العتيق بأعماله الشريرة » كو ٣ : ٩ ، فلا يحسب لهم ايمانهم براً ... .

لنظهر أننا نمقت الخطايا التي من أجلها أسلم المسيح ، وننتزعها ... أما إن احتفظنا بأي علاقة معها ... فإننا نظهر موت المسيح كأنه بلا قيمة ، إذ نقبل ما قد أخضعه وغلبه ...

---

(1) Com. Rom. 4 : 7 .

(2) Comm. John. frag 144 .

يجمع الرسول هذه الأمور جميعها ويدعوها « خلع الانسان القديم » ... فيبحث الذين يؤمنون بالذى أقام يسوع من بين الأموات أن يخلعوا الانسان العتيق ، ويخلعهم للشر يلبسون ربنا يسوع المسيح ، الذى هو بحق لباس البر ، بهذا تظهر حياتهم لائقة بايمانهم ، بحسب ايمانهم براً ...

إن كنا نقوم مع المسيح الذى هو البر ، ونسير فى جدة الحياة ، ونحيا حسب البر ، فإننا نتبرر بالمسيح الذى يقوم من أجلنا ... والذى يتعهدنا بالحياة الجديدة على مثال قيامته » (١) .

تحدث العلامة أوريجانوس عن علامات هذه الحياة الجديدة التى لنا خلال قيامة المسيح عند حديثه عن سر الأيام الثلاثة التى ينبغى أن نسيرها من مصر (العبودية) لتقدم ذبيحة للرب ، إذ قال :

« إننا نترك مصر مسيرة ثلاثة أيام حين نفصل عقلنا وطبيعتنا واحساسات النفس عن أمور هذه الحياة لتلتصق بوصايا الله .

نترك مصر حين ننقى كلماتنا ، وأفعالنا وأفكارنا ، لأن هذه هى مجالات الخطية الثلاثة ... » (٢) .

إن فرعون كممثل لابليس سألهم ألا يبتعدوا كثيراً (خر ٨ : ٢٨) لكى لا يسيروا ثلاثة أيام بأكملها ... « إنه يريد أن يضمن أنهم لم يخطئوا بالفعل فليخطئوا بالقول ، وإن لم يمكن بالقول فلا أقل من أن يخطئوا بالفكر . إنه لا يريدهم أن يبتعدوا عنه ثلاثة أيام كاملة ، بل يريد أن يجد لنفسه فينا على الأقل يوماً واحداً ، وأن يكون له لدى البعض يومين ولدى آخرين ثلاثة أيام كاملة .

طوبى لمن ينفصل عنه الأيام الثلاثة كاملة ، ولا يكون له فيه يوم واحد » (٣) .

أما السمة الثانية للحياة الجديدة التى لنا بقيامتنا مع المسيح وخروجنا ثلاثة

---

(1) Comm. Rom. 4 : 7 .

(2) In Exod Hom. 3 : 3 .

(3) Ibid .

أيام ، منفصلين عن ابليس فهو خروجنا من ظلمة الجهل والاستنارة بنور قيامته (نور المعرفة الروحية) ، إذ يقول :

« يفرض عليك فرعون ذلك ، إذ لا يريد أن يتركك ، إنه رئيس ظلمة هذا العالم » (أف ٦ : ١٢) .

لا يريدك أن تبتعد عن الظلمة وتذهب إلى نور المعرفة . اسمع ماذا يقول: « لا أعرف الرب » خر ٥ : ٢ ... أتسمع اجابة رئيس هذا العالم إنه يقول إنه لا يعرف الله ... » (١) .

مرة أخرى يتحدث عن استنارتنا بنور القيامة ودخولنا إلى الحياة الجديدة قائلاً :

« إنه يدعى نور الناس ، والنور الحقيقى ، ونور العالم ، إذ يضئ على كل الكائنات العاقلة بواسطة الطاقات التى يبعث بها يلقى بالموت القديم خارجاً ، ويهبنا حياة سامية نلبسها ، حتى أن من يتقبله يقوم من الأموات ، لهذا دعى « القيامة » . وهو لا يقوم بهذا فقط عندما يقول الانسان : قد دفنا مع المسيح بالمعمودية وقمنا معه (رو ٦ : ٤) بل وأيضاً عندما يخلع الانسان عنه كل ما يخص الموت، ويسلك فى جدة الحياة التى للابن وهو ههنا (أى قبل صعوده) .

إننا على الدوام «نحمل فى جسدنا اماتة الرب يسوع» وهكذا نحصد الفائدة السريعة: « لكى تظهر حياة يسوع أيضاً فى جسدنا المائت » ٢كو ٤ : ١٠» (٢).

إن سمة الحياة الجديدة هى غلبتنا أيضاً على آلام الحياة الحاضرة ، إذ يقول :

« قام مرة من بين الأموات ، وهكذا نطق بحديث أقنع تلاميذه بحقيقة القيامة ، حتى أنهم أعلنوها للبشرية باحتمالهم الآلام . لقد كان نظر التلاميذ مركزاً على الحياة الأبدية والقيامة التى امتلأت خلال الكلام والعمل بهذا كانوا يسخرون لكل آلام الحياة الحاضرة » (٣) .

---

(1) Ibid . (2) ANF., vol 9, p. 312 .

(3) In Joan. t 2 c. 19 .

نعمة الروح القدس

يتحدث أوريجانوس فى الكتاب الأول من المبادئ عن أهمية الروح القدس فى خلاصنا قائلاً : « يبدو أنه يليق بنا أن نتساءل : لماذا يحتاج المولود ثانية من الله (١بط ١ :٣) الآب والابن والروح القدس ولا يتمتع بالخلاص بدون الثالوث القدوس ككل ؟ إنه يستحيل التمتع بالشركة مع الآب أو الابن بدون الروح القدس . لهذا يليق بنا فى حديثنا هذا أن نتحدث عن عمل الروح القدس الخاص به كما نتحدث عن عمل الآب والابن .... » (١) .

الروح القدس هو واهب الشركة مع الله ، يعمل داخلنا عقلياً إذ يفتح أذهاننا لمعرفة الكتاب المقدس ويعلن لنا الأسرار الالهية ويهبنا الحكمة ، كما يعمل فى حياتنا السلوكية واهباً لنا ثمر الروح فى القلب ومنطبعاً على تصرفاتنا . يقدس أعماقنا ويمنحنا سلوك أولاد الله .

معلن الحق

« عندما يشير المخلص فى الانجيل إلى التعاليم الالهية العميقة التى لم يستطيع التلاميذ أن يقبلوها (يو ١٦ :١٢ الخ ، ١٤ :٢٦) ... يليق بنا أن نفهم كما أن الابن وحده يعرف الآب ويعلنه لمن يريد فإن الروح القدس وحده هو الذى يبحث أمور الله العميقة ويعلنها لمن يريد » (٢) .

واهب الحكمة والمعرفة

« الروح القدس ، الذى فيه كل أنواع المواهب ، يهب للبعض كلمة حكمة وللآخرين كلمة معرفة ، ولغيرهم الايمان (١كو ١٢ :٨ الخ) » (٣) .

« خلال قيادة الروح يأتى الانسان إلى معرفة طبيعة كل الأشياء » (٤) .

« (حتى المسيحى غير المتعلم) يرتفع فى صلواته فوق العالم كله ... وينطلق فكره إلى السموات العليا ، إذ يقوده الروح الالهى » (٥) .

---

(1) De Prin. 1 : 3 : 5 . (2) Ibid 1 : 3 : 4 .

(3) De Prin 2 : 7 : 3 . (4) Ibid 2 : 7 : 4 . (5) Contra Cels. 7 : 44 .

« أرسل نورك (مز٤٣ : ٣) هذا النور المرسل من الآب إلى ذهن المدعوين للخلاص هو الفهم خلال الروح ، الذى يقود الذين استناروا بالله » (١) .

واهب الصلوات

« صلوات القديسين أمام المسيح موصى بها بالروح القدس » (٢) .

« لا نستطيع أن نقيم صلاة ما لم يلقى الآب عليها ضوءاً ، ويعلمها الابن ، ويعمل الروح القدس فى داخلنا » (٣) .

التقديس

« إذ تحصل (الكائنات العاقلة) أولاً : على وجودها من الله الآب ، وثانياً : تنال طبيعتها العاقلة من الكلمة ، وثالثًا : تتمتع بقداستها من الروح القدس ، عندئذ تصبح قادرة على قبول المسيح فى امكانية بره ... » (٤) .

« الروح القدس هو قوة التقديس » (٥) .

« الروح القدس قدوس هكذا حتى أنه يفوق التقديس ذاته ، لأن قداسته لا تأتيه من خارجه ليصير قدوسًا ، بل هو فى ذاته على الدوام . أما الخليقة فتدخل إلى التقديس خلال الروح القدس ... » (٦) .

« دعى روح القداسة ، لأنه يقدم القداسة للكل » (٧) .

« كل صلاح بشرى ... يوهب خلال الروح القدس » (٨) .

« تسلم منه الوزنة (لو١٩ : ١١) ... أى موهبة الروح القدس ، لأن من يملكها لا يمكن أن يعاقب » (٩) .

« كان يسوع (جائعاً) ، يطلب ثمر الروح القدس فى حياة الأبرار . طعامه - إن أراد أحد أن يقول - هو التين الذى يأكله وهو جائع ، هذا التين هو الحب

---

(1) Sel Ps. 43 : 3 .
(2) On Prayer 2 : 4 .
(3) De Prin. 2 : 6 .
(4) Contra Celsus 1 : 3 : 8 .
(5) De Prin. 1 : 1 : 3 .
(6) In Num. Hom 11 : 8 .
(7) Comm. Rom. 1 : 5 .
(8) Ibid 9 : 24 .
(9) In Luc. Hom. 39 .

المثمر فى حياة من يقتنيه . هذا الحب هو أول ثمار الروح (غلا ٥ : ٢٢) مع الفرح والسلام وطول الأناة الخ ... » (١) .

عمل الروح القدس وحياة الجهاد

مواهب الروح القدس وعطاياه مجانية ، تقدم لنا خلال ايماننا بالمسيح يسوع ربنا ، لكنها لا تعطى للمتراخين المتوانين ، إنما للذين يجاهدون فى جدية من أجل الحياة المقدسة فى الرب .

وللعلامة أوريجانوس أحاديث كثيرة مطولة مع الموعوظين الراغبين فى نوال سر المعمودية ، إذ يطالبهم بالجهاد فى الحياة الفاضلة ما استطاعوا ، هاربين من الشر ، حتى يتمتعوا بنعمة الروح القدس وعطاياه .

« يا من تريد أن تتقبل العماد المقدس وتستحق نعمة الروح يليق بك أولاً أن تخضع لتطهير الناموس أى تتعلم كلمة الله ، وتقطع جذور رذائلك الوحشية، وتصلح حياتك الشريرة البربرية وتمارس الوداعة والاتضاع ، عندئذ تتهيأ لنوال نعمة الروح القدس » (٢) .

« أن تعتمد يعنى أن تعتمد فى موت المسيح ، وخلال المعمودية تدفن معه فى موته ... يلزمك أن تموت أولاً عن الخطية إن أردت أن تدفن مع المسيح ! » (٣) .

« اسمعوا أيها الموعوظين وأعدوا نفوسكم وأنتم بعد موعوظين وغير معمدين ... فإن من يغتسل ليس للخلاص يتقبل المياه دون الروح القدس ، أما الذى يغتسل للخلاص فيتقبل الاثنين » (٤) .

« اذهبوا وتوبوا أيها الموعوظين إن أردتم أن تقبلوا المعمودية لغفران الخطايا ... ليس أحد يأتى وهو فى الخطية (متمسك بها) يأتى إلى المعمودية يقدر أن ينال غفران خطاياه . لهذا أتوسل إليكم أن تظهروا اهتمامًا أعظم وحذراً قبل مجيئكم لنوال العماد . اظهروا ثمر التوبة المقبول (متى ٣ : ٨) .

---

(1) Comm. Matt. 16 : 27 .
(2) In Lev. Hom. 6 : 2 .
(3) Comm. Rom 5 : 8 .
(4) Comm John 32 : 7 .

عيشوا الحياة النقية إلى حين ... وعندئذ تنالوا غفران الخطايا » (١) .

« من يقتني الطهارة فعلاً على مستوى بشرى ويذهب ليغتسل فى معمودية الله ... يقدر الروح القدس أن يجعل منه مسكناً له وتكون له قوته العلوية كثوب » (٢) .

« يأتى الروح القدس للفضلاء ويهرب من الأشرار » (٣) .

يبقى الانسان مجاهداً على الدوام حتى بعد نواله سرّ المعمودية ، حتى ينمو فى الروح ولا يفقد عمله فيه :

« لأن النار الالهية يمكن أن تنطفئ من وقت لآخر ، حتى فى القديسين والمؤمنين . أنظر كيف ينصح الرسول بولس الذين تأهلوا لنوال مواهب الروح وعطاياه قائلاً : لا تطفئوا الروح (١تس ٥ : ١٩) » (٤) .

« واستقر الروح عليهم وتنبأ الكل (عد ١١ : ٢٥) . أننا نقرأ أن الروح يستقر ليس على كل البشر أيا كانوا ، بل على القديسين الطباويين ، لأن روح الله يستقر على أنقياء القلب (مت ٥ : ٨) ، الذين يتنقون من الخطية ، إذ لا يسكن فى جسد مستسلم للخطايا ، حتى وإن كان قد سبق وسكن فيه . لأن الروح لا يقدر أن يسمح بوجود شركة وصحبة مع الروح الشرير . إننا بلا شك عندما نخطئ يأتى روح شرير ويجد له فى قلبنا موضعاً ، أيا كنا نحن ... لهذا فإن خطايانا « تحزن الروح القدس » أف ٤ : ٣٠ . أما برنا وأعمالنا الصالحة فتهيئنا ليجد الروح القدس له فينا موضع راحة » (٥) .

« فتحت فمي واجتذبت لى روحًا إذ اشتقت إلى وصاياك (مز ١١٩ : ١٣١) . من يفتح فمه بالأعمال يجتذب الروح القدس الذى يعلن له أسرار الله . فم النفس هو الفهم . من يغلقه أمام الأفكار الشريرة ويفتحه للأفكار الصالحة يجتذب روح الفهم والنعمة والحكمة » .

---

(1) In Luc. Hom 22 .

(2) Comm. John 32 : 7 .

(3) Comm. John 32, Frag 37 .

(4) In Gen. Hom 15 : 3 .

(5) In Num. Hom 6 : 3 .

الملائكة

الأرواح العاقلة جميعها ، الملائكة ونفوس البشر والشياطين ، خلقت جميعها حرة ومتساوية فى رأى أوريجانوس ، وأن الاختلافات التى تفصل بينهم لا تقوم على ارادة الخالق ، إنما جاءت ثمرة تصرفهم ، أى نابعة عن ارادتهم الذاتية . « البعض قادتهم الحرية إلى الامتثال بالله ، والبعض الآخر إلى خلاف ذلك ، بهذا إما تقدموا إلى الأمام أو سقطوا » (١) .

حتى بين الملائكة أنفسهم كل منهم عهد إليه بعمل حسب استحقاقه ، إذ يقول : « فى رأيى ، يليق بنا ألا نعتبر أنه بمحض الصدفة عهد لملاك أن يقوم بعمل ، ويآخر بعمل آخر ، بمعنى أن روفائيل يهتم بالمرضى ويشفيهم ، وجبرائيل يهتم بالخليقة القابلة للموت . إنما يلزم أن نفترض أن وظائفهم هى ثمرة استحقاقهم ، وأن استحقاقهم إنما جاءت خلال غيرتهم وفضيلتهم التى مارسوها قبل انشاء العالم . لذلك عهدت وظائف معينة بعد خلقة العالم لجميع الذين ينتمون لطغمة رؤساء الملائكة . وهناك أرواح أخرى استحقت أن تضم إلى طغمة الملائكة لتعمل تحت رئيس ملائكة أو أكثر ، أو تحت الرؤساء ... » (٢) .

ملائكة الأمم

يرى أوريجانوس أن الله فى رعايته لخليقته يوكل ملائكته للخدمة . « لكل شئ ملائكة تتعهده : ملائكة تتعهد الأرض وأخرى تتعهد الماء ، والهواء ، والنار ، وكل العناصر المشابهة ، يستخدمهم اللوغوس كأداة لتعظيم حركات الحيوانات والنباتات والكواكب ، بل حتى السموات » (٣) .

ويرى أن الربّ قد عهد كل أمة فى يد رئيس ملائكة ، وقد أخذ هذا التعليم

(1) De Princip. 2 : 9 : 6 .

(2) Ibid 1 : 8 : 1 .

(3) In Jerm. 10 : 6 .

عن التقليد اليهودى الذى يتطلع إلى رئيس الملائكة ميخائيل كحامى لهذا الشعب من قبل الله .

ولا تقف خدمة الملائكة على الشعوب المؤمنة وإنما على كل البشرية ، حتى يدخل الكل إلى انجيل الخلاص . فى هذا يقول : « لم يعهد للملائكة مجرد خدمة واحدة بسيطة لحساب الانجيل ... إنما الملاك الطائر فى الهواء (رؤ ١٤ : ٦) يقوم بعمل ، إذ معه انجيل لكى يصبغ كل الأمم بصبغة انجيلية ، لأن الآب الصالح لا يهمل هؤلاء الذين سقطوا بعيداً عنه » (١) .

الملائكة والبشر

كثيراً ما تحدث أوريجانوس عن عمل الملائكة فى كنيسة السيد المسيح وخدامه المؤمنين ، كجزء من عناية الله ورعايته بالبشرية واهتمامه بخلاصهم . هؤلاء الملائكة يرافقون المؤمنين ويرشدونهم ويحفظوهم من الملائكة الأشرار كما يشتركون معهم فى الصلاة والعبادة .

يمكننا أن نلخص نظرته فى علاقة الملائكة بالبشر فى النقاط التالية :

١- لكل مؤمن ملاك خاص به

« خلال فترة عدم الايمان يكون الانسان تحت سيطرة ملائكة الشياطين ، أما بعد التجديد (فى الجرن) فيعين ذاك الذى يخلصنا بدمه لنا ملاكاً مقدساً ينظر وجه الله بطهارته » (٢) .

« مادمنا لم نبلغ الكمال ، نحتاج إلى من يعيننا لينقذنا من الشرور . إننا فى حاجة إلى ملاك ، الذى يقول عنه يعقوب : « الملاك الذى خلصنى من كل شر » تك ٤٨ : ١٦ » (٣) .

« كل مؤمن – كما أخبرنا – مهما يكن صغيراً فى الكنيسة يعينه ملاك ،

(1) Comm. Joan I : 14 .

(2) Comm Matt. 28 .

(3) Ibid. 26

إذ يشهد المسيح نفسه أن ملائكة (هؤلاء الصغار) ترى وجه الآب على الدوام » (١) .

« إن كنت منتميًا للكنيسة ، فإن ملاكي ينظر وجه الآب بحرية ، مهما أكن صغيرًا . أما لو كنت خارج الكنيسة فلا أجسر على ذلك » (٢) .

« لكل نفس بشرية ملاك يقودها كأخ » (٣) .

٢- الملاك الصالح يحثنا على الصلاح

« لكل انسان ملاكان على جانبيه ، أحدهما صالح ، والآخر شرير . حينما تملأ الأفكار الصالحة القلب إنما يكون الملاك متحدثًا ، هذا أمر لا شك فيه ! وعندما تثور الأفكار الشريرة يكون الملاك الشرير متحدثًا » (٤) .

٣- الملاك الصالح يسندنا ضد الملاك الشرير

« يرسل الله ملائكته الأخصاء ليكونوا دومًا مع خدامه الأتقياء الذين استودعوا نفسهم له ، حتى لا تؤذهم الملائكة الأشرار ، ولا حتى المدعو رئيس هذا العالم » (٥) .

« إننا نعلم أن كل الذين ينعمون برضى الله ، ليس فقط تكون الملائكة على استعداد لمساندتهم ، إنما تشترك معهم في جهادهم حسب مسرة الله ، وتتميم كل نعمة الله عليهم . يشتركون معهم في الصلوات والتضرعات بصلواتهم وتضرعهم من أجلهم .

فإن كل الذين وضعوا رجاءهم في الأمور الصالحة ، حينما يصلون إلى الله ، يجدون عشرات الألوف من القوات المقدسة بجوارهم ، حتى بدون أن يطلبوا منهم نجدهم يصلون معهم وكأنهم دروع لهم ، إذ يكونون في اتفاق تام مع جنسنا المائت ، وذلك لأنهم يبصرون الشياطين وهي تتناحر في حربها

(1) De Principiis 2 : 10 : 7 .
(2) In Luc. Hom. 35
(3) In Ezek. Hom. 1 : 7
(4) In Luc. Hom. 12
(5) ANF, vol 4, p. 653 .

ضد خلاص الذين كرسوا حياتهم لله ، ويكتشفون بالأكثر بشاعة وحشية الحقد والكراهية التى للشياطين نحو الانسان (١) .

٤- يخدمون الانجيل والكرازة

« للرسل ملائكة تساعدهم فى خدمة الكلمة ونشر الانجيل (٢) .

« إن كان يوجد بين البشر من نالوا كرامة الخدمة كإنجيليين ، وإن كان يسوع نفسه قد قدم الأخبار السارة وبشر الفقراء بالانجيل ، بالتأكيد هؤلاء المرسلون الذين صنعهم الله أرواحًا وهم نار ملتهبة (مز ١٠٤ : ٤) ، وخدام لأب الجميع ، لا يستثنيهم الله من أن يكونوا انجيليين أيضاً (أى يقومون بعمل انجيلى) . لهذا نجد ملاكًا يقف بالرعاة حيث يضيئ حولهم نور بهى ، ويبشرهم : « لا تخافوا . فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب » لو ٢ : ١٠ ، ١١ . وإذ قبل الرعاة ذلك تركهم الملائكة إلى السماء . تركونا لكى ندرك مقدار الفرح الذى بشرونا به بميلاد يسوع المسيح ...

لقد تنازلوا إلى الأرض ثم عادوا إلى مواضعهم للراحة ليمجدوا الله فى الأعالى بيسوع المسيح » (٣) .

٥- يشتركون معنا فى العبادة

« تصلى الملائكة معنا ، وتعمل معنا ، قدر ما تستطيع ، حتى نتمتع بالأمور التى نبغيها » (٤) .

« من جهتى أظن أننا نجد فى كل كنيسة يشترك الملاك والانسان معاً فى أعمال مشتركة ... » (٥) .

خلال هذه الشركة تجتمع الملائكة معًا حين نجتمع نحن أيضًا فتكون هناك كنيسة من المؤمنين وأخرى من الملائكة .

---

(1) Ibid. p. 664 .
(2) In Num. Hom. 11 : 4 .
(3) Comm. Matt. 13 .
(4) De Orat. 11 : 5 .
(5) In Luc Hom. 13 .

في هذا يقول :

« يلزم القول عن الملائكة هكذا : إن كان ملاك الرب يعسكر حول خائفي الرب وينجيهم (مز ٣٣ : ٨) ... يبدو أنه عندما يجتمع عدد من الشعب لمجد المسيح ، يكون لكل واحد منهم ملاكه معسكراً حوله ، إذ الكل خائفوا الرب . كل ملاك يرافق الانسان الذي يتعهد بحمايته وتوجيهه . هكذا إذ يجتمع المؤمنون ، توجد كنيستان : واحدة من البشر والأخرى من الملائكة (المعسكرين حولهم) » (١) .

« لست أتردد في القول بأن الملائكة حاضرون في اجتماعاتنا أيضاً ...

تحدث الرب عن هؤلاء الملائكة عندما قال : إن ملائكة (الصغار) ... ينظرون وجه أبي السماوي على الدوام (مت ١٨ : ١٠) .

توجد كنيستان : كنيسة من البشر وكنيسة من الملائكة .

عندما نتكلم بشئ يتفق مع الاتجاه الحقيقي للكتاب المقدس ومعناه الحقيقي تفرح الملائكة وتصلي معنا . لأن الملائكة حاضرة في الكنيسة .

على أي الأحوال ، يأمر القديس بولس أنه في أي كنيسة تستحق أن تدعى كنيسة المسيح يلزم أن يغطي النساء رؤوسهن عند الصلاة ، وذلك من أجل الملائكة (١كو ١١ : ١٠) . من الواضح أنهم الملائكة الذين يرافقون القديسين ويفرحون بهم في الكنيسة . هؤلاء لا نقدر أن نراهم لأن أعيننا قد اظلمت بدنس الخطية ، لكن التلاميذ رأوهم ... » (٢) .

الملائكة الأشرار

١- يتساءل أوريجانوس عن مصدر الشر ، من أين هو ؟ ويجيب أنه ليس من عند الله وإلا ما كان هو الله ، ولا من المادة لأنها من صنع « الكلمة » الذي به كان كل شئ (يو ١ : ٣) ، والذي يضم كل شئ حافظاً الكل (٣) ، إنما هو من صنع المخلوق نفسه .

---

(1) De Orat. 31 : 4 .
(2) In Luc. Hom. 23 .
(3) Hom. 3 in div loc .

إن كـان « كل شئ بالكلمـة كـان » يـو ١ : ٣ ، فـالشـر عنده ليس شـيئـًا مـوجـوداً إنمـا هـو « عدم وجـود » للخـير ... هـو لـيس مـن صنـع الكلمة فـهـو « عدم » .

في هذا يقول : « إذ كل شئ بالكلمة كان (يو ١ : ٣) ، فمن الخطأ أن نفهم « كـل شئ » هنـا أنهـا تضم وجـود الـشر وفـيض الخطيـة كـأنهمـا مـن صنع الكلمـة ... فإن الرسول يبدو أنه يدعو الأشياء الشريرة كأنها غير موجودة ، إذ يقول : « الله يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة » رو ٤ : ١٧ . فالشر اذن هو « عدم وجود » لأنه وجد بغير الكلمة » (١) .

أمـا الشيطان ومـلائكته فقد خلقوا صـالحـين وهـم أخطـئوا بارادتهم ... « الذين يقولون أن الشيطان ليس خليقة الله مـخطئون . فبقدر ما هو شيطان ليس خليقة الله ، أما الشـخص نفسه (كمخلوق) فـهو خليقة الله . وذلك كالقول بأن القاتل ليس خليقة الله ، لكنه كانسان هو خليقة الله » (٢) .

٢- أجـاب أيضـًا أوريجـانوس على التـسـاؤل : لمـاذا سـمح الله بوجـود الشيطان ؟ وكانت الاجابة هكذا :

أولاً : به يجرب المؤمنون ويمتحنون (٣) ، بهذا يتكللون . كما يقول : « لم ينزع الله عن الشيطان سلطانه على الأرض ... لأجل تكميل الذين عينوا لنوال الاكليل » (٤) .

ثانياً : يستخدمه الرب كأداة للتأديب .

« إننا لسنا تحت سلطان الشيطـان ، بل تحت سلطان اله المسكونـة بيسـوع المسيح الذى يحضرنا إليه . حسب قوانين الله لم يرث الشياطين سلطاناً على الأمور التى على الأرض ، لكنه يمكننا أن نفترض أنه خلال جسارتـهم على قانون الله قسموا فيما بينهم المواضع التى ليس فيـها معرفة الله ولا يـوجد

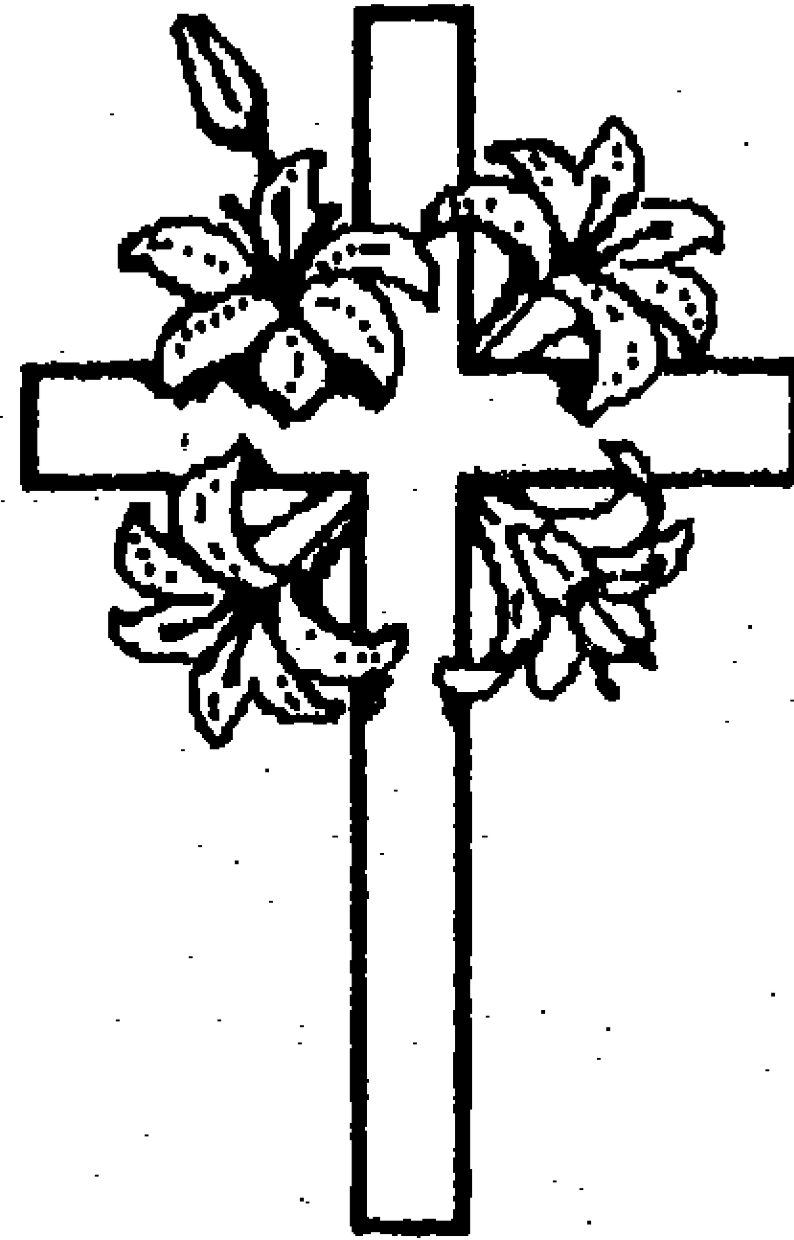
---

(1) In Job tome 2, c. 7 .
(2) Ibid .
(3) De Principiis 2 : 3 : 2 .
(4) In Num. Hom. 13 : 17 .

السالكون حسب ارادته ، أى صار لهم سلطان حيث وجد أعداء كثيرون للاهوت. وهناك افتراض آخر أن الله قد تركهم يحكموا المسكونة حيث يوجد الأشرار ، وذلك لمعاقبتهم إذ أخضعوا أنفسهم للخطية لا لله .... (١) .

ايهما أعظم المؤمنون أم الملائكة ؟

« إننا لا نجهل أن الذين سوف يخلصون فى المسيح سيفوقون بعض الملائكة ... ولكن ليس جميعهم » (٢) .



(1) Contra Cels. 5 : 33 .

(2) Comm. Matt. 13 .

النفس البشرية

عاش العلامة أوريجانوس فى عصر كان الصراع على أشده من جهة حرية الارادة البشرية والجبر . إذ يرى البعض أن انساناً يولد فى حضن الكنيسة وآخر فى بيئة وثنية ، انسان يعطى الحكمة وآخر يحمل غباءاً ، انسان يولد ليرث الغنى وآخر يتمرر فى الفقر ، انسان يولد فى بيئة متحضرة وآخر فى جو همجى . بمعنى آخر فى كل موضع يعقوب المختار وعيسو المرفوض . حتى بين الملائكة أنفسهم توجد درجات : عروش وسيادات وسلاطين وقوات ، بل وبين الملائكة الساقطين توجد درجات ... هذا دفع الغنوسيين للمناداة بالجبر والمصير ، محطمين كل حرية للارادة البشرية . هذا ما دفع القديس أكليمنضس أن يتحدث عن « الايمان » مؤكداً أنه « من الارادة الحرة » ، لها أن تقبله أو ترفضه ، بالرغم من أن الايمان هو هبة الهية ، بل والارادة الحرة هى عطية الله للانسان (١) !

لكن بقى السؤال مطروحاً : إن كان هناك حرية للارادة البشرية ، فلماذا لم تعطى العناية الالهية لكل النفوس البشرية فرصاً متساوية ؟!

لقد تجنب القديس أكليمنضس الاجابة على ذلك (٢) .

أجاب أفلاطون على ذلك بأسطورة إر Er الأرمنى وانتهى إلى النتيجة التالية : الله ليس بمسئول عن ذلك ، فإن النفس هى التى تختار نصيبها قبل ميلادها . تبنى باسيليدس ذات النظرية ، أما القديس أكليمنضس فقد وضعها جانباً (٣) . أما أوريجانوس الذى يرفض أن يكون الانسان مجبراً على شئ فقد قبل الفكرة قائلاً بأن الخليقة العاقلة جميعها موجودة منذ البدء ، خلقها الله

---

(١) راجع « الايمان » فى حديثنا عن القديس أكليمنضس .

(2) Lebereton, vol 4, p. 783 .

(٣) Eclogae prophetic. ١٧ : ١ « أننا لم نوجد قبل أن يخلقنا الله . لو أننا قبلنا وجوداً سابقاً لنا ، كان يليق بنا أن نعرف أين كنا ، وكيف كنا ، ولماذا جئنا إلى هذا العالم ؟ » .

متساوية ومتشابهة ، إذ لا يوجد سبب أن يخلقها متمايزة عن بعضها البعض ومختلفة . وأن هذه الخليقة العاقلة أعطيت حرية الارادة ، فالبعض منها تقدم خلال امتثاله بالله والأخرى سقط بسبب اهماله (١) . وأن النفوس الساقطة قد لبست الجسد وجاءت إلى هذا العالم لأجل تنقيتها ... وكأن العالم هنا هو مجال للتأديب والتنقية . بمعنى آخر كل البشر نفوسهم لها وجود سابق ... وأن الظروف التى خلقت عليها الأجساد جاءت نتيجة لتصرف النفوس بكمال حريتها .

بحسب أوريجانوس لا تقدر خليقة أن تعيش دون أن تتحد بجسد ما ، بل الله وحده ، الثالوث القدوس ، هو غير الجسدى بطريقة مطلقة . لكن الأمر يختلف حسب الأرواح التى قدر لها أن تتحدد بأجساد حسب استحقاقاتها . إذ يقول : « إذ تعطى (الأجساد) لأرواح أقل فى الدرجة تكون صلدة وثقيلة بطريقة تكون الأنواع المختلفة من مادة هذا العالم المنظور ، وأما إذا وضعت لخدمة خليقة عاقلة أكثر سمواً وسعادة ، فإنها تضئ ببهاء الأجساد السماوية وتعمل كلباس لملائكة الله وأبناء القيامة » (٢) .

هذه احدى الأخطاء التى أدانت أوريجانوس ، اعتقاده بخلقة النفوس قبل الأجساد ، وأن ارتباطها بالجسد هو نوع من العقوبة بسبب خطايا ارتكبتها سابقاً (٣) . إذ يرى أن كلمة تأسيس العالم (Katabal) فى أف ١ : ٤ ، إنما تعنى النزول أو الهبوط وكأن النفس تنزل إلى العالم المحسوس كمكان للتطهير . لذلك ففى النهاية تعود كل الخليقة إلى أصلها فى الله ، إذ تخلص كل البشرية ، ويكون للعقوبة الأبدية نهاية ، حتى الشيطان أيضاً – فى نظره – سيخلص ... إذ تكون النصرة فى النهاية للخير .

فى رأيه أن كل الأرواح – الملائكة والشياطين ونفوس البشر – خلقت متساوية وستنتهى أيضاً هكذا ، إذ يقول : « النهايات مثل البدايات . ستكون

(1) De Princ. 2 : 9 : 6 .

(2) Ibid. 2 : 2 : 2 cf. 1 : 5 : 3 .

(3) Ibid 1 : 8 : 1, 2 : 1 : 1 .

لكل الخلائق ذات النهاية ، ويلزم أن يخلص الجميع كما كان لكل نفس البداية ، (١) . سيكون الله هو ، الكل فى الكل ، حتى يعود كل شئ لله خلال اصلاح الجميع وتطهيرهم ، حتى الأرواح الشريرة (٢) .

رأى فى الوجود فى العالم تأديبًا للنفس وعلاجًا لها ، وأن هذا التأديب له نهاية حتى فى الحياة المقبلة . فالموت يكون له نهاية ،

فى حديثه عن سدوم وعمورة يقول :

، الله هو شاف وأب ، هو سيد طيب غير قاسى ...

لا تظن أنهم بعد سقوطهم تحت الموت والعذابات تبقى العذابات تلاحقهم، فقد عوقبوا هنا فى هذه الحياة حتى لا تكون بعد حاجة للعقاب فيما بعد ، (٣).

ويلاحظ أنه رفض قول الفيثاغوريين بأن النفوس البشرية تتقمص أجساد الحيوانات (٤) ، كما رفض قول أفلاطون بأن نفسًا بشرية تنتقل من جسد انسان إلى جسد آخر (٥) .

هناك ملحوظة أخرى أن أوريجانوس نفسه قد قال أن القول بخلاص الشيطان أمر لا يمكن قبوله (٦) ، مما يدعو للقول بأن ما جاء فى كتاباته بهذا الشأن مدسوس عليه .

مركز النفس بالنسبة للخليقة

نختم حديثنا عن النفس البشرية بتأكيد أن عالم الخليقة العاقلة كله – بما فيه من نفوس البشر – فى نظر أوريجانوس ، ومن بعده القديس غريغوريوس

---

(1) Ibid 1 : 6 : 2 .

(2) Baus : p. 239. De Princi 1 : 6 : 1 , 3 : 6 : 6 , Contra Celsus 8 : 72 .

(3) In Ezek. Hom. 12 .

(4) Contra Cels. 5 : 49, 8 : 30 .

(5) Ibid 4 : 17 .

(٦) مقتطف عن رسالة لصديق له ، اقتبسها روفينوس .

أسقف نيصص ، يمثل حركة سريعة من البداية إلى النهاية ، تحتضن هذه الخليقة كلها ، وتدخل بها إلى اتحاد مع الله ، ليصير الله هو الكل فى الكل (١) . بهذا فإن الانسان عند أوريجانوس ليس إلا عنصراً فى عالم الأرواح وليس هو مركز الخليقة كما فى غريغوريوس .



(1) J. H. Strawley : the Catechtical Oration of Gregory of Nyssa, p. XII .

الحياة الروحية

١- اعرف نفسك

الحياة الروحية غايتها اللانهائية هى عودة الانسان إلى طبيعته الأولى ، أى يكون على صورة الله . لهذا يليق بالانسان أن يتعرف على نفسه ، يعرف ما هو عليه الآن ، ويدرك حقيقة طبيعته الأصلية ، فيتقبل فى داخله السيد المسيح الذى يحطم قوة الحياة الفاسدة ويقيمنا على مثاله .

فى هذا يقول العلامة أوريجانوس : « الخطية جعلت الانسان مثل الشيطان، حيث ذهب إلى خلاف طبيعته الأصلية ، وصار يتطلع إلى صورة الشيطان . وإذ رأى مخلصنا أن الانسان الذى جبله على صورته قد اهتز فيه شبهه وأراد أن يمتثل بالشيطان ، ترأف المخلص وأخذ شكل الانسان ونزل إليه ...

حقًا إن الذين جاءوا إلى (المخلص) وجاهدوا للامتثال به يتجددون داخلياً يوماً فيوم ، ويتقدمون حتى يبلغوا إلى حمل صورة خالقهم » (١) .

مرة أخرى يقول : « قبل مجئ ربنا ومخلصنا ملكت الشياطين فى أذهان البشر وأجسادهم ، وصارت لهم ملكية لأرواحهم بغير منازع . لكن ظهرت نعمة الله مخلصنا ورحمته على الأرض ليعلمنا كيف تستعيد كل روح بشرية الحرية وتصير على صورة الله التى خلقت عليها ... » (٢) .

هكذا تبدأ الحياة الروحية باكتشاف النفس أصلها وتحققها لكرامتها كصورة الله ، مدركة أن العالم الحقيقى هو فى داخلها ، حيث يقيم الله فى النفس ويعمل فيها ويصارع معها ضد الشياطين التى ملكت عليها حتى تصير على صورته من جديد .

٢- اتجاهات الطريق

الحياة الروحية ، أو طريق النفس فى انطلاقها من روح العبودية إلى مجد الحرية ، وعودتها إلى صورة الله تسلك اتجاهين متكاملين ومتلازمين هما :

---

(1) In Gen. Hom 1 : 15 .

(2) In Josh Hom. 14 : 1 .

الاتجاه التأملى ، رؤية الله ومعرفته ، واتجاه نسكى . فى هذا يقول : « يكون طريق الرب مستقيماً بطريقين: بالتأمل theoretikon وبالسلوك praktikon » (١).

فبخصوص التأمل تحدث عن الكلمة الالهية ، بأن اللاهوت محاط بسر خفى لا يمكن ادراكه والتعرف عليه ، وأن موضع الله محاط بسحابة عدم المعرفة (٢) . هذا وأن النفس لكى تنعم بالرؤيا الكاملة والتأمل فى الالهيات غير المدركة يلزمها أن تتخلى عن رغبات الطبيعة الفاسدة (اتجاه نسكى) ...

هذا الاتجاه التأملى النسكى وجد له مكانة فى عظاته المشهورة عن « محطات البرية » فى تفسيره لسفرى الخروج والعدد ، إذ وجد فى رحلة الشعب من مصر إلى أورشليم صورة رمزية لرحلة المسيحى نحو الكمال . واستطاع أن يميز ٤٢ محطة للنفس فى رحلتها من أرض العبودية وانطلاقها إلى أرض الحرية (٣) .

فى هذه الرحلة تمر النفس بمراحل ثلاث : التطهير من الخطايا ، الاستنارة (المعرفة الالهية) والاتحاد مع الله حيث تلتقى به فى أحضان عروساً مقدسة له .

فى هذا شابه فيلون اليهودى والقديس أكليمنضس الاسكندرى ، لكنه تحدث بأكثر تفصيل بطريقة منهجية حتى أعتبر أوريجانوس مؤسس اللاهوت النسكى السرى فى المسيحية (٤) .

٣- العمل الالهى

سرّ القوة هو سكنى المخلص فى داخل حياتنا ، هذا الذى يثير الحرب ضد الشر الذى فينا ويغلبه ليملك هو فى قلبنا .

« إلى يومنا هذا يثير ربنا يسوع المسيح حرباً ضد القوات المعادية ويطردها خارج المدن التى تقطنها ، أى يطردها خارج نفوسنا . إنه يقتل الملوك الذين يملكون فى نفوسنا ، فلا تعود تملك الخطية فينا (رو ٦ : ١٢) ، وتصير

---

(1) In Joan. Hom 6 : 2 .
(2) Ibid 2 : 23 .
(3) In Num. Hom. 27 .
(4) M. C. Me Lelland, p. 126 .

نفوسنا مدينة الله ، ويملك هو علينا ، فيقال لنا « هوذا ملكوت الله داخلكم » لو ١٧ : ٢١ » (١) .

« مع أن المسيح داخلنا هو الذى يغلب ، فإن النصرة التى يقتنيها خلالنا يحسبها أعظم من تلك التى اقتناها بنفسه » (٢) .

يحارب الرب داخلنا حتى يعيد إلينا صورته فينا بالكامل ، إذ يقول : « المخلص هو الرب ، وهو وحده الذى يسعى ليجعل خادمه مثله » (٣) .

بهذا يصير الرب هو الهنا ... أى ينسب لنا ، وننسب نحن له ، إذ يقول : « إنه ليس إله كل البشر (لأن ليس الكل يقبلونه) بل إله الذين بالنعمة يهبهم ذاته ، وذلك كما فعل مع الآباء البطاركة (ابراهيم واسحق ويعقوب) ، قائلاً لهم: « أنا هو الهكم » تك ١٧ : ١ » (٤) .

فى رد أوريجانوس على كلسس الذى يعتز بأقوال الفلاسفة اليونان أوضح أن الفارق بين كلمات السيد المسيح والفلسفات اليونانية أن الأولى تحمل سلطاناً الهياً تغير حياة البسطاء والمتعلمين أيضاً ، الأمر الذى ينقص الثانية (٥) .

٤- عمل النعمة فى حياتك

سكنى المخلص فينا إنما هو عمل نعمة الله المجانية التى تعطينا الاتحاد به، لتكون لنا شركة آلامه حتى نتمتع بقوة قيامته ويستريح قلبنا به أثناء جهادنا .

يقول : « بنعمة الله ندفن مع المسيح ونقوم معه . إن كنا حقًا نتشكل فى شبه قيامته ، ونسير معه فى جدة الحياة » (٦) .

بهذا لا نحمل اسم المسيح فقط إنما نحمل نعمته عاملة فينا ، التى تهب القلب راحة حقيقية من أعمال الشر ودخل به إلى « السبت » أى الراحة فى

(1) In josh. Hom. 13 : 1 .
(2) In Num. Hom. 7 : 6 .
(3) Com. Joan. 32 : 10 .
(4) In Jerm. Hom. 9 : 3 .
(5) Contra Cels. 7 : 54
(6) Comm. Joan 20 : 25 .

الرب . إذ يقول : « من يحيا فى المسيح يحيا فى السبت على الدوام ، يستريح فى سلام من الأعمال الشريرة ، ويعمل أعمال البر بلا انقطاع . لكن كثيرون لهم اسم المسيح وليس لهم نعمته ، هؤلاء لهم راحة من الأعمال الصالحة (أى يتوقفون عنها) ويمارسون الأعمال الشريرة » (١) .

بالنعمة ينفتح القلب للتسبيح الحقيقى : « إن لم يكن الذهن مملوء نعمة الله، لا يقدر أن يشير إلى تسبيحات مجده » (٢) .

٥- الجهاد الروحى

تحدث أوريجانوس عن ضرورة التحام الأعمال الصالحة بالايمان ، وارتباط الجهاد الروحى بالنعمة الالهية . لقد ربط بين الصعود السرى أو الروحى والجهاد النسكى الجاد من أصوام وأسهار مع قراءة مستمرة فى الكتاب المقدس وممارسة للاتضاع (٣) .

فيما يلى بعض مقتطفات من أقواله فى هذا الشأن :

« حين نترك مصر يلزمنا أن تكون لنا بعض المعرفة بالناموس والايمان وأن يكون لنا ثمر فى شكل أعمال مرضية لله (كو ١ : ١٠) » (٤) .

« نعمة الله لا توهب للذين تنقصهم الغيرة فى عمل الصلاح ، كما لا تقدر الطبيعة البشرية أن تنعم بالفضيلة دون عون من فوق » (٥) .

« توهب نعم الله للذين بالايمان والفضيلة يتهيأون لقبولها » (٦) .

« يكون المسيح حاضراً فى كل انسان قدر ما يستحق » (٧) .

---

(1) Comm. Mat. 45 .

(2) Note on Ps. 71 : 8 .

(3) In Jerm. Hom. 8 : 4 , In Exod. Hom. 13 : 5 .

(4) In Num. : Hom. 27 : 6 .

(5) Comm. Inéd des Psaimes 118 : 32 b .

(6) Comm. Joan, Frag 41 (on 3 : 27) .

(7) Princ. 4 : 4 : 2 .

حقاً إن الله لا يبخل عن أن يعطي نعمته وأن يتجلى في حياة كل الناس ، لكنه إنما يهب قدر ما يعلن الانسان عن احتياجه لعطية الله خلال جهاده ، إذ يقول : « مع أن الله واحد في جوهره لكنه يأخذ أشكالاً كثيرة في حياة الناس الذين يعمل فيهم حسب احتياجهم » (١) .

مرة أخرى إذ يتحدث عن التجلي يقول : « يظهر الكلمة بأشكال متنوعة حسب قدرة الانسان . فيظهر للبعض بلا شكل أو جمال ولآخرين باهر الجمال » (٢) .

وهو يرى أن الذين يتبعون مثال السيد المسيح فيختارون بحريتهم الحياة البتولية ينالون هدفهم بأكثر سهولة (٣) .

الجهاد والحرية الانسانية

ركز العلامة أوريجانوس – مثل معلمه القديس أكليمنضس – على حرية الارادة الانسانية في عمل النعمة الالهية ، وذلك لمواجهة الغنوسيين الذين نادوا بالجبر وأفقدوا الانسان كل حرية لارادته .

« إن نزع عنصر حرية الارادة على الفضيلة تدمر كيانها » (٤) .



(1) In Num. Hom. 9 : 9 .

(2) Hom. Luke 15 .

(3) In Num. Hom. 24 . 2, Com Cont. 2 : 155 .

(4) Contra Celsus. 4 : 3 .

الكنسيات

اعتزازه بالكنيسة

مشاعره نحو الكنيسة عميقة عمق أحاسيسه المرهفة نحو السيد المسيح نفسه ، فهو يراها كنيسة المسيح نفسه ، والمسيح إنما هو مسيح الكنيسة ، هي أم والمسيحيون أبناء لها .

نشأ منذ الطفولة في أحضان الكنيسة ، نبوغه لم يزده إلا تمسكاً بالعضوية الكنسية ، لهذا عندما حرمه البابا ديمتريوس الكرام لم يأخذ موقفًا مضاداً من الكنيسة مع أنه كان له من المعجبين به بين الرهبان وبين شعب الاسكندرية!

يظهر اعتزازه بالكنيسة من قوله :

« نحن من الكنيسة ،

أنا رجل الكنيسة ،

أعيش في ايمان المسيح ،

وأقيم وسط الكنيسة ... » (١) .

وكما يقول هنري دي ليوباك : « لقد عرف أن المعرفة التي تغير حياة البشر وتقودهم إلى الحياة المقدسة تأتي فقط ... من المسيح ، وأن المسيح يوجد فقط في الكنيسة المملوءة من بهائه . الكنيسة هي عمود الحق وهي المعين الأكيد له ، حيث يسكن فيها ابن الانسان بكماله » (٢) .

في احدى عظاته على انجيل القديس لوقا يقول : « أما عن نفسي ، فأرغب أن أكون رجل الكنيسة الحقيقي ، أن أدعى باسم المسيح وليس باسم أي قائد هرطوقي . أن يكون لي هذا الاسم المطوّب فوق كل الأرض . أشتاق أن أكون مسيحياً وأن ألقب هكذا في أعمالي وفي أفكاري (٣) .

---

(1) Henri De Lubac : Origen, On First Prinsiples, N. Y. 1966, p. X .

(2) Ibid XI . (3) Ibid XIII .

الكنيسة بيت الخلاص

الكنيسة لا تهدف فقط نحو الحفاظ على الكتاب المقدس ، بل هى المفسر الأصيل له ، لأنها وحدها قد تقبلت من السيد المسيح النور الذى يضئ على الجالسين فى الظلمة (١) . هى الفلك الحقيقى الذى فيه وحده يجد الناس الخلاص ، والبيت الحامل علامة دم المسيح ، خارجه لا يوجد خلاص (٢) . تشبه مدينة محصنة من يبقى خارج حصونها يؤسر ويقتل بواسطة العدو (٣) . يدخل الناس بيت يسوع وذلك بحياتهم بروح الكنيسة (٤) .

لهذا هاجم أوريجانوس الهراطقة والمشتقين على الكنيسة بشدة ، وهو القائل : « لا خلاص لانسان خارج الكنيسة » (٥) . التعبير الذى استعاره القديس كبريانوس من بعد .

فى عظاته على انجيل لوقا (٦) : « تعلم أين وجده الباحثين عن يسوع ، لتبحث أنت أيضاً مع مريم ويوسف فتجده ، إذ يقول الانجيلى : « وجداه فى الهيكل جالساً فى وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم » لو ٢ : ٤٦ ... ابحث عنه فى هيكل الله ... ابحث عنه بين المعلمين الذين هم فى الهيكل لا يفارقونه . بهذا تجده ! » .

كنيسة واحدة

« كل انسان يصلى ويرتل لله بتسابيح قدر ما يستطيع ، وباللغة التى يعرفها . والرب الذى هو اله كل لسان على الأرض يسمع الذين يصلون إليه بألسنتهم الخاصة ، وكأن للجميع صوت واحد وصلاة واحدة ، إنما بلهجات هذا عددها (٧) .

هذه الكنيسة ذات الصوت الواحد أمام الله ، يختلف أعمال أعضائها

---

(1) In Gen. Hom. 1 : 5 .

(2) In Gen. Hom. 2 : 3 .

(3) In Jerem. Hom. 5 : 16 .

(4) Disput. cum Heracl 15

(5) In Josuam Hom. 3 · 5 .

(6) In Luc. Hom 18 .

(7) AN Frs. vol 4 , p. 653 .

حسب مواهبهم ، ليكمل أحدهم الآخر :

« الذين يدعون عيون لهم بلا شك نور الفهم والمعرفة ، آخرون يدعون آذاناً يسمعون كلمة التعليم ، وآخرون يصنعوا أعمالاً صالحة ويتمموا عمل الدين » (١) .

التقليد الكنسي والفلسفة (٢) :

حب أوريجانوس الشديد للكنيسة جعله يتمسك بالتقليد الكنسي ، لكنه لم يقتصر على ترديد ما تسلمته الكنيسة ، إنما كان يدخل إلى أعماقه ويفسره ، وهو في هذا يستخدم الفلسفة اليونانية متى استطاعت أن تفيده . كان منهجه البحث الحر ، يميز بين نوعين من الحقائق الكنسية . الحقائق الايمانية التي تسلمتها الكنيسة بالتقليد والحقائق التي يمكن أن تناقش في حرية بين المؤمنين. الأولى يتمسك بها أشد التمسك ، لكنه كان جريئًا كل الجراءة في فرض الفروض الكثيرة فيما يختص بالنوع الثاني من الحقائق .

سمات رجال الكهنوت الكنسي

١ - فقرهم الاختيارى

عرف أوريجانوس بشدته في التوبيخ ، حتى قال عن نفسه « قد يبدو (حديثي) قاسيًا جداً ، لكنني هل أغطي حائطاً ينهار بطبقة من الخارج (Plaster) ؟! » (٣) . هذا العنف لم يكن نحو الشعب وحده ، بل ونحو الأساقفة والكهنة ، بل حتى نحو نفسه ككاهن كارز بالكلمة ، ففي حديث له يتحدث فيه عن كهنة فرعون يقول :

« أتريد أن تعرف الفارق بين كهنة الله وكهنة فرعون ؟ فرعون أعطى أراضي لكهنته ، والرب يقول لكهنته : « أنا نصيبكم » ...

---

(1) Comm. on Song of Songs 2 : 8 .

(٢) الأنبا غريغوريوس : أوريجينوس (١) المقدمة ، فلسفة أوريجانوس .

(3) In Gen Hom. 10 : 1 .

لنسمع ماذا يأمر المسيح ربنا كهنته : « إن لم يترك كل منكم ماله لا يقدر أن يكون لى تلميذاً » .

إنى أرتعب حين أقول هذه الكلمات ، فإننى قبل الكل أتهم نفسى وأدينها . المسيح يرفض أن يحسب من يمتلك شيئًا تلميذاً له ... فماذا نحن فاعلون ؟! كيف نقدر أن نقرأ هذه ونشرحها للشعب نحن الذين ليس فقط لم نترك ما لدينا بل نشتهى أن ننال ما لم يكن لدينا قبل أن نجئ للمسيح ؟ هل لأن ضمائرنا تتهمنا نقدر أن نلغى ما هو مكتوب ؟ إنى لا أريد أن تكون جريمتى مضاعفة ! إنى أعترف أمام كل الشعب الذى يسمعنى - أن هذا مكتوب - بالرغم من معرفتى إنى لم أنفذه . لكننى على الأقل اليوم - بعد هذا الانذار ، لنسرع وننفذ المكتوب لنسرع ونعبر من كهنة فرعون الذين لهم ممتلكات أرضية إلى كهنة الرب الذين ليس لهم نصيب هنا أسفل ، بل نصيبهم الرب » (١) .

٢- القدرة على ادراك الحق والتعليم

« يستطيع أى (كاهن) أن يمارس الأعمال الليتورجية المقدسة أمام الناس ، لكن ليس كثيرون يسلكون الحياة المقدسة ، ولهم معرفة عظيمة بالتعليم المسيحى ، أناس مملوءون حكمة ولهم قدرة غير مشكوك فيها فى تعليم الآخرين الحق » (٢) .

« الكاهن هو انسان له الأوانى المقدسة ، أى لديه أسرار الحكمة المخفية المعهودة إليه .

ينبغى أن نأخذ درسًا منها (الأوانى المقدسة المخفية) ، وأن يتحقق أنها محفوظة خلف حجاب ضميره ، غير مستعد لاعلانها للعامة . وإن اقتضت الظروف أن يقدمها لغير المتعلمين فيلزم ألا يقدمها بدون أن تكون مغلقة وإلا يكون قد ارتكب جريمة قتل إذ يهلك العامة » (٣) .

« ينزع الكاهن الجلد عن الذبيحة المقدمة كتقدمة ... هكذا ينزع الانسان

---

(1) In Gen Hom. 16 : 5 . (2) In Lev. Hom. 6 : 6 .

(3) Ibid 12 : 7 .

حجاب الحرف عن كلمة الله ويكشف الأعضاء أى المعنى الروحى المختفى خلفه » (١) .

٣- لا يطلبون العمل الكهنوتى لأجل الكرامة

« حتى فى كنيسة المسيح يوجد رجال يطلبون الولائم ... يحبون أن يتكئوا فى الأماكن الأولى ، فالبعض يطمعون أن يصيروا شمامسة . بعد ذلك يرتفعون إلى وظيفة كاهن ... والبعض لا يقتنعون بذلك لكنهم يطمعون فى نوال درجة الأسقفية » (٢) .

٤- مسئولية رجال الكهنوت

وفى عظة له على حزقيال يتحدث عن مسئولية العاملون فى كرم الرب قائلاً :

« كل الخطاة فى الكنيسة يستحقون العقاب ، لكن العقاب يختلف حسب الرتبة التى للانسان ...

فالموعوظ يستحق عقاباً أكثر رحمة من المؤمن ...

والشماس يمكن أن يكون له سبب للعفو عن الكاهن . أما ما يسقط تحته الكاهن فلا حاجة لى أن أخبر عنه ... إنى أرتعب من حكم الله حين أضع أمام مخيلتى ما سيحدث ...

أضع قدام ذهنى هذا القول : « إن كان الحمل ثقيل عليك فلا ترفعه ! » . أى صلاح لى أن يجلسوننى على كرسى فى موضع للكرامة ... إن كنت أعجز عن القيام بالواجبات التى يلتزم بها هذا المركز ؟! ستكون العقوبات أشد ، لأن الكل يعاملنى باحترام كما لو كنت انساناً صالحاً مع أننى فى الحقيقة أنا خاطئ ! » (٣) .

---

(1) Ibid 1 : 4 .

(2) Comm. Ser. Matt. 12 PG 13 : 1616 B .

(3) In Ezek. Hom. 5 : 4. PG. 13 : 707 a .

مرة أخرى يقول : « يوجد دين مستحق على الشماس وآخر على الكاهن ، وأما المستحق على الأسقف فهو أثقلهم حيث يطالبه مخلصى الكنيسة كلها بـه ... » (١) .

تحدث أوريجانوس عن مسئولية رجال الكهنوت من جهة التعليم وحث المؤمنين على العطاء للفقراء (٢) ... الخ .

الحاجة إلى الحل الكهنوتى

« لا يخلص العلمانى من خطاياه بنفسه ... يلزم أن يكون له كاهن أو حتى شخص أعلى منه فى الدرجة ، أى يحتاج إلى رئيس كهنة » (٣) .

« إن لم يكن الانسان مهتمًا أن يكون مقدساً لن يفكر فى تقديم التوبة عن خطاياه التى يرتكبها ، ولا يقدر أن يطلب العلاج . أما القديسون فيقدمون التوبة عن خطاياهم . إنهم يشعرون بجراحاتهم ويطلبون كاهنًا ويسألون العلاج ... » (٤) .

حدود الحل الكهنوتى

« يوجد كهنة ، هم بالحق كهنة الكاهن الأعظم ، هؤلاء يتقبلون معرفة الشفاء المنحدر من قبل الله ، وتعلموا من الروح القدس ما يخص الخطايا التى يرفعوا عنها ذبيحة ، ومتى يكون ذلك وبأى كيفية . كما تعلموا أى الخطايا التى لا ينبغى أن يصنعوا عنها هكذا (التى لا يقدم عنها مرتكبيها توبة) . لكن يوجد آخرون لا أعلم كيف ادعوا **لأنفسهم بغير وجه حق قدرة شخصية على الحل أكثر مما لسلطانهم الكنسى حسب الطقس** . ربما لعدم تمكنهم من معرفة حدود اختصاص الكهنوت الذى لهم ، فافتخروا أنهم قادرون أن يغفروا خطايا مثل عبادة الأوثان والزنا والنجاسة (دون تأديب) على أساس أنه بصلاتهم يحلونها، حتى لو كانت خطاياهم للموت (١يو ٥ : ١٦ ، ٢بط ٢٠ : ٢٢) » .

---

(1) On Prayer ch 28 .

(2) Comm. Matt. 15 : 15 .

(3) In Num. Hom 10 : 1 .

(4) Ibid .

« الذين ينالون درجة الأسقفية بالتأكيد ما يربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء ... وما يحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء . هذا وما يقولونه يكون صحيحاً بشرط أن يتمموا عمل المسيح الذي كان في ذهنه حين قال لبطرس : « أنت هو بطرس ... » متى ١٦ : ١٨ . فإن أبواب الجحيم لا تقوى على الأسقف حين يربط أو يحل . أما إذا سقط هو نفسه في الشر (أم ٥ : ٢٢) فإن ما يربطه ويحله (بطريقة شريرة) يكون باطلاً » (١) .

الكاهن حامل للسيد المسيح

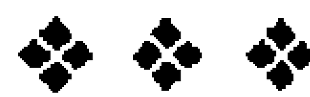
في تعليقه على كلمات قائد المئة للسيد المسيح أنه غير مستحق أن يدخل تحت سقف بيته (مت ٨ : ١ - ١٣) . يقول : « فإنه حتى الآن حينما يدخل قادة الكنيسة المقدسون والذين يرضون الله تحت سقف بيتنا ، يدخل الرب نفسه خلالهم ، ولتحسب أن الرب قد دخل إليك » .

سر الكهنوت والكهنوت العلماني

تحدث كثيراً أوريجانوس عن الكهنوت الكنسي ومسئولياته وكرامته وعمله التعبدي والكرازي والتعليمي ، هذا الكهنوت كسر كنسي يختلف عن الكهنوت العلماني الذي يوهب لجميع المؤمنين بسر الميرون ، حيث نصير مقبولين لدى الله ، نقدم صلواتنا وتشكراتنا اليومية ذبيحة حب ... ليس بمعنى ينفي وجود الكهنة وعملهم كما تدعي بعض الطوائف حالياً .

« كل الذين مسحوا بمسحة الميرون المقدسة صاروا كهنة » (٢) .

« ألا تعلم أن الكهنوت قد وهب لك أنت أيضاً ، إذ أعطى لكل كنيسة الله ، للشعب الذي يؤمن ... إذ يلزم أن يقدم الكل لله ذبائح التسبيح والصلوات والورع والنقاوة والبر والقداسة » (٣) .



(1) Comm. Matt. 12 : 14 .

(2) Hom on levit. 9 : 9

(3) Ibid 9 : 1 .

الأفخارستيا

تقدم لنا أوريجانوس صورة حية لسّر الأفخارستيا في مصر في عصره ، يمكننا أن نوجز ملامحها في النقاط التالية :

١- سر الشكر

الأفخارستيا هي ذبيحة الشكر التي تقدمها الكنيسة لله : « نحن لسنا بجاحدى القلوب ... علامة اعترافنا بالجميل نحو الله هو هذا الخبز الذى يدعى الأفخارستيا » (١) .

٢- سر الفصح أو العبور

« الذين حسبوا حقًا أن المسيح هو فصحنا قد ذبح لأجلنا يلتزمون أن يحفظوا هذا العيد بأكل جسد الكلمة ، مقيمين الفصح بذلك على الدوام . لأن الفصح يعنى العبور ، فعليهم أن يعبروا بأفكارهم وكلماتهم وأعمالهم باستمرار من أمور هذا العالم إلى الله ، مسرعين نحو مدينة الله (٢) .

٣- الأفخارستيا وكلمة الله

ربط بين تناول جسد السيد المسيح ودمه السرائرين وأكل « كلمة الله » خلال القراءة في الكتاب المقدس . « قلنا إننا نتناول دم المسيح ليس فقط خلال الطقوس السرائرية بل وأيضاً بتناولنا كلماته ، فإنها كلماته هى حياة » (٣) .

٤- القبلة المقدسة

« تبعًا لهذا النص (رو ١٦ : ١٦) وما يماثله ، نمت العادة في الكنيسة أن يلتزم الاخوة بتقبيل بعضهم البعض بعد الصلوات ولازالت هذه العادة مراعاة إلى الآن . وقد دعى الرسول هذه القبلة مقدسة ليظهر لنا أن القبلات التى

---

(1) Contra Cels. 8 : 57 .

للمؤلف : المسيح في سر الأفخارستيا ، ١٩٧٣ ، ص٣٩ .

(2) Contra Cels. ANF, vol 4 , p. 647 .

(3) In Num. Hom. 16 : 9 .

تعطى فى الكنيسة ليست دنسة ولا تقدم برياء ...

يليق أن تكون القبلات التى يقدمها الاخوة لبعضهم البعض ثمرة السلام والاخلاص والمحبة الصادقة » (١) .

٥- طلب الاحتياجات المادية

فى ليتورجيا القداس الالهى نركز على السؤال من أجل خلاص نفوسنا واحتياجاتنا الروحية . وأيضاً نطلب احتياجاتنا الجسدية الضرورية . « لابد لنا أن نسأله على الدوام ، لأنه هو وحده القادر أن يمدنا بكل احتياجاتنا الجسدية » (٢) .

٦- الصلاة من أجل الملك أو الرئيس

« إننا نقدم أكثر عون للملك ، الذى نسميه المعونة الالهية ... وذلك خلال صلواتنا التى نقدمها . والقادرة أن تبطل أعمال الشيطان المثيرة للحروب التى تنقض العهود وتفسد السلام .

بالصلاة نقدم له عوناً أكثر مما يقدمه له الذين يدخلون معه ليسندوه فى المعارك الحربية ...

نحارب من أجله بجيش خاص ، خلال التقوى والصلوات » (٣) .

٧- مجمع القديسين

للعلامة أوريجانوس تعليم قوى خاص بمجمع القديسين . وقد سبق أن تحدثت عنه قبلاً فى كتاب « المسيح فى سر الأفخارستيا » (٤) .

٨- تذكار الراقدين

« إنهم يصنعون تذكاراً بخشوع للقديسين الذين رقدوا فى الايمان لكى

---

(1) In Rom. Hom 10 : 33. Cf. Comm. Cant. 1.

(2) ANF, vol 4, p. 490 . (3) Ibid. p. 668 .

(4) Fr - Malaty : Christ in the Eucharist, 1973, p. 490.
Origen : De Prin. 3 : 2 : 4, Comm Matt. 27 : 30, Exhort to mart. 30 : 38, Comm. John 13 : 57, On Prayes 6 : 2 - 4. 1 : 5, In Num. Hom 26 : 6 .

ينالوا عزاءاً وسروراً، طالبين أن يكون لهم معهم أيضاً كمالاً فى الايمان » (١).

٩- الانتظام فى التناول

« يليق بنا أن نجتهد ما استطعنا أن نشترك على الدوام فى مائدة الرب » (٢) .

١٠- الاستعداد للتناول

« نأكل أيضاً الخبز المقدم لنا ، الذى يصير بواسطة الشكر والصلوات جسداً مقدساً يقدس الذين يتناولون منه بقلب طاهر » (٣) .

« كل الذين يطهروا ليس فقط من النجاسة بل وأيضاً من التعديات المحسوبة أنها صغيرة ، هؤلاء مدعوون للتقدم لأسرار المسيح بكل شجاعة ، لأنها موضوعة ومعلنة فقط للأطهار والقديسين ...

هناك فارق بين دعوة الأشرار ليبرأوا (خلال قراءة الكتاب المقدس) ودعوة الذين انفتحت بصيرتهم وتطهروا للشركة فى الأسرار المقدسة » (٤) .

« إننا لا ندعو الأشرار واللصوص للشركة فى الأسرار والانضمام إلى الحكمة الخفية فى سر هذه التى أسسها الله قبل العالم لمجد قديسيه ... إنما ندعوهم للعلاج والشفاء خلال الكلمة أولاً ، لأن الكلمة الالهية تحمل عوناً لشفاء المرضى إذ قيل : « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى » مت ٩ : ١٢ . أما الأطهار نفساً وجسداً فيليق أن يعلن لهم السر الذى كان مكتوماً فى الأزمنة الأزلية ، والآن أظهر وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الله الأزلى لاطاعة الايمان (رو ١٦ : ٢٥ ، ٢٦) » (٥) .

« إنكم تستهينون بديدونة الله وتحذيرات الكنيسة . انكم لا تخافون من التقدم للأفخارستيا والتناول من جسد المسيح ، وكأنكم أطهاراً وأبرياء أو على الأقل انكم لستم غير مستحقين ، حاسبين أن الله لا يدينكم على هذا . انكم

(1) In Job 1 : 3 .
(2) ANF, vol 4, p. 647 .
(3) ANF, vol 4, p. 652 .
(4) Ibid. 488 .
(5) Ibid .

لا تفكرون فى العبارة : من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى (١كو ١١ : ٣٠) . لماذا يفقد الكثيرون قوتهم ؟ ... لأنهم لا يمتحنون أنفسهم أو يتحققون معنى الشركة فى الكنيسة متقدمين إلى أسرار عظيمة هكذا وسامية جداً » (١) .

« بالنسبة لجسد الرب يتمتع بفاعلية كل الذين يتناولونه ... على أن يكونوا بذهن نقى وضمير صالح » (٢) .

« كل الذين سبق تقديسهم بالروح القدس يصيرون مؤهلين للشركة فى قبول المسيح ، بكونه بر الله » (٣) .

١١- الاحتراس أثناء التناول

« احذروا وأنتم تحملون جسد الرب وكونوا فى يقظة شديدة لئلا يقع منه جزء على الأرض ، أو يضيع عن نظركم أجزاء من القرابين المقدسة . احسبوا هذا جريمة » (٤) .

١٢- التناول باتضاع

فى تعليقه على كلمات قائد المئة للسيد المسيح أنه غير مستحق أن يدخل تحت سقف بيته (مت ٨ : ١ - ١٣) يقول :

« عندما تتناول جسد الرب ودمه يدخل الرب تحت سقفك ، قل باتضاع يارب أنى غير مستحق » .



(1) Hom. Ps. 37 : 2 . PG 12 : 1386 .

(2) Comm. Matt. 11 : 14 .

(2) Exhort to Martyr. ch 46 .

(4) In Exod. Hom. 13 : 3 .

المعمودية

سر المعمودية

المعمودية هى ميلاد جديد وشركة فى الطبع الالهى خلال المحبة (١) . هى دخول إلى العضوية فى جسد الكنيسة (٢) ، عودة للفردوس (٣) ، ومسح لكهنة (٤) .

المعمودية هى اتحاد سرى أو عرس روحى بين السيد المسيح والنفس البشرية :

« فى كل شئ ترون الأسرار متطابقة ، رموز العهد القديم وأشكال العهد الجديد . ففى العهد القديم ذهب يعقوب إلى الآبار ومياهها ليجد زوجتاه ، واتحاد الكنيسة مع المسيح يحتفل به فى مياه الحميم » (٥) .

المعمودية هى سرّ الموت مع السيد المسيح والقيامة معه :

« إذ نولد من الماء ، ندفن مع المسيح . إذ نولد من جديد من النار والروح نصير كجسد المسيح ... » (٦) .

« نوال المعمودية هو عماد فى موت المسيح، خلالها ندفن معه ... » (٧) .

الحاجة إلى المعمودية

« كل كائن بشرى يحمل وصمة خطية حقيقية ، لذا يلزمه أن يغتسل بالماء والروح » (٨) .

« على أى الحالات يقدم المسيح علاجًا لنسلنا المائت بالتجديد فى المعمودية » (٩) .

« لو لم يوجد فى الأطفال الصغار ما يدعو للمغفرة والحل فإن نعمة

---

(1) Comm. Rom. 4 : 9 , Comm Jahn 20 : 37 .

(2) Comm Rom. 8 : 5 .

(3) Frag. Gen. PG 12 : 100 .

(4) In Leu. Hom. 9 : 9 .

(5) In Gen. Hom 10 : 5 .

(6) Comm Matt. 15 : 23 .

(7) Ibid 55 : 8 .

(8) Comm Rom 5 : 9 .

(9) Ibid 5 : 1 .

المعمودية تبدو غير ضرورية » (١) .

الاستعداد للمعمودية

في حديثنا عن نعمة الروح القدس أشرت إلى بعض النصوص التي وردت في أعمال أوريجانوس عن أهمية استعداد الموعوظين لقبول المعمودية ، وأنني أكتفي هنا بما ورد في عظته الثانية والعشرين على انجيل القديس لوقا :

« إن أراد أحد أن يعتمد فليفعل هذا . فإنه إن بقي انسان على حاله الذي كان عليه قبلاً ولم يترك عاداته السابقة وسلوكه القديم ، بالتأكيد لا يقدر أن يتقدم للمعمودية بذهن لائق » .

رموز المعمودية

١- عبور بحر سوف

« يريد (فرعون وجنوده) أن يصلوا إليك ، لكنك إذ تنزل المياه تخرج منها انساناً صحيحاً سليماً ، حيث تغسل فيها نجاسات الخطية ، لتصعد انساناً جديداً مستعداً للتسبيح بالنشيد الجديد (أش ٤٢ : ١٠) » (٢) .

٢- عمود السحاب

« كان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم الطريق ، وليلاً في عمود نور يضيئ لهم . إن أخذنا بكلمات الرسول أن هذا القول يقصد به المعمودية (١كو ٦ : ٢) ، فإنه ينبغي على كل من يعتمد ليسوع المسيح يعتمد لموته فيدفن معه بالمعمودية للموت (رو ٦ : ٣) ، ويقوم معه الأموات في اليوم الثالث ، هؤلاء الذين يقول عنهم الرسول : إنه يقيمهم معه ويجلسهم معه في السمويات (أف ٢ : ٦) » (٣) .

٣- اغتسال نعمان السرياني في الأردن

« ليس نهر آخر ينزع البرص من الانسان إلا ذاك النهر الواحد (الأردن) إن دخله الانسان بايمان وغسل نفسه في يسوع ؟ » (٤) .

---

(1) In Lev. Hom 8 : 3 .
(2) In Exod. Hom. 5 : 5 .
(3) Ibid 5 : 2 .
(4) Comm. Joan 6 : 47 .

٤- عبور ايليا واليشع الأردن

« يليق بنا أن نلاحظ أنه قبل أن يحمل ايليا فى الزوبعة كما إلى السماء أخذ رداءه وطيّه ثم ضرب به الماء ، فانشق إلى اثنين وعبر هو واليشع (٢مل ٢ : ٨) ، بهذا اعتمدا فى الأردن . لأن بولس كما سبق فقلت دعى عبور هذه المياه العجيب عماداً ، بهذا تهيأ ايليا للارتفاع عالياً » (١) .

معمودية الدم

« ليتنا نتذكر خطايانا ، ونذكر أنه بدون العماد يستحيل نوال غفران الخطايا (أع ٢ : ٨٨) ... لكنه أعطى لنا أيضاً معمودية الاستشهاد ... » (٢) .

النهر النارى الأسخاتولوجى (الأخروى)

يرى العلامة أن المعمودية ميلاد جديد حقيقى ، وهى فى نفس الوقت طريق لميلاد أخروى ننعم به فى السماء .

فى هذا يقول : « ينبغى على الانسان أن يعتمد أولاً بالماء والروح حتى متى جاء إلى النهر النارى يظهر أنه قد حفظ الطهارة التى منحت له بواسطة الماء والروح فيستحق أن يعتمد بواسطة يسوع المسيح بالنار » (٣) .

« حقًا لا يتحرر أحد من الخطية ممن له الميلاد الطبيعى ، حتى لو كانت حياته يوماً واحداً ، سِّر الميلاد البشرى هو أن كل طفل يولد يقول مع داود : « بالخطية ولدتنى أمى » . لكن هناك حالة أخرى خلال الميلاد الجديد بحميم المياه . فإن الذين يولدون من فوق من الماء والروح يتحررون من الخطية ... لكن حريتهم هذه تكون لمن ينظر فى مرآة (١كو١٣ : ١٢) ، إلى أن يأتى ابن الانسان فى المجد ويجلس على عرشه ، عندئذ يكون هناك ميلاد جديد آخر ، من يولدون فيه فى المسيح يتحررون من الخطية تماماً . تكون حريتهم فى ذلك الحين « وجهاً لوجه » ، أما سِّر نوالهم هذا الميلاد الجديد فهو أنهم ولدوا قبلاً فى الحميم ... » (٤) .

---

(1) Comm. Joan 6 : 47 .

(2) Exhort. to Mart. 30 .

(3) In Luc. Hom. 24 .

(4) Comm. Mat. 15 : 23 .

الاستشهاد

نشأ أوريجانوس فى بيت مسيحى له نفسية الشهداء ، لهذا عندما أقتيد والده للاستشهاد كان يود أن يقاسم أبيه هذا الاكليل لو لم تحجب أمه ملابسه عنه ، عندئذ بعث إليه برسالة يشجع والده ألا يتراجع عن هذا الطريق بسببهم. وعندما تسلم قيادة مدرسة الاسكندرية وهو بعد شاب كانت رسالته تهيئة قلوب المؤمنين ، بل والموعوظين أيضًا لقبول الاستشهاد بفرح ، وصار له تلاميذ شهداء وهم بعد موعوظين !

وفى شيخوخته نجده فى عظته الرابعة عن سفر أرميا يرجع بذاكرته إلى كنيسة الاسكندرية منذ أربعين عامًا أثناء اضطهاد سافريان ليراها تتكلل بالأمجاد وسط الضيقة ، إذ كتب : « هذا حدث عندما كان الانسان بحق مؤمناً، يذهب إلى الاستشهاد فى الكنيسة بشجاعة . كنا نعود من المقابر حيث نكون فى صحبة أجساد القديسين ، ونرجع إلى اجتماعاتنا ، حيث تجتمع الكنيسة بثبات . كان الموعوظون يقبلون الوعظ وسط الاستشهاد ، وكانوا يغلبون العذابات ويعترفون بالله الحىّ بغير خوف . حقًا رأينا أعمالاً عجيبة بطولية ! كان المؤمنون قليلين فى العدد ، لكنهم بحق مؤمنين ، يتقدمون فى الطريق المستقيم الضيق المؤدى إلى الحياة » (١) .

الاستشهاد بين اوريجانوس واكليمنضس

كان أوريجانوس فى عمله التعليمى يحث الناس على الاستشهاد ، وهو فى هذا يختلف مع معلمه القديس أكليمنضس الاسكندرى الذى رأى أن الذين يندفعون نحو الموت لا يحسبون شهداء إنما يسلمون أنفسهم للموت مثلهم مثل النساك الهنود الذين يلقون بأنفسهم فى النار (٢) . حقًا - فى رأيه - لا يليق بالمسيحى أن يخاف الموت أو يرهبه ، لكن الموت ليس شهوة يجرى إليها ، إن أثار المضطهد فهو لا يتقدم للاستشهاد إنما يرتكب جريمة قتل لنفسه ضد

---

(1) In Jerem. Hom. 4 : 3 .

(2) Strom 4 : 4 : 17, 18 .

حق اللّه (١) . يجب على المسيحى أن ينفذ وصية الرب القائل : « ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى » متى ١٠ : ٢٣ .

الاستشهاد عند القديس أكليمنضس ليس اندفاعًا لاثارة الآخرين ضدهم ، لكنه خبرة حياة يومية ، وشهادة للسيد المسيح بالكلام والعمل والسلوك وكل ما للانسان (٢) . الاستشهاد هو البلوغ إلى قمة العمل (٣) ، قمة الحياة التى تحمل حباً لله (٤) ... الاستشهاد هو تنفيذ وصايا الرب كل يوم خلال الحب ، إذ يقول : « من يتبع وصايا المخلص يحمل شهادة (مارتيرى) فى كل عمل يمارسه ، ذلك بطاعته لارادة المخلص ، وترديده اسم الرب على الدوام . بهذا يكون شهيداً بالعمل نحو من وثق فيه ، صالبًا الجسد برغباته وشهواته » (٥) .

لعل هذا الاتجاه جاء تصحيحًا لمفاهيم الكثير من مسيحيى الاسكندرية الذين رأوا ضرورة التزام العبادة لله باضطهاد المتعبدين واستشهادهم (٦) .

على أى الأحوال لم يقلل أكليمنضس من قيمة الاستشهاد ولا حقّر من مكافأته وأكاليله ، لكنه رأى فيه اعلانًا لعمل التوبة التى يعيشها المؤمن كل أيام جهاده ، وتمتعًا بغفران الخطية (٧) ، كما أكد عنصر الحب نحو اللّه فى حياة الشهيد وعمله (٨) . وهو بهذا فتح بابًا جديداً ألا وهو ممارسة « الاستشهاد » خلال الموت الاختيارى اليومى ... فلا عجب إن وجدنا كتاباته فى قلالى المتوحدين بمنطقة طيبة (٩) .

أما العلامة أوريجانوس فرأى فى الاستشهاد مجداً للكنيسة وتحريراً للنفس... ينبغى على المؤمن إن وجد الفرصة أن يجرى إليها ...

---

(1) Strom. 4 : 10 : 76, 77 .
(2) Strom. 2 : 104 : 1 .
(3) Strom 4 : 14 : 3 .
(4) Strom. 4 : 43 : 2 .
(5) Strom. 4 : 7 : 43 (CF 2 : 20 : 104) .
(6) Strom. 4 : 11 .
(7) Strom. 4 : 74 : 3 .
(8) Strom. 4 : 72 : 1 .
(9) Palladius : Laus Hist, 60 .

إن كان كل منهما قد حث المؤمنين على الاستشهاد ، على خلاف القديس أكليمنضس ، لكن البعض يرى وجود فارق كبير في النظرة اللاهوتية للعلامة ترتليان نحو الاستشهاد ، والنظرة الخاصة بالعلامة أوريجانوس. يقول Dix (١): أن ترتليان قد صب رجاءه فى قيامة الجسد وحفظه من العذابات الأبدية ، أما أوريجانوس فصب رجاءه فى تحرر النفس وتقدمها خلال تعلمها بواسطة الكلمة « اللوغوس » حتى تقدر أن تقوم مع السيد المسيح ...

أوريجانوس يتطلع إلى السيد المسيح « الكلمة » كمربى للنفس ، ويريد أن يدخل بها إلى حضن الآب ويكشف لها أسرار اللاهوت . فهو لا يعاملها كسيد مع عبد له أو كديان مع مخطئ ، بل كمعلم يدخل بها إلى معرفة الالهيات . هذا المنهج وضح تماماً حتى فى حديثه عن الاستشهاد ، إذ يقول :

« إذا كنت تذكر أن بولس الرسول قد اختطف إلى السماء الثالثة ، وأنه اختطف إلى الفردوس ، وسمع كلمات لا يسوغ لانسان أن ينطق بها (٢كو ١٢ : ٢ ، ٤) فلابد لك أن تستنتج منطقياً أنك - بالاستشهاد - ستدرك من الأسرار ما يفوق تلك التى كشفتها الكلمات العاجزة القاصرة لبولس ، لأنه بعد أن سمعها نزل من السماء الثالثة ، أما أنت فعندما تسمعها ، فلن تنزل مطلقاً، لأنك ستكون قد حملت صليبك وتبعت يسوع ، الذى هو لنا رئيس كهنة قد اجتاز إلى السموات (عب ٤ : ١٤) . فإذا كنت شغوفاً أن تتعلم فى المسيح... وإذا أردت أن تعبر إلى ما وراء هذه المعرفة التى لنا فى مرآة ... فعليك أن تحث الخطى وراء من يدعوك (تقبل الاستشهاد) ، لكى تدرك كل شئ مما لم تعرفه من قبل . تعرفه وجهاً لوجه (١كو ١٣ :١٢) باعتبارك ابناً للآب وللمعلم السماوى ، لأن أحباءه يرون الأشياء فى حقيقتها كما هى ... » (٢) .

---

(1) Dix : Shape of the Liturgy, p. 394, 395 .

(٢) العلامة أوريجانوس : رسالة إلى الشهداء (حث على الاستشهاد) ، ترجمة موسى وهبه مينا ، ١٩٧١ ، ص٣٩ ، ٤٠ .

١ – الاستشهاد هو واجب كل مسيحى حقيقى ، لأن كل الذين يحبون الله يرغبون فى الاتحاد معه ... (١) .

« يتطلع (المسيحيون) فى شوق إلى ساعة الموت ، لأنها تتيح لهم الفرصة للخلاص من جسد هذا الموت (رو ٧ : ٢٤) ، ولذلك ترتفع صلواتهم مع الرسول الذى يئن من هذا العبء الثقيل : ويحى أنا الانسان الشقى . من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟! كلنا نشترك فى هذه الصرخة لأننا نئن فى هذه الخيمة (٢كو ٥ : ٤) ... عندما يتخلص الشهيد من جسد هذا الموت ويتمتع بالاتحاد بالله فلابد أن يصيح فى فرح وتقوى : شكراً لله بالمسيح يسوع الهنا (رو ٧ : ٢٥) » (٢) .

وفى محاورته مع هيراقليدس يقول :

« احضروا الحيوانات المفترسة ، احضروا صلباناً ، احضروا ناراً ، احضروا عذابات ! فإننى أعلم أننى إذ أموت أخرج من الجسد وأستريح مع المسيح . لهذا فلنجاهد ولنصارع الجسد مادمنا فى الجسد ، لا لأننا سنبقى فيما بعد فى مقابر الجسد ، إنما لأننا سنتحرر منه ويكون لنا جسدنا أكثر روحانية . سيكون مصيرنا مع المسيح ، لنتنهد ونحن بعد فى الجسد ! » (٣) .

« أعتقد أنه كما أن الذى يلتصق بالزانية يصير جسداً واحداً معها (١كو ٦ : ١٦) فكذلك من يحمل الشهادة – خصوصًا فى زمن الاضطهاد وامتحان الايمان – لا شك أنه يرتبط مع من يشهد له ويصير واحداً معه كالعريس والعروس » (٤) .

---

(1) Exhort. ad. Martyrium Ch 3, 4 .

(٢) العلامة أوريجانوس : رسالة إلى الشهداء ، ص٢٣ ، ٢٤ .

(3) Dialogue with Heracleides .

(٤) العلامة أوريجانوس : رسالة إلى الشهداء ، ص٣٥ .

٢- الاستشهاد ضرورى ، إذ لا يخلص إلا الذين يحملون الصليب مع المسيح (١) .

« إذا كنا نبغى الخلاص لأرواحنا كى نستردها روحًا أفضل فلابد لنا أن نفقدها (مر ٨ : ٣٤ - ٣٧) فى بطولة الاستشهاد . لأننا إذا فقدناها من أجل المسيح ، ووضعناها أمامه بالموت من أجله ، فسوف نحصل لها على خلاص حقيقى » (٢) .

٣- يليق بالمسيحيين أن يحتملوا الموت ليقابلوا حب الله بالحب (٣) ، يرى فيه نوعاً من تسديد الدين لعطايا الله لنا . لهذا فهو يؤهلنا أكثر بكثير من عمل البر فينا (٤) .

٤- خلال معمودية الدم تغفر الخطايا التى ارتكبناها بعد العماد (٥) .

٥- إن كنا نمتثل بالسيد المسيح ، ونبذل حياتنا ، فإنه يهبنا تعزياته (٦) . من ينكره على الأرض ينكره هو أيضًا فى السماء (٧) ، أما الذين يعترفون به فيدخل بهم إلى الفردوس ، وفى نفس الوقت يعطى لأبنائه هنا بركة (٨) .

٦- يلاحظ أن العلامة أوريجانوس فى كتابه « الحث على الاستشهاد » لم يقدم مثلاً واحداً من الفلاسفة الذين أظهروا بطولة وشجاعة فى قبولهم العذابات أو الموت من أجل مبادئهم ، كما فعل القديس أكليمنضس ، لكنه قدم عرضًا لأبطال العهد القديم والعهد الجديد ، لأنه ربط بين استشهاد المؤمنين وذبيحة الصليب . وفى تفسيره انجيل يوحنا يوضح هذه العلاقة قائلاً (٩) : « ذبيحة الحمل لها انعكاسها فى بذل دم الشهداء الذين يبذل دمائهم واعترافهم

---

(1) Exh. ad Mart. ch 12, 13 .

(٢) العلامة أوريجانوس : رسالة إلى الشهداء ، ص٣٨ ، ٣٩ .

(3) Exh. ad Mart. ch 28, 29 .

(4) Ibid. ch 50 .

(5) Ibid. ch 30 .

(6) Ibid. ch 43, 44 .

(7) Ibid. ch 34, 35 .

(8) Ibid. ch 38 .

(9) In Joan 6 : 36 .

وغيرتهم على الصلاح ابطلوا خطط الأشرار » .

حقًا في بعض أعماله الأخرى قدم أمثلة لأبطال من العالم الوثني مثل ليونيداس وسقراط ، لكنه فعل هذا ليظهر سمو احتمال المسيحيين عليهم (١) .

رأى أوريجانوس في الشهداء ارتباط بالسيد المسيح ، وفي استشهادهم ذبيحة حب مرتبطة بذبيحة الصليب ، فقال : انهم يخدمون على مذبح السماء ككهنة حقيقيين ، حتى كما أن يسوع قد قدم دمه لخلاص البشرية كلها ، هكذا يمكن لدمهم الكريم أن يطهر خطايا البعض (٢) ، غير أن ذبيحة المسيح مقدمة عن الجميع بلا حدود . أما ذبيحة الاستشهاد فمحدودة وقاصرة على البعض ، وغير منفصلة عن ذبيحة المسيح نفسه . لقد أكد في مواضع كثيرة أنه لا يقدر أحد أن يخلص غيره مادام هو في حاجة إلى من يخلصه ، أما السيد المسيح فهو مخلص الجميع . لهذا يمكننا القول أنه ربما قصد أن دم الشهداء أشبه بصلوات مستمرة عن الكنيسة المجاهدة أمام عرش الله في استحقاقات دم المسيح نفسه .

العطاء

ارتبط العطاء في ذهن أوريجانوس بحب الله وسخائه الذي يشتهي أن يعطي بغير حدود ، كلما قدمنا له مما يعطينا يجد الرب الفرصة ليعطينا أكثر فأكثر .

في هذا يقول : « يسألنا الله أن نقدم له من عندياتنا ، ليس عن عوز ، إنما لكي يهبنا بسخاء من عندياته عوضاً عما نقدمه ... » (٣) .

« الله يرغب أن يتقبل منا شيئًا لكي يمنحنا مما له ، لكي تظهر عطايا نعمه أنها ممنوحة للمستحقين » (٤) .

---

(1) Contra Celsus 2 : 17, 2 : 41 .

(2) Exh. ad Mart. ch 30 .

(3) In Luke. Hom. 49 .

(4) In Num. Hom. 24 : 2

« حين نقدم له عطايا من مخازننا إنما نذهب لكى نتقبل عطايا منه . حينما نقدم ايماننا وحبنا ، يمنحنا مجاناً عطايا الروح القدس المتنوعة » (١) .

فى أكثر من موضوع كان يؤكد أن ما نقدمه إنما هو مما يقول على لسان الرب : « عطاياكم لى فى حقيقتها هى عطاياى



(1) Ibid 12 : 3 .

(2) In Num. Hom 23 : 2 .

أوريجانوس والعالم المسيحي

يصعب جداً الحديث عن مدى أثر العلامة أوريجانوس على العالم المسيحي ، فقد تتلمذ كثيرون على يديه ، وكما يقول Farrar : « أن قديسين وشهداء اشتهوا الجلوس عند قدميه (١) . كما تتلمذ كثير من قادة الفكر المسيحي في الشرق والغرب على كتاباته . وبقدر ما وجد له من أصدقاء وعشقوا كتاباته متتلمذين على يديه ، وجد له أيضاً أعداء أبغضوه ولم يطيقوا اسمه . ومع هذا فإن بعض هؤلاء الأعداء اقتطفوا الكثير من كتاباته حتى بعد ما هاجموه ، أمثال القديسين هيلارى أسقف بواتييه وامبروسيوس وفيكتوريانوس وجيروم والآب روفينوس .

وامتد أثره على غير المسيحيين أيضاً ، وكما يقول المؤرخ يوسابيوس : « إذ جذبت سمعة أوريجين العلمية أنظار الكثيرين ... ورن صداها في كل موضع ، جاءوا إليه يختبرون قدرة ذكائه في العلوم الدينية ، فتتلمذ على يديه كثير من الهراطقة وعدد ليس بقليل من أبرز الفلاسفة ، وتلقوا التعليم على يديه لا في الأمور الدينية فحسب بل وفي الفلسفة الدنيوية ... لقد اشتهر كفيلسوف عظيم حتى بين اليونانيين أنفسهم ... ويشهد لنبوغه في هذه العلوم فلاسفة عصره اليونانيين ، فكثيراً ما أشاروا إليه في كتاباتهم ، بل وأحياناً كانوا يهدون كتبهم إليه في المقدمة ، كما كان بعضهم يقدمون له مؤلفاتهم ليبدى رأيه فيها ... » (٢) .

تلاميذ أوريجين والمعجبون به

في الاسكندرية تتلمذ (البابا) ديونسيوس على يديه ، وحينما بدأ العالم ينقلب عليه بقى البابا يشعر أنه مدين بالجميل له ، فأرسل إليه رسالة عن الاستشهاد عام ٢٥٩ .

(1) Farrar, vol I, p. 426 .

(2) Euseb. H. E. 6 : 18 : 2 - 4, 6 : 19 : 1 .

وقد مدحه القديس ديديموس الضرير مدير مدرسة الاسكندرية وأكمل عمله في حقل التفسير واللاهوت الرمزى .

ونسخ بمفيليوس البيروتى تلميذ بيروس مدير مدرسة الاسكندرية معظم مؤلفات أوريجانوس بيده وشغف بقراءتها .

ودافع عنه البابا أثناسيوس الرسولى ولقبه بألقاب جميلة مثل : « العجيب » و « العامل بالحب » .

أما الآباء الكبادوك فقد أحبوه وورثوا تعاليمه التى نقلت إليهم بواسطة تلميذه القديس غريغوريوس صانع العجائب الذى تتلمذ هو وأخوه ثيئودورس على يديه بسبب اهتمامهما بالعلوم اليونانية وحبهما للفلسفة ، لكنه استبدل غيرتهما القديمة بدراسة اللاهوت ، وإذ لبثا خمس سنوات أظهرا تقدماً عظيماً فى الروحيات حتى سيم كلاهما أسقفاً فى كنائس بنطس رغم حداثة سنهما (١) .

القديسان غريغوريوس النزينزى وباسيليوس الكبير وإن كانا لم يقبلا نظامه اللاهوتى بكليته لكنهما رأيا فيه الشكل الوحيد الكافى للفكر العلمى المسيحى المعروف فى ذلك الحين ، فتتلمذا عليه كما ضما بعض أقواله فى كتاب « الفيلوكاليا » شهادة لاعتقادهما أن فكر أوريجانوس يحوى الأسس التى بواسطتها يمكن تقديم الايمان فى لاهوت عقلى . فى محاولتهما أرادوا تحقيق هذا الحلم : « تحالف الايمان مع العلم » (٢) .

لقب القديس غريغوريوس النيصى العلامة أوريجانوس « زعيم الفلاسفة المسيحيين » (٣) ، وقد شارك القديسان السابقان اعتقادهما تجاه العلامة أوريجين ومنهجه ، وإن كان قد تشرب بروحه أكثر منهما . يظهر ذلك بوضوح فى مقاله Oratio Catechélica الذى يقترب جداً من روح كتاب

(1) Euseb. H. E. 6 : 30 .

(2) J . H . Strawley : The Catechtical Oration of Gregory of Nyssa, Cambridge 1905, PX .

(٣) راجع منسى يوحنا ص٤٧ مختصر تاريخ الأمة القبطية ص ٣٨٤ – ٣٩٠ .

« المبادئ » لأوريجين أكثر من أى عمل آخر فى القرن الرابع (١) . لقد حفظ القديس الكثير من مقالاته وأدرك بفهم منهجه وإن كان قد رفض مبالغاته . لقد أخذ عنه بعض أفكاره وتفسيره الرمزى وتعليمه فى الحرية الانسانية واعتقاده فى الاصلاح المطلق لكل الأشياء ... لكنه لم يكن مجرد ناقل .

ويعتبر القديس أوغريس من بنتس هو المسئول عن نشر تعاليمه بين رهبان مصر ، فقد اعتمد على كتاباته وكان ينشرها أثناء وجوده فى مصر . ومن خلاله أيضًا تسلم القديس يوحنا كاسيان تعاليمه وبهذا انتقلت إلى رهبان الغرب (٢) .

تأثر الأب مكسيموس المعترف بأوريجانوس تأثيراً مطلقاً فى وقت ما (٣) .

عرفت أعماله في الغرب بواسطة روفينوس من إكويلا الذى أعجب به جداً ودافع عنه بشدة .

ويعتبر القديسان هيلارى وامبروسيوس مدينان لتفاسيره بالكثير .

أما القديس جيروم فقد كان منذ صباه المبكر معجباً به جداً ، دعاه « أعظم معلم للكنيسة بعد الرسل » (٤) . دفع الكثير ليقتنى كل كتبه ، وترجم الكثير من مقالاته إلى اللاتينية ، وجعل اسمه مشهوراً في الغرب . معرفته للتفسير جاءت عن رجال أوريجانيين مثل ديديموس الضرير وغريغوريوس النزينزى ... لكنه فيما بعد انقلب إلى عدو لدود ضد أوريجانوس .

كما مدحه القديس أغسطينوس .

مدحه أيضًا الآب Vincent of Lerins قائلاً « إن كان من جهة الحياة فعظيمة هى صناعته ! عظيمة هى نقاوته وصبره واحتماله ! من جهة النبل فأى شرف أعظم من أن يولد فى بيت يتجمد بالاستشهاد ؟! إن كان من جهة

---

(1) Harnak : History of Dogma, vol 4, p. 334 .

(2) Dom Marsili Giovanni : Cassiano ed Evagris Pontics, Rome 1936 .

(3) Fr. Von Balthasai : Kosmische Liturgie, Freiburg in Breisgau 1941 .

(4) Praef in Quaest in Gen .

الفصاحة والحكمة والفلسفة فقد فاق الجميع . تخرج من أحضانه معلمون بلا حصر وكهنة ومعترفون . أي مسيحي لا يكرمه كنبي أو فيلسوف كمعلم ؟! فإنه حتى الأمراء كرموه . لا يكفيني اليوم كله إن أخبرت عن عظمته أو حتى تحسست نصيباً منها ! » (١) .

بين المؤرخين الأولين مدحه يوسابيوس وسقراط جداً .

أخيراً نذكر مجرد اسماء لتلاميذه والمعجبين به : القديس يوحنا أسقف أورشليم ، ويوسابيوس أسقف Vercellae ، والأخوة الطوال القامة (٢) الذين بسببهم تعرض ذهبي الفم لكثير من المتاعب ، والقديس بلاديوس ، وثوتيم أسقف سيثي الذي اعترض على أبيفانيوس عدو أوريجانوس .

خصومه

تحدثنا قبلاً عن موقف البابا ديمتريوس الكرام من أوريجانوس والآن يحاول كثير من الغربيين المبالغة في الهجوم على البابا لموقفه ضد العلامة أوريجانوس ، مع أن المشكلة كانت متفاقمة دخل فيها كثير من الآباء العظماء في الشرق والغرب ... كما أحبه كثيرون وتتلمذوا على يديه ، أبغضه أيضاً كثيرون وثاروا ضده ، بل وانعقدت مجامع غير مصرية بعد وفاته لكي تحرمه !

ولعل أول هجوم خطير ضده كان من ميثوديوس أسقف أولمبيا في بدء القرن الرابع ، الذي كتب ضده بعنف ، وهاجم التعاليم الواردة في كتاب De Principiis مثل أبدية الخليقة ، الوجود السابق للنفوس قبل تجسدها ، طبيعة الجسد المقام ... لكنه عاد فامتدح العلامة أوريجانوس في أواخر أيامه .

ويلاحظ أنه في القرن الرابع في مجمع نيقية عام ٣٢٥ ، لم يرد ذكر أوريجانوس قط ولا شيئاً عن أخطائه اللاهوتية .

أما أبيفانيوس أسقف سيلاميس بقبرص فقد هاجمه في كتابيه :

---

(1) Adv. Haer 23 .

(٢) للمؤلف : القديس يوحنا ذهبي الفم ، الاسكندرية ١٩٧٥ .

Anchoratus Adv. Haereses معتبراً اياه هرطوقياً معتمداً على ما ورد فى ميثودوسيوس وغيره. وقد عرف هذا الآب ببساطته وسرعة تصديقه وحماسه، فإنه لم يكتف بالكتابة ، وإنما سارع إلى السفر إلى فلسطين بالرغم من شيخوخته ليمسح كل أثر لأوريجانوس . هناك بجوار فلسطين وجد روفينوس الذى أنشأ ديراً على جبل الزيتون عام ٣٧٧ ، وجيروم الذى قطن فى بيت لحم منذ عام ٣٨٦ ، وهما معجبان جداً بأوريجانوس. كذلك يوحنا أسقف أورشليم.

بدأ أبيفانيوس عمله بعظة هجومية ضد الأوريجانية فى كنيسة القيامة ، قام بعدها بتحريض الرهبان أن ينفصلوا عن الأسقف حتى يتطهر تماماً من كل شك فى الهرطقة الأوريجانية . واستطاع أبيفانيوس أن يكسب جيروم فى صفه . فحدث خلاف بينه وبين روفينوس .

تستطيع أن تتلمس مدى عداوة أبيفانيوس للأوريجانية مما ورد فى بستان الرهبان (١) أنه جاء عن القديس أبيفانيوس أن شاباً فى ايبارشيته كان يجادل العلماء ويفحمهم ، ولم يستطع كثير من الأساقفة والكهنة عليه ، فضل بسببه كثيرون . فاستدعاه الأسقف ، وعندما بدأ يصلى عليه أخذت الشاب رعدة وصرّ على أسنانه ... وأخيراً احمرت عيناه ، وصار يصرخ بصوت عظيم قائلاً : أأنت يا أبيفانيوس تخرجنى من مسكنى ؟

قال له : الرب يسوع المسيح يخرجك من جبلته .

قال له الشيطان : إنك لم تعرفنى من أنا .

قال له الأسقف : ومن أنت ؟

قال : أنا هو الذى تكلم فى ذاك المدعو أوريجانوس ...» .

أمام هذا التيار العنيف قام روفينوس بترجمة كتاب المبادئ De Principiis (موضوع كل النزاع وفيه وجدت الآراء اللاهوتية الخاطئة) إلى اللاتينية ومعه دفاع Pamphilus عن أوريجانوس . لكن نشر الكتاب أثار عدة تساؤلات حول

---

(١) بستان الرهبان : طبعة بنى سويف ١٩٦٨ ، ص٣٦١ .

أوريجانوس مثل نظرية للثالوث القدوس أن الآب يحتضن الخليقة كلها ، أما الابن فيهتم بخلاص الخليقة العاقلة وحدها ، وأما الروح القدس فيعمل فقط فى القديسين . فتساءل البعض هل بهذا أراد أوريجانوس أن يجعل من الآب أعظم من الابن ، ومن الابن أعظم من الروح القدس . كذلك فى حديثه عن الرمزية جعل البعض يفهم أنه قصد بأن أحداث التاريخ حتى حياة السيد المسيح فى الكتاب المقدس مجرد حياة رمزية ... هذا مع انكاره العقاب الأبدى لأن البشر لا يكون لهم أجساد مادية تسقط تحت العقاب ، ونظرته لتناسخ الأرواح ...

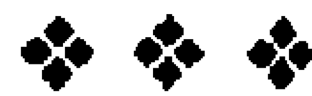
لقد أرفق روفينوس ترجمته بمذكرة له تحت اسم « افساد أعمال أوريجانوس » يعلن فيها أن النساخ أدخلوا بعض المبادئ الهرطوقية ... وقد شملت النقاط التالية (١) :

١- يستحيل لرجل متعلم وعاقل مثل أوريجانوس أن يناقض نفسه ليس بين كتاباته فى شبابه وكتاباته فى الشيخوخة ، وإنما جاء التناقض فى الكتاب الواحد .

٢- أن هناك آباء أرثوذكسيوا المعتقد شوه الهراطقة كتاباتهم مثل القديسون أكليمنضس الاسكندرى وأكليمنضس الرومانى وديوناسيوس الاسكندرى .

٣- اشتكى أوريجانوس نفسه برسالة له لاتزال موجودة مما فعله الهراطقة بكتبه (فى هذه الرسالة دافع أوريجانوس عن نفسه أنه يستحيل أن يقول بأن الشيطان يخلص ، فإن هذا لا يقوله إلا من كان مجنوناً) .

أخيراً فلا ننس موقف البابا ثاؤفيلس الاسكندرى ضد أوريجانوس كما ظهر فى شكله الاخوة الطوال القامة (٢) .



---

(1) Henri De Lubac : Origen on First Principles, N. Y. 1966, p. XXX VIII ff .

(١) المؤلف : القديس يوحنا ذهبى الفم .

٦

هيراقلاس

« باروكلاس »

هيراقلاس

أحد تلاميذ العلامة أوريجانوس المشهورين ، درس الأفلاطونية الحديثة قبل معلمه أوريجانوس ، على يدى أمونيوس السقاس . فقد جاء فى احدى شذرات رسالة لأوريجانوس وردت فى يوسابيوس: « قابلت الأخير (هيراقلاس) فى بيت مدرس العلوم الفلسفية ، إذ كان قد درس لمدة خمسة أعوام قبل أن أبدأ أنا فى حضور هذه المحاضرات . فى ذلك الوقت كان هيراقلاس قد زهد الملابس العادية التى كان يلبسها قبلاً ، وارتدى زى الفلاسفة ، والذى مازال يلبسه حتى اليوم ، مستمراً فى دراسة كتب اليونانيين قدر الاستطاعة » .

هيراقلاس الذى كرّس كل وقته للفلسفة كسبه العلامة أوريجانوس لينتسب هو وأخوه Putlaarch لمدرسة الاسكندرية المسيحية . تتلمذ على يدى أوريجانوس مع أنه كان يكبر عنه فى السن ، وبعد ذلك صار مساعداً ثم خليفة له عندما هرب إلى فلسطين .

وصفه المؤرخ يوسابيوس هكذا : « كرّس حياته لدراسة الكتاب المقدس ، هو أحد الرجال المتعلمين العظماء ، لا يجهل الفلسفة » .

بابا الاسكندرية

اكتشف القديس ديمتريوس امكانيات هيراقلاس الروحية فى الكرازة وقدرته على تعليم الموعوظين وارشاد المؤمنين فسامه قساً فقمصاً ، وسمح له أن يعظ فى الكاتدرائية . جذب الكثير من الوثنيين إلى الايمان المسيحى كما أظهر حبًا فائقًا فى خدمته للمؤمنين . وفى عام ٢٢٤م اختير خليفة للقديس ديمتريوس بابا الاسكندرية .

وتعتبر فترة باباويته لها أهميتها الخاصة ، فقد احتمل الاضطهاد ، فكان يفتقد المدن والقرى فى أنحاء البلاد يسند المؤمنين . وفى زيارته سام حوالى عشرين أسقفاً ليهتموا برعاية شعب الله . وقد أراد الشعب مع الكهنة فى مصر ، الذين أحبوه جداً أن يميزوه عن بقية الأساقفة فدعوه بالقبطية « بابا » التى

تعنى « أب » . وهكذا يعتبر أول مسئول كنسى فى العالم المسيحى يحمل هذا اللقب ، قبل أن يستخدم فى روما .

وترى الأستاذة ايريس حبيب المصرى أن هذا اللقب استخدم من قبل ، منذ أيام القديس ايانوس الذى رسمه القديس مرقس الرسول ، وذلك كما ذكر المؤرخ المقريزى .

جاء فى كتاب الانشقاق (١): « أما أساقفة عواصم الولايات والأقاليم، أعلى الأولين فى المطارنة كانوا يسمون « أساقفة أولين » ، غير أنه كان لبعضهم اسماء خاصة أيضًا منذ القديم. فكان أسقف أنطاكية يسمى « بطريركًا » ، وأسقف اسكندرية « بابا » ، وأسقف روما « أسقفًا » . أو « أسقف المدينة » أو « حبرًا » ، وأحياناً يسمى « بابا » . أما كلمة « بابا » فمن الواضح أنها ليست كلمة لاتينية ولا غربية بل هى شرقية محضة . وأول من سمى بها أسقف الاسكندرية من أبناء ايبارشيته فى القطر المصرى وفى الاسكندرية عينها .

ويلاحظ أن لقب بابا قد امتد من الاسكندرية إلى قرطاجة قبل روما بدليل أن كرنيليوس أسقف روما كتب فى بعض رسائله التى بعث بها إلى كبريانوس أسقف قرطاجنة : « السلام من كرنيليوس إلى البابا كبريانوس » ، ومن ثم امتد هذا اللقب إلى روما فى القرن الخامس . وفى القرن الحادى عشر عقد غريغوريوس السابع أسقف روما مجمعًا مكانياً حرم فيه كل أسقف يطلق على نفسه أو غيره لقب بابا ، حاصراً هذا اللقب على أسقف روما وحده » .

البابا هيراقلاس وأوريجانوس

قيل أن البابا هيراقلاس حث المعلم العظيم أوريجانوس أن يعود إلى الاسكندرية (٢) ،لكنه اعتذر بأن مدرسة الاسكندرية قد استقرت وأن مدرسة قيصرية تحتاج إلى رعايته (٣) .

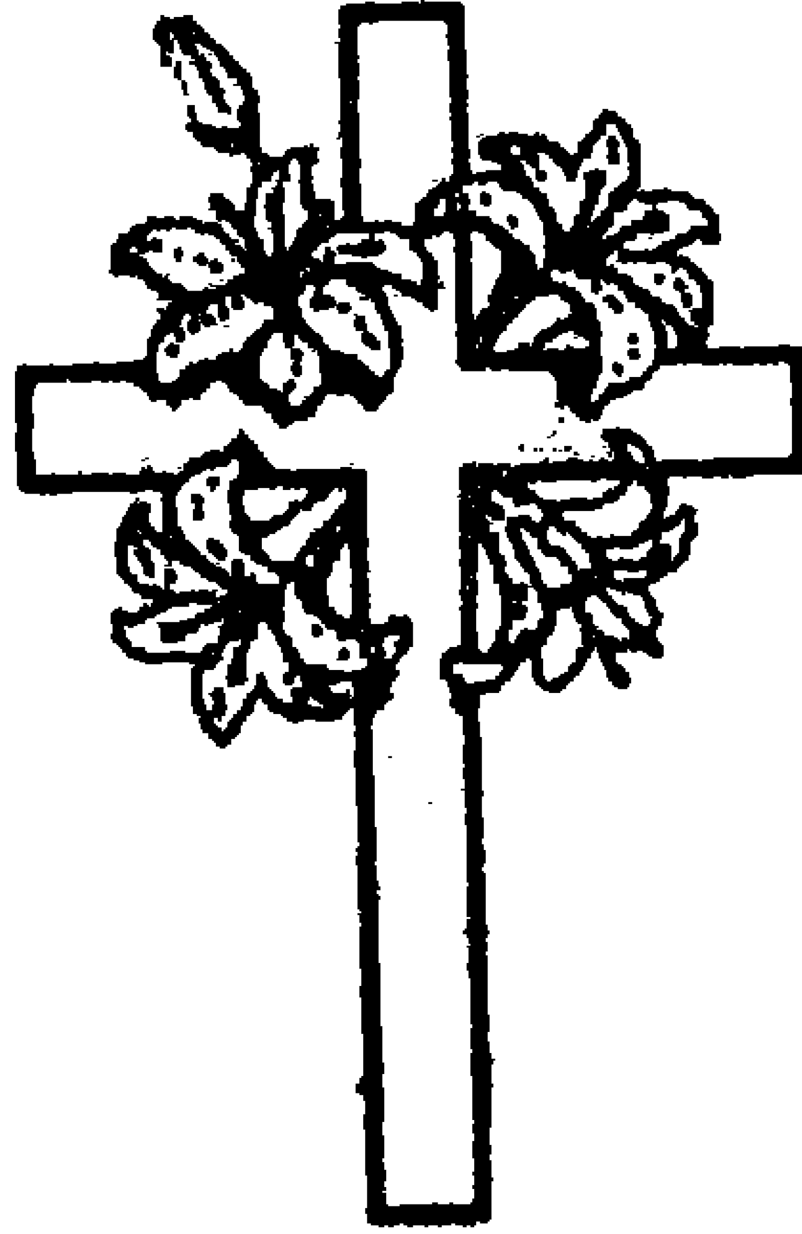
---

(١) تاريخ الانشقاق جـ١ ، ص٢٩ - ٣١ .

(2) Carrington, vol 2 . p. 463 .

(٣) ايريس حبيب المصرى ، قصة الكنيسة القبطية ١٩٦٩ جـ١ ، ص٨٠ .

استطاع القديس هيراقلاس بسيرته الفاضلة لا أن يجتذب بعض الوثنيين في مصر إلى الايمان المسيحي وإنما أيضًا اجتذب من الأجانب . فقد زاره المؤرخ الرحالة المشهور يوليوس أفريقيانوس ، الذى كتب تاريخ العالم منذ الخليقة حتى عام ٢٢١م ، وآمن على يديه بالمسيحية (١) .



= W. Budge · The Ethiopian Synixarium, vol 2, p. 337, 338 .

(1) Paul d'Orleans : Les Saints d' Egypte, Jers. 1923, t2, p. 197 .

٧

القـديس

ديونسيوس الاسكندرى

ديونسيوس الاسكندرى

حياته

لقبه القديس أثناسيوس « معلم الكنيسة الجامعة » (١) ، كما دعى «ديونسيوس الكبير » بسبب ما عاناه من ضيقات محتملاً ذلك فى شجاعة وثبات ، ولغيرته على الكنيسة لا على المستوى المحلى فحسب بل على مستوى الايبارشيات الأخرى .

بحق يعتبر « واحد من أعظم شخصيات التاريخ الكنسى الهامة والجميلة » (٢) .

تحوله للمسيحية

ولد بالاسكندرية مع نهاية القرن الثانى حوالى عام ١٩٠م ، من أبوين وثنيين غنيين وذا جاه . كان من مذهب الصائبة يعبد الكواكب ، محباً للقراءة ، يعمل كطبيب ناجح .

قادته قراءته المستمرة إلى قبول الايمان المسيحى ، فقد قيل أن أرملة عجوز مرت به ، معها بعض كتابات الرسول بولس تريد بيعها ، فاشتراها منها وأخذ يدرسها ويفحصها . فأعجب بها جداً وحسبها أنها أفضل ما قرأه من كتب الفلاسفة . وإذ طلب من السيدة أن تأتيه ببقية الأوراق ويدفع لها ما تريد ، أحضرت له ثلاث رسائل أخرى ، وإذ شعرت الأرملة أن نعمة الله قد عملت فى قلبه قالت له : « إن شئت أيها الفيلسوف أن تطلع على كثير من مثل هذه الأقوال عليك بالذهاب إلى الكنيسة لتجد من يعطيها لك مجاناً . فمضى إلى الكنيسة حيث التقى بشماس يدعى أغسطين الذى دفع له رسائل معلمنا بولس الرسول كاملة فقرأها وقبل الايمان المسيحى .

مضى ديونسيوس إلى البابا ديمتريوس ونال منه سر العماد ، ثم التحق

(1) De Seyt. Dion 6 .

(2) F. W. Farrar : Lives of the Fathers, London 1907, vol 1, p. 343 .

بالمدرسة اللاهوتية (١) ، حيث تتلمذ للعلامة أوريجانوس ، وصار أحد كواكبها اللامعين (٢) .

سيم ديونسيوس شماساً بواسطة البابا ديمتريوس ، كما سيم قساً بواسطة البابا ياروكلاس (هيراقلاس) .

خلف ديونسيوس هيراقليس فى رئاسة المدرسة لحوالى ١٦ أو ١٧ عاماً ، كما خلفه أيضاً فى البابوية .

لقد أخبرنا عن نفسه أنه اعتاد أن يقرأ حتى كتب الهراطقة ، وأنه قد تشجع على ذلك بواسطة رؤيا الهية ، ففى رسالته الثالثة عن المعمودية التى كتبها إلى القس الرومانى فليمون قرر أن الله أعلن ذاته له ، قائلاً له (٣) : « اقرأ كل ما يمكن أن تصل إليه يدك ، فإنك قادر أن تصحح كل شئ وتمتحنه ، فإن هذه العطية هى سبب ايمانك منذ البداية ، وقد أهلته قراءاته المكثفة فى كتب الهراطقة على مهاجمتهم من خلال أعمالهم .

بابا الاسكندرية

فى عام ٢٤٧م اختير القديس ديونسيوس بابا للاسكندرية ، حيث كانت رسالته صعبة ألا وهى الحفاظ على الكنيسة وسط موجات مستمرة من الاضطهادات ، نذكر منها (دون التزام بالترتيب الزمنى) :

١ - فى عام ٢٥٠م بدأ اضطهاد ديونسيوس Decius للكنيسة (٤) . وقد قدم البابا لمسات سريعة لشهداء الاسكندرية فى ذلك الوقت فى رسالته إلى دومثيوس وديديموس ورسالته إلى فابيوس أسقف أنطاكية ، ذكر شهداء رجال ونساء ، صغار وكبار ، عذارى وأمهات ، جنود وشرفاء جلدوا وماتوا بالنار والسيف .

---

(١) الشماس منسى يوحنا (القس منسى) : تاريخ الكنيسة ص٧٦ .

(2) F. W. Farrar, p. 343 .

(3) Eus. 7 : 7 : 1 - 3 .

(٤) بالنسبة لكنيسة الاسكندرية فقد بدأ الاضطهاد عام ٢٤٩ حتى ٢٥١م .

وإن كان البابا نفسه لم يستشهد لكنه حسب نفسه ضمن الذين رغم معرفتهم للرب زماناً طويلاً لكنه لم يعد بعد أهلاً لذلك ، وإن كان فى اعتقاده أن السيد المسيح قد حفظه لزمن آخر مناسب (١) .

لقد بقى البابا فى داره أربعة أيام ينتظر بينما كان رجال الوالى يبحثون عنه فى كل موضع غير متوقعين أن يجدوه فى داره . أخيراً هرب ، فعرض نفسه مثل القديس كبريانوس للاتهام بالجبن . وقد اقتطف المؤرخ يوسابيوس رسالة القديس ديوناسيوس إلى أحد أساقفة الأقاليم يدعى جرمانيوس يدافع فيها عن نفسه ، قائلاً (٢) :

« أتحدث كمن هو فى حضرة الله ، إنه يعلم أنى لا أكذب . إننى لم أهرب بدافع من نفسى ، أو بدون ارشاد الهى . وحتى قبل هذا ، وفى نفس الساعة التى بدأ فيها اضطهاد ديسيوس ، أرسل سابينوس جندياً يبحث عنى ، وكنت فى الدار أربعة أيام أنتظر قدومه ، لكنه تجول يبحث فى كل موضع - فى الطرق والأنهار والحقول - إذ ظن أنى مختبئ فيها أو أنى فى الطريق إليها ، فقد انطمست بصيرته ولم يجد البيت ، ولا تصوّر أنى أبقى فى البيت فى الوقت الذى فيه يجرى البحث عنى .

فقط بعد أربعة أيام أمرنى الله أن أغادر الدار مع أتباعى (٣) وكثير من الاخوة . أما كون هذا قد تم بعناية الهية فواضح مما حدث بعد ذلك إذ ربما كنت نافعاً لبعض الأشخاص » .

أخيراً قبض الجند عليه مع من كانوا معه وأرسلوه إلى السجن فى Taposris ، لكن استطاع شماس يدعى تيموثاوس أن يفلت من يدى الجند ، التقى بمسيحى فى الطريق كان ذاهباً إلى وليمة عرس، أخبره مما حلّ بالبابا،

---

(1) Eus. H. E. 7 : 2 .

(2) Ibid 6 : 40 : 1 - 3 .

(٣) الكلمة اليونانية فهمها Tillemont أنها أنبا ، الأسقف أو البابا ، لكنها هى تعنى تلاميذه أو أتباعه .

وإذ سمع الحاضرون انطلق الكل إلى السجن ، فهرب الجند تاركين الأبواب مفتوحة ، وإذ دخلوا السجن وجدوا البابا نائمًا . طلبوا منه مغادرة السجن فرفض حتى اضطر الشعب أن يحمله من يديه ورجليه ويدفعونه دفعًا ... فذهب معهم إلى داره .

٢- في عام ٢٥٧م حدث أيضًا اضطهاد أثاره الامبراطور فاليريان فاستدعاه الوالي اميليدوس Aemilianus ومع الكاهن مكسيموس والشمامسة فوستوس ويوسابيوس وشيريمون ، وإذ طلب الوالي من البابا أن يترك عمله ، أجاب : « ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس » فنفاه إلى قرية صحراوية تسمى خفرو Cephrs . هناك استطاع أن يبشر بين الوثنيين بالرغم مما عاناه من اضطهادات . فاضطر الوالي أن ينفيه إلى صحراء ليبيا في Collutho (١)... هناك لم يقف عمله على عقد اجتماعات والكرازة بالمسيحية بين الوثنيين بل أجهد نفسه في خدمة كنيسته بالاسكندرية (بالرسائل) ليحفظ الخدمة هناك (٢) .

٣- حدثت أيضًا اضطرابات جديدة ، إذ هوجمت مدينة الاسكندرية من الجنوب بواسطة قبائل بربرية .

كذلك أعلن والي مصر اميليدوس في الاسكندرية امبراطوراً ، فنشبت حرب مدنية انتهت بأسره بواسطة القائد الروماني ثيؤدوتيوس الذي أرسل المتمرد مقيداً إلى روما . خلال هذه الحرب دمرت المدينة وحلت مجاعة وانتشرت الأوبئة .

تحدث البابا عن هذه الاضطرابات في رسالته الفصحية الدورية عام ٢٦٣م ، جاء فيها :

« قد يبدو أن الوقت غير مناسب للعيد ... فنحن لا نرى إلا الدموع ، الكل ينوح ، والعويل يسمع كل يوم في المدينة بسبب كثرة الموتى ...

---

(1) Farrar, p. 345 .

(2) J. W. Wand : History of the Early Church to A. D 500, 1974, p. 61 .

بعد هذا حلت الحرب وحدثت المجاعة ، الأمرين اللذين تحملناهما سوية مع الوثنيين ... لكننا فرحنا بسلام المسيح الذى وهب لنا نحن وحدنا .

كان أكثر الأخوة أسخياء جداً فى محبتهم الزائدة وعطفهم ، فازدادت رابطتهم مع بعضهم البعض ، فكانوا يفتقدون المرضى بغير تخوف ، ويخدمونهم بصفة مستمرة ، يخدمونهم فى المسيح » (١) . أما الوثنيون فكانوا ينفرون من المرضى ويطرحونهم فى الشارع بين أموات وأحياء !

٤- فى نهاية كل اضطهاد كان البابا ديونسيوس يواجه مشكلة المرتدين . كان يضمهم ، بل غالباً ما كان يمنع اعادة معمودية حتى الهراطقة أو المنشقين الراجعين (مع أن الكنيسة فيما بعد لم تستقر على ذلك) .

٥- « مركز ديونسيوس العظيم مع قدرته وعلمه واعتداله الممتاز جعله موضع التماس أن يتدخل غالبًا فى كل الصراعات الهامة التى ثارت فى الكنيسة فى أيامه » (٢) . ففى الانقسام الخاص بنوفاتيوس الذى سيم على كرسى روما بطريقة غير شرعية ، التجأت جميع الأطراف إليه (٣) ، كما انشغل بهرطقة نيبوس أسقف أرسينوا بالفيوم ، وسابليوس أسقف بتولمايس (٤) (المدن الخمس الغربية) وبولس السموسطائى .

وساطته بين كبريانوس واسطفانوس

كان القديس ديوناسيوس رجلاً كنسيًا هامًا ، له عمله حتى خارج نطاق ايبارشيته (٥) . كمثال توسط فى النزاع الحاد الذى قام بين كبريانوس أسقف قرطاجنة واسطفانوس أسقف روما ، وذلك بخصوص معمودية الهراطقة . فبالنسبة لكبريانوس معمودية الهراطقة والمنشقين باطلة ، لأنهم خارج الكنيسة ، ولا خلاص خارج الكنيسة ، فإنه لا يستطيع أن يتخذ الله أبًا له من لم تكن الكنيسة هى أمه . فالتائب – فى الحقيقة – لا تعاد معموديته إنما يحسب أنه

---

(1) Eus. H. E. 7 : 22 Schaff : Ani - Nicene Christianity vol 2, p. 801 .

(2) Farrar p. 345 .

(3) Ibid. Eus. H. E. 7 : 8 .

(4) Eus. 7 : 6 .

(5) Quasten : Patrology, vol 2, p. 102 .

يتقبل المعمودية للمرة الأولى ، أما معموديته السابقة فهى باطلة ، كأن لم تكن. أما اسطفانوس أسقف رومية فقد رأى أن كل معمودية تتم باسم الثالوث القدوس صحيحة حتى إن تمت بيد هراطقة ، لهذا فلا تعاد معمودية الراجعين إلى الكنيسة من الهراطقة إنما يكتفى بوضع الأيدى والصلاة عليهم .

وقد ساعد على اشتعال النار ظهور بدعتين :

١ - بدعة نوفاسيدوس الأسقف الروماني الدخيل القائل بعدم قبول توبة جاحدى الايمان ووجوب اعادة الذين تعمدوا بيد هراطقة ، بل وعماد الأرثوذكس الذين تساهلوا فى قبول الهراطقة التائبين ... وكان لذلك رد فعل عكسى فى روما ، الأمر الذى سبب وجود فريقين فى روما فكتب كهنة روما إلى كبريانوس يسألونه ، فأجابهم : « أن المعمدين بيد هراطقة هم وحدهم يجب اعادة معموديتهم ، وأما الذين قبلوا الايمان من الكنيسة الأرثوذكسية فعمادهم صحيح » . كما قال : « أما مسألة جاحدى الايمان التائبين فلا يخص كنيسة روما منفردة ، إنما يلزم أن تحكم فيها الكنائس مجتمعة » (١) .

٢ - بدعة فيلكسيدوس الذى علّم بالصفح عن الذين جحدوا الايمان بمجرد شفاعة المعترفين عنهم ، الأمر الذى أدى إلى رخاوة زائدة .

وفي عام ٢٥٣م إذ سيم اسطفانوس أسقفًا على روما شدد فى منع اعادة معمودية الهراطقة وخاطب فرميليانوس أسقف قيصرية بذلك ، وإذ لم يستجب الأخير لطلبه عقد مجمعًا عام ٢٥٤م قطع فيه فرميليانوس ومن وافقه من أساقفة كيليكية وغلاطية ثم هدد كبريانوس بالقطع . عقد كبريانوس مجمعًا عام ٢٥٥م حكم بضرورة عماد الهراطقة ومن تعمد على أيديهم ... وأرسل قرار المجمع لاسطفانوس ، جاء فيه : « كل رئيس روحى حرٌ فى سياسة كنيسته، لأنه يقدم حسابًا عن أعماله للرب » (٢) . أما اسطفانوس فكتب إلى أعضاء المجمع يهددهم بالقطع إن لم يذعنوا لارادته . كتب كبريانوس رسالة

(1) Cyprian : Epis. 19 .

(2) Ibid 72 .

إلى بومبيوس أحد أساقفة أفريقيا ضد اسطفانوس ، جاء فيها : « لا نجد مثل هذا القرار لا في الانجيل ولا في الرسائل ولا في أعمال الرسل .... » (١) .

بعث أساقفة أفريقيا رسالة أخوية إلى الأسقف اسطفانوس يدعوه للاتحاد معهم ، فلم يقابل حاملي الرسالة ولا سمع لهم بمأوى ، وبعث إليهم رسالة يلقب فيها كبريانوس « الرسول الغاش والنبي الكذاب » (٢) ، فرد كبريانوس برسالة أخوية إلى أساقفة أفريقيا يقول فيها عن اسطفانوس « صديق الهراطقة وعدو المسيحيين » ، كما قال : « أن هذا الأسقف الضال اسطفانوس دلّ برسالته على جهله وغباوته » (٣) .

وكاد الشقاق يتزايد ويستفحل لولا تدخل البابا ديونسيوس الذى كتب رسالة إلى الأسقف اسطفانوس يظهر كيف اتحدت الكنائس في الشرق وأن الكل بفرح متفقون في الرأي ... طالباً منه ألا يسبب شقاقاً (٤) .

وقد رأى البعض مثل Wand (٥) أن ديوناسيوس قد شارك اسطفانوس رأيه لكنه لم يشاركه عنفه وحدته ، فحاول التوسط بين الطرفين . إن كان قد قرر ألا يعيد معمودية الهراطقة والمنشقين لكنه لم يقطع علاقته بالكنائس التى تعيد المعمودية ... حاسباً أن الأمر يترك لكل كنيسة ...

وفي كتاب الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة للأسقف ايسيذورس (٦) قصة تظهر تخوف ديونسيوس من اعادة المعمودية خاصة إن كان الشخص قد اعتاد على التناول من الأسرار الالهية في الكنيسة الأرثوذكسية ، فإنه بعد نياحة الأسقف اسطفانوس واجه البابا ديونسيوس مشكلة وهي أن مؤمناً من الاسكندرية جاءه يبكي بمرارة متوسلاً إليه أن يعيد معموديته ، لأنه كان قد تعمد بيد هراطقة منذ زمن طويل واعتاد التناول من الأسرار المقدسة في الكنيسة بعد توبته ، لكنه كان قلقاً للغاية . أما القديس ديونسيوس فلم يجسر أن

(1) Ibid 74

(2) Epist. 75 .

(3) Epist 72

(4) Euseb. 7 : 5 .

(5) Wand. p. 108 - 9

(٦) جزء أول ص١٨٦ ، مدنى ص١٣١ .

يعمده لأنه يشترك في التناول في الكنيسة ... لكنه تحت ضغط القلق الشديد والبكاء المستمر كتب إلى أخيه سكستوس أسقف روما يطلب رأيه .

على أي الحالات يليق بنا أن ندرك بأن الكنيسة في الشرق والغرب استقرت على رأي القديس كبريانوس أي اعتبار معمودية الهراطقة والمنشقين غير قائمة .

مع نيبوس اسقف ارسينو

في رحلته الرعوية لمدن ايبارشيته ، التقى البابا بنيبوس أسقف أرسينو (١) بالفيوم ، الذي استخدم سفر رؤيا يوحنا في تأكيد آرائه في الملكوت الألفي المادي بطريقة يهودية (٢) ، فيه يأتي السيد المسيح على الأرض ليملك كأحد الملوك ، في كتاب له يرفض فيه التفسير الرمزي لأوريجين « A Refutation of the Allegorists » . دعى البابا مجمعاً محلياً في أرسينو وأوضح للأسقف وأتباعه كيف أن ملكوت الله روحي ، وأن المؤمنين لا يترجون أي ملكوت زمني أو ملذات أرضية ، وكان يتحدث معهم بروح الحب في وداعة فاقتنعوا بكلماته .

وإذ عاد إلى الاسكندرية كتب البابا كتابين عن « المواعيد » جاء فيهما :

« إنه ليسعدني أن أصف ما رأيته من اخلاص أبنائي أهالي أرسينو ومحبتهم وذكائهم . فقد تبادلنا الآراء بصبر وجلد ، ولم ندع صغيرة أو كبيرة إلا وبحثناها بحثاً مستفيضاً . ومما يسرني أن أبنائي حين وقفوا على ما هم فيه من خطأ أعلنوا ذلك جهاراً في غير حياء ولا تردد . وفي طليعة المعترفين بخطئهم كوراسيوس الكاهن الذي أقام المثل الحي الدال على اخلاصه للحق . كما يسرني ما بدا من أبنائي أهل أرسينو إذ نسبوا نقضي للبدعة الألفية إلى اخلاصي الأبوي » (٣) .

---

(١) حالياً كيمان فارس المتخربة بحري الفيوم (منسى يوحنا ص٧٩) . .

(2) Farrar, p. 347 .

(٣) ايريس حبيب المصري جـ١ ص٩١ ، سليم سليمان الفيومي : مختصر تاريخ الأمة القبطية ص٤٠٦ ، يوسابيوس ٧ : ٢٤ ، ٢٥ .

وبعد تفسيره الاصحاح العشرين من سفر الرؤيا أشار إلى مواعيد الله لشعبه، ثم ذيل الرسالة بمدحه للأسقف نيبوس قائلاً : « إننى أحب نيبوس وأمتدحه ، لأنه يسعى بكل جهده للوقوف على الحقيقة . وأمتدحه أيضاً للترانيم الروحية التى وضعها ليترنم بها الشعب فى حفلاته . غير أن محبتى للحق تفوق محبتى لنيبوس ، لذلك بادرت إلى ادحاض بدعته لارشاده وانارته » .

حقًا كم كان تاريخ الكنيسة قد تغير لو أن كل الصراعات عولجت هكذا بالروح الهادئ اللطيف !؟ (١) .

مع الهرطوقى سابيليوس (٢)

جاء إلى مصر رجل من روما ينشر بدعة تسمى « مؤلمى الآب » ، يعتقد أصحابها بأن الله أقنوم واحد ، وهو الذى كفرٌ عن خطايا البشر ... بهذا يكون الآب قد تألم ...

قاوم البابا هذا الضلال ، وأرسل منشوراً إلى الأسقفين أمونيوس وأفراندر ، كما حرم سابليوس فى مجمع عقده عام ٢٦١م بعد أن فنّد تعاليمه الفاسدة ... فالتجأ أتباعه إلى الأسقف الرومانى ديونسيوس الذى كان شاباً قليل الخبرة ، فعقد مجمعاً حرم فيه بابا الاسكندرية وأرسل إليه يخبره بالحكم ويسأله إن لديه ما يدافع به عن نفسه . لكن بابا الاسكندرية بحكمته بعث برسالة أوضح فيها

---

(1) Farrar, p. 347 .

(٢) أخذ أساقفة بطلومايس (أحد الخمس مدن الغربية) ، تربى فى روما وتتلمذ على يدى نوئيتوس الهرطوقى ، وأخذ عنه أن الله أقنوم واحد ، أعطى الناموس لبنى اسرائيل بصفته الآب ، وصار انساناً فى العهد الجديد بصفته الابن ، وحل على الرسل فى علية صهيون بصفته الروح القدس. اختلف عنه سابيليوس قليلاً إذ قال أن جزءاً من الطبع الالهى فرز من الآب وكون الابن بالاتحاد مع الانسان يسوع وآخر انفصل عنه فكون الروح القدس .

أول من اعتنق بدعة نوئيتوس وسابيليوس هو زفرينوس أسقف روما وكالستوس خليفته الذى سام أساقفة وقسوساً وشمامسة من الذين تزوجوا ثانية وثالثة وادعى أن الأسقف لا يقطع من الكهنوت مهما ارتكب من الآثام ، ولما لم يوافقه سابيليوس على ذلك حرمه ، فجاء إلى مصر عام ٢٥٧ ، الذى بدأ ينشر بدعته .

ما عسر عن فهم الأسقف الرومانى ، فاستراح الأخير إليها . وقضت الرسالة على ما يسميه المؤرخين « نزاع الديونسيين » ، وشعر الرومانى بتسرعه فاحترم الاسكندرى ، ووقف بجانبه فى دحض بدعة بولس السومسطائى أسقف أنطاكية .

كتاباته

كتب الكثير لكن للأسف لم يبقى إلا شذرات حفظت خلال كتابات يوسابيوس وأثناسيوس وغيرهما . وكما يقول Neale : « فقدان كتابات ديونسيوس هى احدى الخسائر العظمى التى لحقت بالتاريخ الكنسى » (١) .

يتجه فى كتاباته إلى الجانب العملى مع أسئلة خاصة بالتعاليم . رسائله تظهر أنه قام بدور ايجابى فى المناقشات العقيدية فى عصره (٢) .

١- عن الطبيعة

فى هذا العمل يفند المادية الأبيقورية ، فى شكل رسالة موجهة إلى ابنه تيموثاوس . يكشف هذا العمل أن القديس كان ذا معرفة كبيرة بالفلسفة اليونانية وأنه كاتب قدير . شهد بطريقة مقنعة عن نظام الكون وعناية الله ، رداً على الفكر المادى نحو العالم (٣) .

٢- عن المواعيد

سبق الحديث عنه تحت عنوان : « مع نيبوس أسقف أرسينو » .

٣- تفنيد ودفاع

جاء هذا العمل فى أربع كتب موجهة إلى الأسقف ديونسيوس الرومانى . إذ طلب الأخير من الاسكندرى أن يوضح له اعتقاده فى التعليم بالثالوث القدوس (٤) ، فأجابه بوضع هذا العمل .

---

(1) Holy Eastern Church, vol 1, p. 84 .

(2) Quasten : Patrology, vol 1, p. 102 .

(3) Ibid. p. 103 .

(4) Athans. Ep. De Sententia Dionysii 13 .

فى خطابه يشرح العلاقة بين الآب والابن ، وهو الموضوع الرئيسى فى المجادلات الخاصة بالتثليث ، فيقول :

« بالتأكيد لم يكن هناك زمان فيه كان الله ليس بالآب ...

يكون (الابن) بهاء النور الأبدى لذا فهو أيضاً أزلى مطلق . حيث يوجد النور على الدوام ، يكون أيضاً بهاؤه موجوداً على الدوام ... لذلك فإن البهاء الأبدى يشع أمامه ، واحد معه فى الوجود . موجود بلا بداية ، مولود على الدوام . يشع دوماً أمامه ، وهو الحكمة القائل : « كنت كل يوم لذته فرحة دائماً قدامه » أم ٨ : ٣٠ .

مادام الآب أبدى فالابن أيضاً أبدى ، هو نور من نور ....» .

رسائله

كثيراً ما استخدم يوسابيوس رسائل البابا ديونسيوس كمصدر هام لتاريخ حياته وللزمن الذى عاش فيه . من هذه الرسائل تلك التى بعث بها إلى نوفاتيوس الذى رسم أسقفاً على روما بطريقة غير شرعية ، يسأله فى هذا الخطاب الرقيق أن يترك هذا المركز للأسقف الشرعى كرنيليوس ، موضحاً أنه بهذا ينال اكليلاً أفضل من الاستشهاد لأنه يحفظ الكنيسة من الانشقاق .

فى هذه الرسالة يقول :

« سلام من ديونسيوس إلى أخيه نوفاتيوس ...

إن كنت كما تقول أنك قد دفعت دفعاً إلى ذلك بغير ارادتك ، فبرهن على هذا بتركك هذه الوظيفة بارادتك . لأنه كان خير لك أن تحتمل كل ألم ولا تقسم كنيسة الله . حتى الاستشهاد من أجل تجنب الانقسام لا يكون أقل مجداً من الاستشهاد بسبب رفض عبادة الأوثان ، بل يبدو لى أعظم منه . لأنه فى الحالة الأخيرة يستشهد الانسان من أجل نفسه ، أما فى الحالة الأولى فمن أجل الكنيسة كلها .

والآن إن أمكنك اقناع الاخوة أو حملهم على اتفاق آرائهم زاد برك على زلتك ، فلا تحسب عليك ، بل يمدح برك . ولكن إن لم تستطع أن تفلح مع

المتمردين ، فعلى الأقل خلص نفسك .

أتوسل إليك أن تحسن التبصر فى الأمر وتبقى فى سلام الرب » (١) .

بعث أيضاً برسالة إلى باسيليدس أسقف بانتوبوليس (الخمس مدن الغربية) يجيبه على أسئلة كثيرة بخصوص تحديد زمن الصوم الكبير والشروط الجسدية الخاصة بالاستعداد للتناول .

بعث أيضاً برسالة ثالثة إلى فابيوس أسقف أنطاكية ، عالج فيها مشكلة المرتدين أثناء الاضطهاد ، جاء فيها :

« سأقدم لك هذا المثل الواحد الذى حدث بيننا . كان معنا رجل مسن مؤمن يدعى سرابيون ، عاش بلا لوم زماناً طويلاً ، لكنه سقط عند التجربة . هذا توسل كثيراً طالباً الحل لكن لم يلتفت إليه ، لأنه ذبح للأوثان . اعتراه مرض فبقى ثلاثة أيام متوالية فاقد النطق والوعى ... وفى اليوم الرابع إذ فاق قليلاً دعى حفيده (ابن ابنته) قائلاً : إلى متى تعوقنى يا ابنى ؟ أتوسل إليك أن تسرع وتدع لى كاهناً . وإذ قال هذا فقد النطق ثانية . أسرع الولد إلى الكاهن ، وكان الوقت ليلاً ، والقس مريضاً لم يقدر الذهاب معه . لكننى إذ كنت قد أصدرت أمراً أن الذى على حافة العبور من العالم أن طلب حلاً ، خاصة إن كان قد سبق وطلبه قبلاً ، فيلزم أن ينطلقوا برجاء ، أعطاه الكاهن جزءاً صغيراً من الأفخارستيا ، وأمره أن يغمسه فى الماء ، ويدع النقط تسقط فى فم الشيخ . عاد به الصبى ، وإذ اقترب ، وكان لم يدخل بعد تحرك سرابيون ثالثة وقال : لقد أتيت يا ابنى ولم يقدر القس أن يأتى معك . افعل ما آمرك به سريعاً ودعنى أنطلق . عندئذ غمسه الصبى وجعل النقط تسقط فى فمه ، وإذ بلع قليلاً أسلم الروح حالاً » (٢) .

حينما بدأ العالم ينقلب على العلامة أوريجانوس بقى البابا ديونسيوس

---

(1) Euseb. : H. E. 6 : 45 .

يوسابيوس القيصرى : تاريخ الكنيسة : ترجمة القس مرقس داود ، طبعة ١٩٦٠ ص٣٠٨ .

(2) Euseb. : H. E. 6 : 44 : 2 - 5

يشعر بالدين نحو هذا المعلم ، ففى عام ٢٥٩م بعث إليه برسالة عن الاستشهاد ، حين كان مسجوناً فى صور Tyre .

وبعد موت أوريجانوس كتب رسالة إلى Theotecnius أسقف قيصرية يمتدحه فيها .

أرسل أيضاً عدة رسائل إلى بولس السومسطائى ، بطريرك أنطاكية ، وهو رجل هرطوقى عرف بالرفاهية والفخفخة ، صارت له حظوة لدى ملكة تدمر التى وكلت إليه جباية الخراج وبذلك تقلد وظيفة دوسناريوس (والى) ، رغم أن كلمة الله حلّ على يسوع عند ولادته ، وأنه فارقه عند الآلام ... بهذا أنكر الثالوث القدوس .

أيضاً أشار المؤرخ يوسابيوس إلى رسائله الفصحية التى كان القديس ديوناسيوس يكتبها ليعلن عن موعد الفصح (عيد القيامة) وبدء الصوم الكبير . أخذت هذه الرسائل شكل رسائل رعوية ، فيها يحث الشعب أن يراعوا الصوم والعيد بطريقة روحية كما انتهزها كفرصة لمناقشة بعض الأسئلة الكنسية المثابرة فى ذلك الحين .



٨

ثيؤغنوستس

« ثاؤغست »

بسبب موجات الاضطهاد التى تعرضت لها الكنيسة ، حدث لبس فى ترتيب بعض رؤساء المدرسة فى ذلك الحين (القرن الثالث) خاصة بين ثيؤغنستس وبيريس Pierius (١) .

ثيؤغنستس كاهن اسكندرى ولاهوتى ، نعرف عنه القليل جداً من خلال مقتطفات له وردت فى فوتيوس (٢) وأثناسيوس وغريغوريوس أسقف نيصص.

جاء عمله العقيدى Hypotypeseis فى سبع كتب، أخذ منهج أوريجانوس، ومع ذلك فإن القديس أثناسيوس التجأ إلى كتاباته فى صراعه ضد الأريوسية.



(١) نرى Cove يضع ثيؤغنستس بعد بيرس أما Routh فى كتابه : Reliquioe Sacroe مجلد ٣ ص٤٠٨ فصحح الوضع (راجع Schaff مجلد ٢ ، ص٣٠٦) .

(2) Bibl. Cod 106 .

٩

الأب بيريوس

« PIERIUS »

هو كاهن مثقف ، مفسر ممتاز لكلمة الله وكارز . يقول عنه المؤرخ يوسابيوس : « اشتهر بفقره الشديد مع غزارة علومه الفلسفية . كان عميقًا في التأملات الروحية ، مجاهداً في تفسير الروحيات والمباحثات العلنية في الكنيسة » (١) .

يدعوه القديس جيروم « أوريجانوس الصغير » . وهو معلم الشهيد بمفيليوس ، المعجب بأوريجانوس والكاهن والمعلم اللاهوتي في قيصرية فلسطين .

يقول فوتيوس : « يحسب البعض استشهد ، ويقول آخرون أنه قضى بقية حياته في روما بعد فترة الاستشهاد » (٢) ، « لكن الاحتمال الأعظم أن كلى الفريقين على صواب ، احتمل الآلام دون أن يستشهد وذلك في اضطهاد دقلديانوس » (٣) .

كتاباته

يقول القديس جيروم : أن بيروس نشر مقالات كثيرة في مواضيع كثيرة ، كما أشار إلى مقاله الطويل عن هوشع النبي . وقد قرأ فوتيوس لبيريوس عملاً يحوى اثنى عشر « لوغياً » ، أي يخص اللوغوس . كما يشير فيليب الصيدى Philip Sidetes إلى ثلاث أعمال لبيريوس هي : « عن انجيل القديس لوقا » ، « عن والدة الاله » ، « حياة القديس بامفيلوس » (٤) .



(1) Eus. H. E. 7 : 32 : 27 .

(2) Bib. Code 119 .

(3) Quasten : Patrology, vol 2, P. 111 .

(٤) خلف بيريوس أرشلاوس وبطرس خاتم الشهداء وسرابيون أسقف تيمى ومقاريوس السياسى وديديموس الضرير ورودن ... وقد سبق أن كتبت عن القديس خاتم الشهداء بحثًا مستقلاً ، وهنا أكتفى بالاشارة إلى القديس ديديموس الضرير .

١٠

القـديس

ديديموس الضرير

ولد القديس ديديموس حوالى عام ٣١٣م (١) ، وفقد بصره فى الرابعة من عمره ، فلم يتعلم القراءة فى مدرسة وإنما بسبب ولعه بالتعلم ، اخترع الحروف البارزة بالنحت ليقرأها بأصبعه . بهذا سبق برايل خمسة عشر قرناً فى استخدام الحروف البارزة للعميان .

حفظ الكتاب المقدس والتعاليم الكنسية عن ظهر قلبه كما نبغ فى النمو والبيان والفلسفة والمنطق والرياضة والموسيقى . شهد عنه القديس جيروم : « تعلم الهندسة أيضاً التى تحتاج إلى النظر أكثر من غيرها فكان أعجوبة كل ناظر إليه وذاع اسمه فى كل مكان » .

بعد نياحة مقاريوس مدير مدرسة الاسكندرية لم يتردد القديس أثناسيوس فى تسليمه مسئولية التعليم باقامته مديراً للمدرسة (٣٤٦ - ٣٩٨) (٢) .

تتلمذ على يديه أو على كتاباته كثيرون منهم القديسين غريغوريوس النزينزى وجيروم وروفينوس وبلاديوس . أشار إليه القديس جيروم كمعلم له(٣)، ومدح تعليمه وشهد لأثره على الفكر اللاهوتى فى الغرب والشرق (٤) كما دعاه روفينوس « النبى » ، « الرجل الرسولى » (٥) .

مع القديس أنبا أنطونيوس

كان صديقاً حميماً للقديس أنبا أنطونيوس . ذات يوم إذ شرعا يتحدثان فى الكتب المقدسة سأله أنبا أنطونيوس : « ألعلك لا تحزن لأنك كفيف البصر ؟ أجابه القديس أنه يحزن على ذلك جداً ، فأجابه القديس : « إنى متعجب لحزنك على فقدانك ما نشترك فيه مع أحقر الحيوانات كواسطة للاحساس إذ ليس لديها ما تحس به غير البصر (المحسوس) ، ولا تفرح متعزياً لأن الله وهبك بصيرة

---

(١) منسى القمص يرى أنه ولد عام ٣١٨ .

(2) Rufinus : H. E. 2 : 7 .

(3) Epist. 50 : 4, 84 : 3, Comm in Osee proph : Prol., Comm in Epis. ad Ephes. : Prol .

(4) Liber de Spir. Sanc. : Praef ad Paulin .

(5) Apol. in Hier 2 : 25

أخرى لا يهبها تقدس اسمه إلا لمحبيه ، أعطاك عينين كأعين الملائكة تبصر بهما الروحيات ، بل وبهما تدرك الله نفسه ويسطع نوره أمامك فأزال الظلام عن عيون قلوبنا ... » . فتعزى القديس بهذا القول كل أيام حياته .

وقد نقل ذات الفكر القديس جيروم عندما بعث رسالة تعزية لراهب ضرير.

نسكه

اجتذب القديس ديديموس معاصريه لا بعلمه فحسب وإنما بنسكه أيضًا ، فغالبًا ما عاش كمتوحد ، زاره القديس أنبا أنطونيوس عدة مرات ، كما زاره القديس بلاديوس أربع مرات فى فترة عشر سنين، وقد روى عنه قصتين (١) :

١- مرة إذ طلب منى أن أصلى فى قلايته ولم ألب طلبه روى لى هذه القصة : دخل أنطونيوس هذه القلاية للمرة الثالثة لزيارتى ، وإذ سألته أن يصلى ركع فى الحال ليصلى ولم يضطرنى إلى تكرار الطلب ، مقدمًا لى مثلاً فى الطاعة . والآن إن كنت تود أن تقتفى آثاره - كما يبدو عليك . إذ تعيش فى خلوة بعيداً عن الأهل ، طالباً الفضيلة - فابعد عنك روح المقاومة .

٢- أخبرنى أيضًا الآتى : ذات يوم بينما كنت أفكر فى حياة الشقى يوليانوس الامبراطور (٢) ، وفى كونه مضطهداً ، اضطربت للغاية حتى أنى لم أذق خبزاً إلى ساعة متأخرة فى المساء ، وإذا بى أرى خيولاً بيضاء تجرى ، وكان راكبوها يهتفون قائلين : قولوا لديديموس أن يوليانوس قد مات اليوم الساعة السابعة . قمْ وكلْ ، وأرسل إلى أثناسيوس الأسقف لكى يعرف هو أيضاً ما قد حدث » . واستطرد يقول : « وقد دونت الساعة والشهر والأسبوع واليوم والساعة واتضح لى ما قيل أنه صحيح » .

دفاعه عن أوريجانوس

نشر دفاعاً عن كتاب « المبادئ De Principiis » لأوريجانوس ، فيه أظهر

(1) Palladius : Laus. Hist. ch 4 .

(٢) حكم ما بين ٣٦١ ، ٣٦٣م .

خطأ الذين يتهمونه بالضلال معتبراً اياها مجرد أوهام لا قيمة لها ، إذ يقول :

« الذين يتهمون أوريجانوس بالهرطقة هم عديموا الفهم ، ليس لهم القدرة على أدراك الأفكار العالية والحكمة الغامضة التى امتاز بها ذلك الرجل العظيم الذى يعد من النوابغ المشهورين » .

ضد أريوس

قال سقراط المؤرخ : « كان ديديموس عند الناس حصناً متيناً وسنداً قوياً للديانة المسيحية حتى قبل أن يتولى رئاسة المدرسة اللاهوتية ، ويحسب خصماً عنيداً كسر شوكة أتباع آريوس وأذلهم فى مناظراته معهم » .

كتاباته

١- أعماله التفسيرية

يقول بلاديوس : أنه فسر العهدين القديم والجديد كلمة كلمة . وذكر جيروم أنه وضع تعليقات على أسفار المزامير وأيوب واشعياء وزكريا ... الخ . وأشار Casiodorus : أن له تعليقات على سفر الأمثال . وفى بردى طور بمصر التى اكتشفت عام ١٩٤١م وجدت مقتطفات مطولة لتفاسيره على التكوين وأيوب وزكريا .

يقول Quasten : « المقتطفات الضخمة الموجودة تجعلنا قادرين على التعرف على طريقة ديديموس الرمزية السرية فى التفسير ، والتى تؤكد اتباعه منهج أوريجانوس . أظهر اهتماماً خاصاً بالنقد الخاص بالنصوص مثل المعلم الاسكندرى (أوريجين) ، وقارن بين مخطوطات متنوعة للترجمة السبعينية ومما ورد فى السداسيات (لأوريجين) . لكن جهاده فى التصميم على القراءة الدقيقة (للنصوص الكتاب) لم يمنعه من استخدام التفسير الرمزى المتحرر . لقد اقتنع أن العهد القديم يحوى رسالة مسيحية هامة فى كل موضع ، وأن كل مزمور يشير إلى المسيح » (١) .

---

(1) Quasten : Patrology, vol 3 , p. 91 .

وضع أيضاً تعليقات على بعض أسفار العهد الجديد خاصة انجيل القديس متى والقديس يوحنا وسفر الأعمال والرسالتين الأولى والثانية إلى أهل كورنثوس والرسالة إلى أهل غلاطية والرسالة إلى أهل أفسس .

٢- *عن الثالوث*

يقع هذا العمل فى ثلاث كتب ، وضعها ما بين عام ٣٨١ ، ٣٩٢م ، لاتزال موجودة ، لأنها لا تحمل اتجاهاً أوريجانياً .

٣- *عن الروح القدس*

الأصل اليونانى مفقود ، لكن الترجمة اللاتينية للقديس جيروم موجودة .

٤- *ضد أتباع مانى*

يتكون هذا العمل من ١٨ فصل صغير ، موجودة باليونانية .

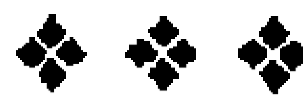
٥- *أعمال أخرى*

فى عمله « عن الثالوث » أشار القديس إلى عمل آخر من وضعه يسمى « الكلمة الأول » ، كما يشير إلى مقاله : « Sanctorum Volumen » فى عمله عن : « الروح القدس » ٥ : ١٢ .

وجاء فى سقراط (١) أن ديديموس خصص عملاً للدفاع عن كتاب أوريجانوس « عن المبادئ » .

ويشير الآب يوحنا الدمشقى (٢) إلى عملين آخرين للقديس هما : « عن الفلسفة » و « عن التجسد » .

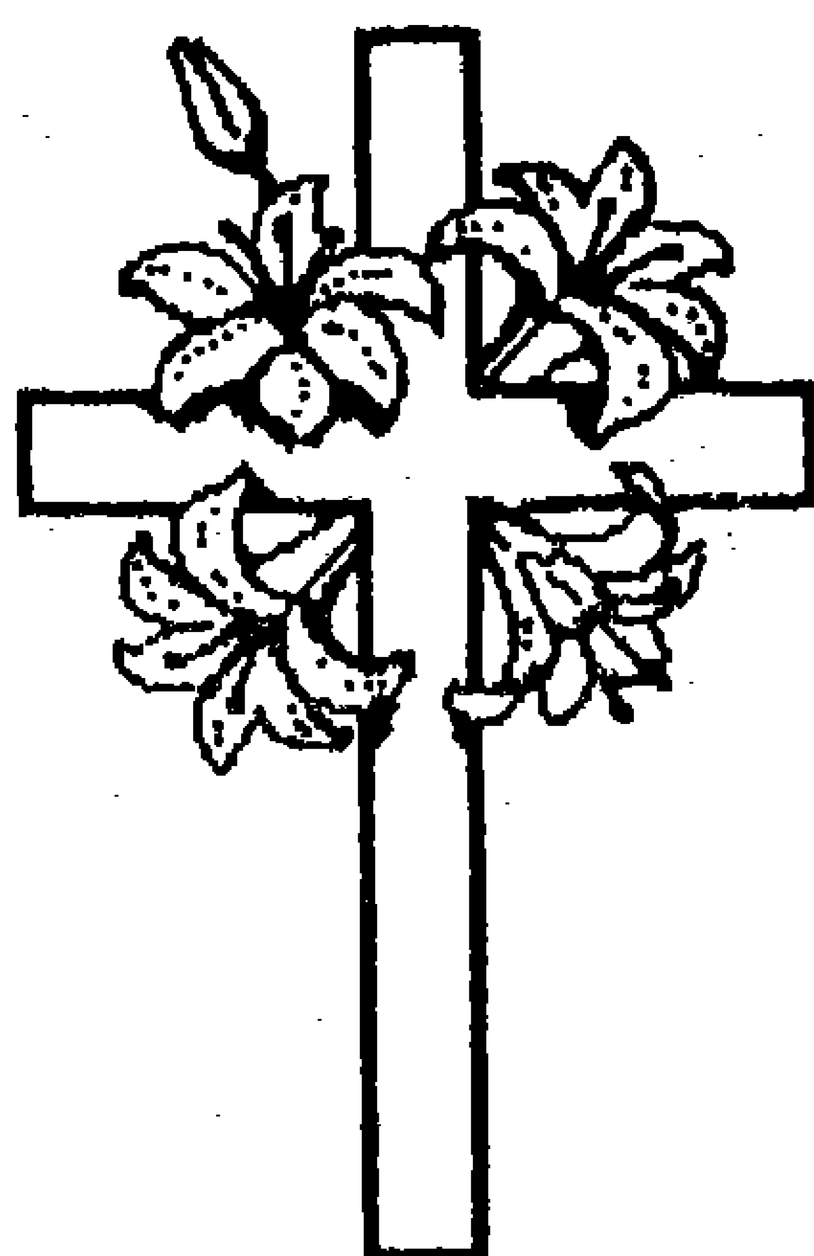
كما حفظت له بعض الأعمال تحت اسماء آباء آخرين (٣) .



(1) Socrates : H. E. 5 : 12 .

(2) Socra Parallela. PG 96 : 248, 524 .

(3) Quasten : Patrology, vol 3 . p. 89 - 90 .



محتويات الكتاب





تطلب من مكتبة كنيسة مارجرجس باسبورتنج - الاسكندرية

تليفون : ٠٢/٥٩١٩٨٨٨ - فاكس : ٠٢/٥٩٠٢٨٨٨
stgeorge@dataxprs.com.eg

٥,٠٠ ج